

اسباب  
الفتنة الكبرى في لبنان  
١٨٦٠

وضع  
كامل امين ديب

رسالة مقدمة لدائرة التاريخ العربي  
بكلية الاداب في جامعة بيروت الاميركية وهي بعض  
المطلوب ، لنيل درجة الماجستير M.A. في التاريخ.

الفتنة الكبرى

ديب

## المقدمة المسألة اللبنانية عرض الفكرة

ان المسألة اللبنانية بجوهرها وكليتها جزء من المسألة الشرقية ، اوجدها نظام الملل ، وفذاها الحكم الشيوعراطي ، وابقاها اختلاف وجهات النظر للحياة وتعذر العيش الكريم المنسجم بين الفئة الحاكمة والفئة المحكومة ، واثارها الاقتحام الغربي المفتوح لمجتمعات في الشرق آنذاك ، مقفلة على ذاتها ، ذائرة على نفسها .

ومع ما شمل نظام الملل من حسنات كحرية المعتقد ، ورغم ما احتوى نظام الحكم الشيوعراطي احيانا من تساهل او تسامح ، فقد كانت الاقليات عائرة على هامش الحياة غريبة عن اوطانها ، ورغم ما اُقتنت من اموال واخترنت احيانا من ثراء ، فقد كانت دائما مفتقرة الى الشعور بالعزة والكرامة ، وانسانيتها ، ومبدأ حرية العيش والمساواة مع الفئة الحاكمة التي لم تنعم بها فترة من الزمن عطيا وقانونيا معا .

وانه يخل للباحث احيانا ان الطائفية في لبنان لم تكن الا تجاوبا للطائفية المحيطة به ، او يبدو ان الانكماش اللبناني في معظم ادواره ما هو الا تجاوب لامتداد الطائفية المحيطة به وتخوفه من فرض نظم حياتها عليه ، فاذا ما الغيت الطائفية فيما حوله قد تصبح الطائفية فيه غير ذات موضوع ، وقد يكون من العبث محاولة الغاء الطائفية في لبنان من " الطروس " او النفوس كما يقال ، ما لم تشعر الاقليات ان من حولها يبادلها الشعور والنظرة الى الحياة في مسالكها وخطوطها العامة والهامة .

لهذا ان المسألة اللبنانية لا تعالج فقط وتشخص داخليا بل هي تفاعل لنظرة الشرق ونظرة الغرب للحياة ، ولبنان نظرا لموقعه الجغرافي ، وموقعه التاريخي ، هو منهما ، بين ، وبين ، متأثرا ومؤثرا في هذا التفاعل ، ولهذا برزت المسألة اللبنانية بيقظة الغرب وبلغت الذروة يوم بلغ التدخل الغربي ذروته باقتحامه معازل الشرق عسكيا وروحيا وثقافيا في منتصف القرن التاسع عشر ، وان حوادث الستين لم تكن الا نهاية فصل مؤلم او ذروة الاقتحام الغربي في هذا الجزء من العالم ، ولهذا كانت غاية هذه الرسالة ان تستشف المؤثرات الخارجية في المسألة اللبنانية وعلاقتها بالمسألة الشرقية ، انه ليلوح للباحث من تطور الحوادث ان المسألة اللبنانية برزت على شدها

(ب)

بالفتح المصري يوم حاول المصريون قلب الأوضاع باعنف الاساليب واسرعها ، فحرقوا الفئات المظلومة اجتماعيا فجأة ، وفرضوا العدل والمساواة بين الطوائف والطبقات في بعض النواحي ، في عصر لم يفقهها ولم يستسيغها ، ولكن عندما تعذر عليهم الثبات في البلاد ازاء تدخل الغرب لاغراض سياسية امتشقوا الذي انتزعوه واثاروا عن عمد او غير عمد ، بذور التفرقة الطائفية بين طائفتين ، وحدث بينهما عوامل عديدة وعاشت مدة من الزمن لم تعرف فيه خلافا طائفيا ، وغرسوا في قلوب الفئات والطوائف الحاكمة بذور الحسد والكراهة والانتقام وشجعوا العائلة الحاكمة على الجهر بمسيحييتها وابداً تحيزها ، ففتحوها المسألة اللبنانية على مصرعيها واتاحوا الفرصة للدول الأوروبية الكبرى التدخل تدخلًا سافرًا أدى الى التقسيم والغرض وظهور الانشقاق ليس على الصعيد الطائفي فحسب بل على الصعيد الطبقي الاجتماعي ، فتحرك الفلاحون في كسروان واضرموا ثورة اجتماعية تحولت فيما بعد الى حركة طائفية في الجنوب حيث كانت الفئة الاقطاعية من طائفة والفئة المزارعة من طائفة اخرى .

ولا ينسى ما كان للعوامل النفسانية من اثر فعال بعد اشتداد الازمة الشرقية ، فقد كان لبنان ولا يزال من اهم نقاط الالتقاء بين الشرق والغرب وهو الى هذا معقل او ملجأ المسيحية يتمتع بوضع خاص في الشرق الاوسط فكان بمثابة كبش المحرقة او قربانا للحضارة الغربية ، صبت افئدة الحقد جام غضبها عليه .

وهذا ما يفسر لنا قول الدكتور حتي انه من اعظم حوادث الشرق في القرن التاسع عشر ظهور لبنان بوضع دولي خاص ، ودخول معظم عناصر الحضارة الغربية للشرق عن طريقه .

على ضوء هذه الفطرية نستطيع ان نستجلي خيوط الفتنة الكبرى ، وان تبرز امامنا عوامل عديدة للكارثة ، وهنا يصح معنا القول المأثور انه ليس من حادثة تاريخية الا ووراءها اكثر من سبب خفي او ظاهر .

واخيرا لا بد من الاعتراف بديني الكبير لاساتذة دائرة الدراسات العربية والتاريخ في الجامعة الاميركية ، لارشاداتهم الثمينة ونصائحهم القيمة وهم الدكتور نبيه فارس رئيس دائرة الدراسات العربية ، والدكتور زين زين رئيس دائرة التاريخ ، وادخل بالذكر الدكتور كمال صليبي الذي اشرف على رسالتي هذه وانسج لي مجال البحث والمناقشة والاستفادة من خبرته وتوجيهه الرشيد .

كامل ديب

بيروت ، الجامعة الاميركية ١٠ حزيران ١٩٥٧ سنة

## المقدمة عرض الفكرة

صفحة

- اولا - المسألة اللبنانية جزء من المسألة الشرقية .  
ثانيا - المسألة اللبنانية هي ذروة الاحتكاك في منتصف القرن  
التاسع عشر للاقتحام الغربي للشرق روحيا وثقافيا وسياسيا  
ومسكريا .

## الفصل الاول اوضاع لبنان في الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر

- اولا - الوضع السياسي العام  
١ - علاقة ولاية الاتراك بلبنان  
٢ - وضع لبنان السياسي الخاص  
(١) عوامل الوضع الخاص  
(٢) دلائل هذا الوضع

- ثانيا - الوضع الطائفي  
١١  
١ - موقف الاتراك من الطوائف، نظام الملل .  
٢ - ظهور الطائفتين الكبيرتين فيه  
(١) الموارنة  
(٢) الدروز  
٣ - علاقة الطائفتين قبل الحوادث ووحدهما  
(١) التعايش السلمي وعوامله  
(٢) دلائل التعايش السلمي .

٢٥.

ثالثا - الوضع الاقتصادي والاجتماعي

## الفصل الثاني

عوامل تغيير الاوضاع في لبنان في النصف الاول من القرن  
التاسع عشر ، واهمها الاقتحام الغربي للشرق ، روحيا وثقافيا  
وسياسيا وعسكريا .

٢٩ اولا - الحملة المصرية مظهر غير مباشر للاقتحام الغربي في نواحيه  
الاربع السابقة

- ١- القائد المصري رائد الحضارة الغربية وناشرها في الشرق
- ٢- موقف الطوائف من الحملة المصرية
- ٣- اصلاحات وتنظيمات ابراهيم باشا

٤١ ثانيا - تكاثر الرسائل الاجنبية في العهد المصري

- ١- الرسائل الانجيلية
- ٢- الرسائل الكاثوليكية

٤٨ ثالثا - يقظة الطبقة الوسطى

- ١- وهي الطبقة العامة من جراء مدارس الرسائل
- ٢- ثراء الطبقة العامة في العهد المصري وبعده

٥٥ رابعا - تنافس بريطانيا وفرنسا في لبنان

- ١- المسألة المصرية تفتح المسألة اللبنانية على مصراعها
- ٢- سياسة بريطانيا وفرنسا تثير النفور بين الطائفتين

٦٥ خامسا - اشتداد أزمة المسألة الشرقية

- ١- اشتداد التدخل الاجنبي في الامبراطورية العثمانية
- ٢- مجارى هذا التدخل .

### الفصل الثالث

#### تأثير عوامل التغيير في الاوضاع في لبنان

٢٨

##### اولا - تأثير الحملة المصرية

- ١- تشجيع الامير بشير الكبير على المجاهرة بمسيحيته وتحيزه للموارنة .
- ٢- بطش الامير الكبير بالاقطاع وسوء معاملة الامراء الشهابيين للدروز
- ٣- اغراء الموارنة على محاربة الدروز
- ٤- انكلاء روح الحسد والتعصب بين الطوائف
- ٥- الفتنة الاولى ١٨٤١

١٠٣

##### ثانيا - تأثير تكاثر الارشاليات في لبنان

- ١- تخاصم الطوائف المسيحية بشير تعصب الطوائف الاخرى
- ٢- اختلاف الطوائف المسيحية اتاحت تدخل رجال الدين بالسلطة الزمنية .

١١٠

##### ثالثا - تأثير التنافس البريطاني الفرنسي في لبنان

- ١- قصة الجبل الى قائمقاميتين
- ٢- احتضان بريطانيا للدروز ومعاضدة فرنسا للموارنة
- ٣- سياسة الدولتين شجعت الطائفتين على تفاقم التوتر بينهما
- ٤ - الحركة الثانية ١٨٤٥ .

١٢١

##### رابعا - تأثير يقظة الشعب

- ١- ثورة الفلاحين الشعبية في كسروان واسبابها

٢- امتداد الثورة للاقطاع الدري

٣- اصطباغ الثورة باللون الطائفي

خامسا - تأثير اشتداد الازمة الشرقية

١- حالة الادميين عامة في الامبراطورية العثمانية

٢- ارتفاع موجة التعصب

٣- تأثير تكهرب الجو في لبنان



## الفصل الرابع

تفاعل وتضافر العوامل السابقة لاثارة الفتنة  
المناسبات والاسباب المباشرة لاضطرابها

١٣٥

اولا - تغيير نظرة الاتراك الى وضع لبنان الخاص

١- اسباب تعديل نظرة الاتراك الى لبنان

٢- دلائل تغيير موقف الاتراك

ثانيا - المناسبات

١٤٠

١- حرب القرم وازدياد التدخل الاجنبي في لبنان

وارتفاع حمى التعصب .

٢- تولى خورشيد باشا الحكم في بيروت ،

وفاة البطريرك الخازن والامير حيدر اللامي .

سوء سياسة سلفيهما .

ثالثا - الاسباب المباشرة

١٤٢

١- فرور الموارنة وحقن الدروز

٢- انتشار الفوضى

١٤٩

رابعا - الشرارة الاولى

١- اسبابها

٢ - موقف الاتراك منها

١٥٢

خامسا - خاتمة وتعليق

## الفصل الاول

### اوضاع لبنان في الامبراطورية العثمانية

#### ١ - الوضع السياسي العام :

##### (١) علاقة الولاة الاتراك بلبنان :

استولى الاتراك على سوريا بعد ان قهروا قوات المماليك في معركة مرج دابق ودخل السلطان سليم دمشق فاستدعى امراء لبنان اليه . وبينهم فخر الدين المعني الذي القى كلمة بين يديه فاعجب به وجعله مقدما على الجميع<sup>(١)</sup> وابقى للبنان الوضع الذي تمتع به سابقا ولكن بعمله هذا منح لبنان اكثر من ذلك . منحه السيادة الموحدة اذ مكن الاسرة المعنوية من الاعتلاء فوق سادة الجبل . ومن هذا الحادث يرى بداية تكوين لبنان السياسي ومظهره على المسرح العالمي ومنه نشأت اسباب الصراع الطويل بين لبنان والدولة العثمانية .

وكانت سوريا في عهد المماليك ست ولايات فجعلها الاتراك ولايتين ثم ثلاثا فاربع ولايات<sup>(٢)</sup> وكان جنوبي لبنان خاضعا لولاية دمشق وشماله لولاية طرابلس . ثم شكلت ولاية صيدا ١٦٦٠ لمراقبة الامراء المعنويين بعد ثورتهم<sup>(٣)</sup> ونقلها الجزار الى عكا . ثم انشئت ولاية بيروت بعد ثورة الامير بشير الثاني

---

١ - طنوس الشدياق ، اخبار الاعيان في تاريخ لبنان ، (بيروت ، ١٨٥٩) ص ٢٥١ .

٢ - اسد رستم ، بشيريين السلطان والعزيز ، ١٨٠٤ - ١٨٤١ ، (بيروت ، ١٩٥٥) ، ص ١ .

٣ - الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ ، يذكر تشرشل ان الولاية انشئت ١٦٦٨ .

لمراقبة لبنان عن كتب (٤) وكانت الولايات خاضعة لسلطة عسكرية واحدة مركزها دمشق، ولقب القائد مشير العرض الهايوني الخامس.

ويتحتم على كل ولاية ان تمد الدولة بعدد من الرجال ودفعة من الاموال، وكانت هذه الولايات تنبع احيانا بالميزاد العلني للدافع الاكبر من المتنافسين على الحكم والسلطة. فكان سعر الولاية من ثمانين الف الى مئة الف "دكا" والدكا تعادل عشر فرنكات. (٥) وكانت سياسة الاتراك الاكثار من عزل الولاة (٦) لغرضين مهمين على الاقل. اولاً، اضعاف مركز الولاة. وثانياً، اشباع نهم السلطة لجمع الاموال بتجديد عقود البيع والشراء لتغطية تذيير الحرم (٧) ومصاريف الحرب.

---

٤ - المصدر نفسه، ص ٦١٥.

٥ - Henri Lammens, Petite histoire de Syrie et du Liban, (Beyrouth, 192), p.80.

Ibid.

- ٦

بلاحظانه في خلال ١٨١ عاماً من ١٥١٦-١٢١٧ تولى دمشق ١٢٢ والياً. وفي خلال تسع سنوات عاصر احد السلك الدبلوماسي الاجنبي تسع ولاية في حلب.

M. Jouplain, La Question du Liban, etude d'histoire diplomatique et de droit international, (Paris, 1860), P.84.

٧ - Richard Davey, The Sultan and His Subjects, (London, 1907), p.92.

محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، اسباب انحطاط الامبراطورية

العثمانية وزوالها، (بيروت ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٢٦.

لبنان مثلاً عرف ما بين ١٨٤٠-١٨٤٥ ست ولاية اترك يضاف اليهم عدة هيئات سياسية تركية.

وكان لبنان مقسما لمعاملتين<sup>(٨)</sup> معاملة طرابلس خاضعة لولاية طرابلس وكان يدفع عنها الامراء الشهابيون ١٢٠ كيسا، والمعاملة الجنوبية تابعة لصيدا او عكا والمدفوع عنها ٤٠٠ كيسا.<sup>(٩)</sup> وكان والي عكا هو الذي ينصب الامراء ويخلق عليهم السلطة، وكان الجزار افطع ما ابتليت به ولاية عكا وسوريا عامة، يعرف تنافس الامراء الشهابيين على الحكم فيخادعونهم اميرا بعد امير ويذكي الاختلاف بينهم فاذا ما تصافوا حقد عليهم وتجز غيظا.<sup>(١٠)</sup> وكان من جراء منافسة<sup>(١١)</sup> الامراء ان بلغ سعر الخلعة تسعة آلاف كيس وارتفعت القيمة في زمن عبد الله باشا الى ١٢٠٠ كيس.<sup>(١٢)</sup>

وكانت هذه السياسة تثير الحركات الشعبية في لبنان احيانا من جراء كثرة الضرائب ولاسيما في كسروان فتأروا منادين بالعصيان، وقد اضطر الامير بشير تحت ضغط الحوادث ان يستقيل معلنا عجزه. قال الشدياق،

- 
- ٨ - في معاملة طرابلس ٨ مقاطعات وفي معاملة صيدا ١٦ . فمعاملة صيدا بدأت عند مصب نهر الاولي بالقرب من صيدا وانتهت عند جسر روماني قديم شمالي جونية، دعي جسر المعاملتين لانه كان الحد الفاصل بين المعاملتين . وشملت معاملة طرابلس جميع ما وقع بين جسر المعاملتين وبين نهر البارد شمالي طرابلس ودخل في لبنان ايضا اكثر سهل البقاع وعلمك وجميع المنحدرات من جبل الشيخ . الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ١٩ - ٢٣ .  
رسم ، بشير بين السلطان والعزير ، ص ٢ .

- ٩ - Lieut. Colonel E. Napier, Reminiscences of Syria and the Holy Land, (London, 1847), v.I, p.204.

- ١٠ - الشدياق، المصدر نفسه ص ٧٠ .

- ١١ - Henry Guys, Beyrouth et le Liban, relation d'un séjour de plusieurs années dans ce pays, (Paris, 1850), v.II, p.117.

- ١٢ - وبلغت القيمة في العهد المصري ٥٢٠٠ كيسا والكيس ٥٠٠ غرشا .

الدكتور مخايل مشاقة ، انتخابات من الجواب على اقتراح الاحباب

(بيروت ١٩٥٥)، ص ١٤٢ .

ولما رأى الأمير أن تقلب الوزير معه داء لا دواء له . وأن ارتباط العامة لا ينفع . كتب إلى الوزير قائلاً " انني عجزت عن الاحكام وقد تركت بلادى وهيالي وتوجهت نحو بلاد دمشق " . (١٣)

## (٢) تعصب الولاة

ولاسباب اخرى كان الولاة يرغبون في ان تستمر المشادة والمزاحمة بين الامراء لارهاق جميع الاحزاب وبسط نفوذهم فيه . ولعل من اخطر الاساليب التي تذرعوها بها مؤرخوا اثارة روح التعصب والطائفية في لبنان وذلك منذ ستميل القرن التاسع عشر . قال مشاققه " ولم يكن للجزار سبيل للمداخلة في شؤون لبنان . . ارسل عصاية لالقاء بذور الفتنة بين مشايخ الدرروز والامير بشير . . فانتشرت جواسيسه بالجبل يحسن للدرروز الفتك بالنصارى ويعددهم بالمساعدة " . (١٤)

وقد اشتهر عبد الله باشا خليفة الجزار في عكا بتعصبه وملاحقة الامراء اللبنانيين في امورهم الداخلية . ويذكر ان عبد الله باشا عرض على الأمير ان يعتنق مذهب الاسلام نجاة له من اضطهاده المتلاحق . (١٥) وهكذا نرى انه في معظم الاحيان كان عدم الاستقرار في لبنان صدى لتدخل الولاة في شؤونه .

---

١٣ - الشدياق، المصدر نفسه ، ص ٥٥٠ .

١٤ - الدكتور مخائيل مشاققه، شهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، (مصر ١٩٠٨) ،

ص ٥٥٨ .

ملاحظة : لمدة طويلة وهذا الكتاب يعتقد بانه من تأليف الدكتور مشاققة ولكن الدكتور رستم يستبعد ذلك . راجع مقدمة منتخبات الجواب على اقتراح الاحبات للدكتور مخائيل مشاققة .

١٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ . راجع حادث غضب عبد الله باشا على الأمير لانه تمنع

من اكل اللحم يوم الجمعة العظيمة السابقة للفصح بعد معركة نابلس .

سعيد الصغير، بنو معروف في التاريخ ، (عرومان ، ١٣٢٤ هـ) ، ص ٢٥٠ .

## وضع لبنان السياسي الخاص:

ورغم محاولات بعض ولاية الاتراك في سوريا لبسط سلطتهم على لبنان فلم يفلحوا وبقي لبنان محافظا على طابعه الخاص. قال يوسف السودا: "ان نظام لبنان عام ١٨٦٠ لم يحدث حدثا. ارجع الى ما شئت في تاريخه تراه ممتازا عما يكتشفه من البلاد، حائزا على استقلال خاص، تارة يكون تاما وطورا نحي وبسبب الظروف". (١٦) والواقع ان ثمة عدة عوامل ساعدت لبنان على تفرد بهذا الوضع الخاص عن سائر الولايات، وهو كما يحلل رستلهوبر "بان لبنان اقلت هذه المرة من يد الفاتحين الترك بفضل موقعه الجغرافي، اذ لم يشأ السلطان سليم ان يعطل حركات جيوشه في حرب جبلية واكتفى بطاعة امراء الجبل مقابل جزية صغيرة يؤدونها له، ويادر الى فتح مصر". (١٧)

وباعتقادنا ما صح على الاتراك يصح على الفاتحين العرب اذ لم يشأوا ان يكبدوا جيوشهم حربا جبلية لم يألّفوها ولا مغنم كبير بعدها فاكثفوا باحتلال السواحل وقد يكون لبنان في عرقهم آنذاك اشبه بصومعة او مجموعة اديرة ومعابد اوصت الشريعة والتقاليد العربية باحترامها. وقال تشرشل منذ حكم الاتراك وجبل لبنان يتمتع قليلا او كثيرا بنوع من الاستقلال الحقيقي وحاول الاتراك مرة خرق حرمة تقاليده فلحقهم اللبنانيون في معركة عين دارا درسا قاسيا. (١٨)

وذكر ناپير ولبنان كمعظم البلاد الجبلية، كان منذ اجيال ملجأ المضطهدين وموئل الحرية والاستقلال، ومن مزاياه الخاصة انه قلعة في قسم من العالم كان ولا يزال مسرحا للحوادث المهمة المؤثرة بالجنس البشري. (١٩)

---

١٦ - يوسف السودا، في سبيل لبنان، (بيروت ١٩٢٤)، ص ٣.

١٧ - Rene Ristelhueber, Les Traditions francaises au Liban, (Paris, 1925), p.24.

١٨ - C. Churchill, Mont Lebanon. A Ten Years Residence, 1842-1855, 3 vols. (London, 1855) I, p.24.

١٩ - E. Napier, op.cit. v.I, p.185

وقال يوركهارت ولبنان لم يكن جزءاً من الامبراطورية العربية. ولم يخضع للعلميين وحاول اليهود قبلهم فلم يفلحوا بافتحائه، وهكذا في كل غزو بقي لبنان سيد نفسه. (٢٠)

ولا شك ان نظام تقسيم الرعايا على اساس ديني منح الاقليات نوعاً من الحكم الذاتي (٢١) وهذا النظام كما عرفه المؤرخ تونبي ليس بهيئة دينية صرف ولا هيئة سياسية صرف بل يجمع بين مزايا النظامين. (٢٢) ويعزو بهم وغيره من المؤرخين ضعف الدولة العثمانية الى هذا النظام فقال انهم منحوا الاستقلال الديني للملل فاعترفوا بحقوق البطريرك الارثوذكسي وتركوا له ولجلسه حق الحكم في الاحوال الشخصية من رعيته وفي بعض القضايا المدنية والجنائية زادوا في سلطته وامتيازاته. (٢٣) فالسلاطين كانوا يحطون على توسيع مدى الخطوط التي تفصلهم عن رعاياهم عوضاً عن اهتمامهم بصهر العناصر المختلفة الخاضعة لهم ببهوتة واحدة. (٢٤) كما ان نظام جباية الاموال للدافع الاكبر شجع الحكام على ان يصبحوا اشياء مستقلين. ويظهر انه كان للبنان ميزة خاصة في جباية الضرائب والاموال ويستنتج هذا من عريضة قدمها امراء ومشايخ لبنان الى الباب العالي في ٢٢ ايار سنة ١٨٤٢. (٢٥)

٢٠ - "At the source of history in the most extraordinary of invasions, — we find Lebanon alone mistress of herself."

David Urquhart, The Lebanon (Mount Souria). A History and a Diary, 2 vols. (London, 1860), v.I, pp.8,22.

٢١ - بهم، المصدر نفسه، ص ٨٤.

٢٢ - Arnold Toynbee and K. Kirkwood, Turkey, (London, 1926), p.27.

٢٣ - بهم، المصدر نفسه، ص ٨٤.

٢٤ - المصدر نفسه، ص ١٠٤.

٢٥ - مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان،

١٨٤٠ - ١٩١٠، تعريب فيليب وفريد الخازن (جونه ١٩١٠)،

ج ١ ص ٢٨.

ومن ملحق المفاوضات التي دارت بين ممثلي الدول الخمس في جلسة ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ مع ناظر الخارجية العثمانية جاء ما يلي مم اورد مثلو الدول عدة ادلة معززة بشواهد تاريخية بيانا بوجوب مراعاة اهالي لبنان ومعاملتهم بالحسنى وبكل ما تقتضي به الفطنة . . وتذكيرا بان السلاطين العظام طالما راعوا اiban عزهم واقتدارهم جانب اللبنانيين وامتيازاتهم . (٢٦) قال رستم "وفي العهد المصري بقي لبنان محتفظا بامتيازاته فبقي مستقلا عن المديريات الثلاث المحيطة به . . ودليلنا على هذا القول ان الحكمدار يقول في احدى رسائله الى ابراهيم باشا انه كتب يستعلم عن محل اقامة الامير فتبين له انه مقوم في مشغرة وان هذه ضمن حدود لبنان فاوقف فرسانه عن الملاحقة" . (٢٧)

ولم يكن هذا الوضع الخاص ناجما عن وضع البلاد الجغرافي او بسالة شعبه فحسب بل يعود الى اعتبارات اخرى منها كما سيذكر فيما بعد . اولاه وجود ملتين كبيرتين مجتمعه كل منهما على الاكثر في مكان واحد، وتكاد كل منها ان تكون فريدة نوعها في الامبراطورية كلها، بل في العالم . ثم نظرة الاتراك لهم كخوارج عن مذهب الاكثرية الاسلامية والمسيحية وحدثت اواصر الالفة بينهما فشهادة الدروز لم تكن مقبولة في المحاكم . فهم شرعا من هذه الناحية كالمسيحيين . (٢٨)

ويروى يوركهارت انه بمناسبة اعتناق احد الدروز المذهب المسيحي اصدرت احدى محاكم بيروت فتوى تجيز ذلك مع انه من المعلوم ان تنصر المسلم

---

٢٦ - المصدر نفسه ، ص ١١٢

٢٧ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١٠٥ . نقلا عن المحفوظات الملكية

المصرية ، ج ٥٣ ص ١٠٢ - ١٠٣ و ٢٤٦ - ٢٤٨ .

٢٨ - الخوري قسطنطين الباشا ، تاريخ طائفة الروم الملكية والرهينة المخلصية ،

(صيدا ١٩٣٨) ، ص ٤٨١ .



فجزاؤه الموت. (٢٩) ويؤيد هذا ما كتبه بعض المرسلين الانجليين. (٣٠)

### (٣) حماية الغرب لهم

ويتضح انه من اهم العوامل في تطور هذا الوضع الخاص او المحافظة عليه هو علاقة لبنان مع الغرب. (٣١) ولا سيما علاقة الموارنة مع روما ومع فرنسا على الاخص. وقد كانت هذه الدولة اولى الدول الاوروبية الكبرى التي كانت على صلات ودية وقوية احيانا مع الاتراك فاذا كان الدور حمانه وترسه الواقى فسي الداخل فقد كان سفراء فرنسا ومن اليهم يهون ويتعهدون الخطر من الخارج .

فكانت ملوك فرنسا لا يفتأون يعطون الاوامر لسفرائهم مشفوعة بالتوصيات بالملمة المارونية كما جاء في توصية لويس الرابع عشره تأخذ ونضع تحت حمايتنا وحراستنا الخاصة غبطة البطريرك وكل الاكليروس الذين يسكنون خاصة في جبل

---

D. Urquhart, op.cit. v.1, p.51.

- ٢٩

George Scherer, Mediterranean Missions, 1808-1870, (Beirut, 1951), p.49.

- ٣٠

٣١ - بهذه المناسبة نذكر محالفة الامير فخر الدين الثاني مع مسيحيي اوروبا ومفاوضته السرية مع قداسة البابا وان صحت رواية الاب قرآلي ، وهي مأخوذة من وثائق الفاتيكان الرسمية . فقد عرض الامير اللبناني على الفاتيكان احتلال البلاد المقدسة وجعل لبنان مركزا لكتلكة هذه الامارة . الخوري بولس قرآلي ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان وفردناند الثاني

امير تسكانا ١٦٢١-١٦٣٥ ، (حريصا ١٩٣٨) ، ص ٣٥٠ .

وفي شهر شباط ١٨١٧ يكتب قداسة البابا للامير بشير شاكرا عطفه على الموارنة وسماحه لهم بالاعتراف بحقائق الايمان الكاثوليكي دون اى مانع و ١٨٣٥ يكتب له قداسة البابا يشكر للامير حمايته التقليدية للايمان الكاثوليكي ويمدح تقبله لهذا الايمان لاول مرة ويهدى اليه صليبا وايقونة . رسم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١٣ .

لبنان ونريد ان يشعروا بذلك في كل مناسبة". (٣٢)

ولم يحمل رجال الثورة في فرنسا هذه التقاليد، فسفير الثورة في  
الاستانة وزع على القناصل نشرة ورد فيها ان الدستور الذي لنا شرف الحياة  
في ظلّه، والذي يمنح لكل شخص حرية المعتقد يجعلنا احرص من ذي قبل على  
الدفاع عن ديانة الروايا العثمانية الذين يعتنقون المسيحية. (٣٣)

(١) بعض دلائل هذه الامتيازات :

ويستدلون على امتيازاته من سائر الولايات بان الامارة فيه وراثية  
وانتخابية من قبل الاعيان، (٣٤) ثانياً، لا يتناول الامراء فيه مرتبات من قبل  
السلطة المركزية بل كان لهم حرية فرض الضرائب التي تعود نفعها اليهم  
مباشرة. (٣٥) ثالثاً، ملايير فرض عقوبة الاعداء وحقد المعاهدات احياناً، رابعاً،  
ان البطارقة فيه لا يعينون ببراءة عثمانية او مرسوم عثماني. (٣٦)

---

٣٢ - بيهم ، المصدر نفسه ص ١٠٤ .

Pierre Ghaleb, Le Proctectorat religieux de la France en Orient,  
(Avignon, 1913), p.169 f.

٣٣ - بيهم ، المصدر نفسه ص ١١٦ .

٣٤ - الشدياق ، المصدر نفسه ص ١٠٦ .

٣٥ - راجع مداخيل الامير بشير في كتاب : رسم باز ، (مذكرات ١٩٥٥) ص ١١٣ .

ويذكر ناير انه في وقت ما كان الامير بشير يعتبر اغني رجل في سوريا  
ان بلغت ثروته اكثر من مليوني ليرة استرلينية .

E. Napier, op.cit. v.1, p.213.

٣٦ - "Les Patriarchs maronites ne sont pas munis d'un berat de la  
Sublime - Porte". Le Comte F. Van Den Steen de Jehay, De la  
Situation legale des sujets Ottomans non musulmans, (Bruxelles,  
1908), p.504.

وبفضل هذه الامتيازات اصبح لبنان متحفا حيا طريقا لمعظم طوائف الشرق، وملجأ آمنا للمظلومين والضطهدين، ويخلق هنرى غير قائلا "ولم يستطع الباشوات حتى الان ان ينزحوا امتيازهم القديم الا وهو حماية المظلومين والمنكوبين، فسلطة متسلم بيروت لا تتجاوز غاية الصنوبر".<sup>(٣٧)</sup> وما هو جدير بالملاحظة ان في عصر الامير بشير الكبير نفسه التجأ الى لبنان اربع فئات تمثل بعض الطوائف الكبرى. فالتجأ اليه دروز الجبل الاعلى بتأثير اضطهاد النصيريين لهم.<sup>(٣٨)</sup> واحتسب به كاثوليك دمشق من اضطهاد الروم الارثوذكس لهم<sup>(٣٩)</sup> وهرب اليه قسم ارثوذكس طرابلس تخلصا من ضغط الوالي على المسيحيين.<sup>(٤٠)</sup> ولعل اطرف هذه الحوادث التجاء عدد من شباب المسلمين اليه تهربا من القوانين التي فرضها الكنج يوسف باشا، والي دمشق، وهي كما رواها مشاة كشاهد عيان قرض الوالي على كل مسلم ان يلتحق ولا يبقى بينهم امردا وان الحلاق الذي يحلق ذقن مسلم تقطع يده. فكانت ترى كثيرا من شبان دمشق المسلمين هاربين الى السواحل والى لبنان ليخلصوا من اطلاق شعر لحاهم لانه في عوايد الشرق لا يجوز حلقه من بعد اطلاقه مدى الحياة".<sup>(٤١)</sup>

وكان لبنان ايضا ملجأ لبعض الشخصيات المعروفة وهي اشبه بما يسمى اليوم باللاجئين السياسيين. ويعدّد رستم عددا من هؤلاء ويقول قاصح لبنان في حد قول الشاعر - حتى يوقي كل ملتجي - ويذكر منهم زعماء الانكشارية وقد التجأوا سنة ١٨٠٤ الى لبنان لخلاف وقع بينهم وبين والي حلب، ودام ١٨١٢ يلتجأ اليه مفتي دمشق، وكذلك متسلم طرابلس عام ١٨٢٤.<sup>(٤٢)</sup>

---

H. Guys, op.cit. v.1, p.11.

- ٣٧

- ٣٨ رستم، بشير بين السلطان والعزیز، ص ٣١.

- ٣٩ مشاة، المصدر نفسه، ص ٤١.

- ٤٠ المصدر نفسه، ص

- ٤١ المصدر نفسه، ص ٤١.

- ٤٢ رستم، بشير بين السلطان والعزیز، ص ١١.

## ٢ - الوضع الطائفي :

### (١) موقف الاتراك من الطوائف عامة :

وبفضل السياسة التي اختطها محمد الفاتح لخلفائه تجاه الطل ولاسيما ازاء بطريرك الاسكندرية الذي قام بتسليمه وتسليمه معا الرعية ، جريا على عادة الاباطرة المسيحية البزنطيين<sup>(٤٣)</sup> وبفضل نظام الطل الذي كان اشبه بدولة ضمن دولة تمتع الوعايا الذميون بحرية المعتقد ، وبما حرمت منه بعض الطوائف في حينه بالغرب<sup>(٤٤)</sup> وتشير المصادر الى حادثتين فقط هم بها الاتراك الايقاع بالمسيحيين فرفعت النكبة من جراء تدخل القتي او سواء من الاشخاص المفكرين ، فكان الشخص يعرف بطلته اكثر مما يعرف بهوية وطنه<sup>(٤٥)</sup>.

---

F. De Jehay, op. cit., p.88.

- ٤٣

A. Ubicini, La Turquie Nouvelle, p.346. (Quoted by Alfred Carleton, The Millet System, p.102, (Thesis, Princeton University, 1926: microfilmed).

Ibid.

- ٤٤

- ٤٥ - ومن اوسع المصادر على تطور مفهوم امة كتاب الفرد كارتون المشار اليه اعلاه وهناك مصادر اخرى تشير الى ان حالة الذميين في العهد التركي وقبل القرن التاسع عشر كانت الى حد ما وبالنسبة الى عصرها مرضية ثم تغيرت الاحوال بتدخل الغرب تدريجيا . ومن المصادر التي تتناول الموضوع ما يلي :

De Jehay, op. cit. p.23

H. Gibbons, Foundation of the Ottoman Empire, (Oxford, 1916), p.80

A. Toynbee and K. Kirkwood, op. cit. p.28.

R. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856 - 1876, (Thesis, Harvard University, 1942, Microfilmed), pp.45-48.

## ٢ - الوضع الطائفي :

### (١) موقف الاتراك من الطوائف عامة :

وبفضل السياسة التي اختطها محمد الفاتح لخلفائه نجاء الملل ولاسيما ازاء بطريرك الاسكندرية الذي قام بتسليمه وتسليمه عصا الرعية ، جريا على عادة الابطرة المسيحية البزنطيين<sup>(٤٣)</sup> وبفضل نظام الملل الذي كان اشبه بدولة ضمن دولة تمتع الوعايا المسيحيون بحرية المعتقد ، وبما حرمت منه بعض الطوائف في حينه بالغرب<sup>(٤٤)</sup> وتشير المصادر الى حادثتين فقط هم بها الاتراك الايقاع بالمسيحيين فرفعت النكبة من جراء تدخل الفتى او سواء من الاشخاص المفكرين ، فكان الشخص يعرف بطله اكثر مما يعرف بهوية وطنه<sup>(٤٥)</sup>.

---

F. De Jehay, op. cit. p.88.

- ٤٣

A. Ubicini, La Turquie Nouvelle, p.346. (Quoted by Alfred Carleton, The Millet System, p.102, (Thesis, Princeton University, 1926: microfilmed).

Ibid.

- ٤٤

- ٤٥ - ومن اوسع المصادر على تطور مفهوم املة كتاب الفرد كارتون المشار اليه اعلاه وهناك مصادر اخرى تشير الى ان حالة الذميين في العهد التركي وقبل القرن التاسع عشر كانت الى حد ما وبالنسبة الى عصرها مرضية ثم تغيرت الاحوال بتدخل الغرب تدريجيا . ومن المصادر التي تتناول الموضوع ما يلي :

De Jehay, op. cit. p.25

H. Gibbons, Foundation of the Ottoman Empire, (Oxford, 1916), p.80

A. Toynbee and K. Kirkwood, op. cit. p.28.

R. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856 - 1876, (Thesis, Harvard University, 1942, Microfilmed), pp.45-48.

**الطائفة المارونية :**

ويستنتج من مختلف الروايات والتقاليد المدرجة مراجعها أدناه رغم تعارضها وتناقضها أحيانا :

أولا - ان الطائفة المارونية ظهرت أولا في سوريا بين حمص وحماة وفي احضان السريانية. (٤٧)

ثانيا - انها انتقلت الى لبنان بتأثير الوجود والارشاد أولا منذ القرن السادس على الارجح. (٤٨)

Iskandar Abakarius, Book of the Marvels of the Time concerning the — 17  
Massacres in the Arab Country. Translated, annotated by J. Scheltens,  
under the title, The Lebanon in Turmoil, Syria and the Powers, in  
1860, (Yale, 1940), p.xiii.

٤٧ - الخوري بولس قرآلي الموارنة في لبنان، (جونيّه ١٩١١)، ص ١١ و ١٦.  
 مار اسطفان الدويهي تاريخ الطائفة المارونية في لبنان، (بيروت ١٨٩٠)،  
 ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧.  
 فؤاد بستانى، مار مارون، مجلة الندوة اللبنانية، عدد شباط سنة ١٩٤٩.  
 قرآلي، الموارنة، ص ١١ و ١٦.

- ثالثاً - ان الموارنة تعرضوا في سوريا لاضطهادات متنوعة من العرب والبياعية والطلبيين ولاسيما في القرن السادس والثامن وبعد انسحات الصليبيين. (٤٩)
- رابعاً - ان المسيحيين عامة والموارنة خاصة ارفعوا مرارا من السلطات الحاكمة في سوريا على اخلاء السواحل والاعتصام بالجبال منعا لهم من الاتصال بالدول المسيحية والغرب. (٥٠)
- خامساً - ان هذه الاضطهادات المتوالية وقد يكون الموارنة مسؤولين عن بعضها، وجدت صفوفهم حول قادتهم الروحية (٥١) ودفعتهم "الى الالتجاء" الى صخور لبنان الضيقة فآثروا الحرية مع صخرة على سهل ممرع مع اضطهاد،
- سابعاً - ان نزوح الموارنة الى لبنان اكسبه تاريخيا اهمية خاصة والا لبقي اسما جغرافيا في تاريخ سوريا. (٥٢)
- ثامناً - ان اتصال الموارنة بالصليبيين والغرب فيما بعد جعل هذا الجبل احد المنافذ الكبيرة التي دخل منها (نور) الحضارة الغربية للشرق ويعتبر الدكتور حتي ان اعظم حدث في العصر التركي الاخير هو ظهور لبنان كدولة شبه مستقلة وغزو الحضارة الغربية للشرق عن طريقه.

- 
- ٤٩ - المصدر نفسه ص ١٩
- ٥٠ - ابو عباس احمد البلاذري، فتوح البلدان، (ليون ١٨٦٦) ص ١١٦ و ١٢٦، ١٢٧ و ١٢٨.
- ٥١ - R. Ristelhueber, op. cit., p.15
- ٥٢ - "Lebanon" in the Encyclopedia Americana, (N.Y. 1951) v.XVII.

لا يزال نزوح الموارنة الى لبنان موضع خلاف، فالبعض يعتقدون ان المارونية ظهرت في لبنان بطريق الهمز ونزوح بعض الرهبان ويعتقد البعض الاخر ان الموارنة نزحوا بموجات صغيرة الى لبنان كما يذكر اسد رستم في كتابه الجديد وهو تحت الطبع وموضوعه تاريخ الكنيسة الارثوذكسية الانطاكية، والجائز ان يكون الامران.

كما ان هذه الاضطهادات ولدت فيهم "مقددا نفسانية" كالخوف والحذر الشديد من جيرانهم. قال احدهم "واما الموارنة فلم يكونوا يحبون الاقامة في المدن صيانة لحرمتهم الدينية"<sup>(٥٣)</sup> لهذا كان الدين العامل الاول في تكوين وحدتهم.

تاسعا - ان تصرفات امراء الجبل ولاسيما فخر الدين، تلك التصرفات المهدبة - على حد تعبير هنري غيز - التي ساس بها رعاية الازميين، اجتذبت الى المناطق الدرزية في فترات مختلفة هجرة من الشمال الى الجنوب<sup>(٥٤)</sup> ولاسيما عندما باشر بتحسين العاصمة، دير القمر، فاستقدم المهندسين من الغرب والصناع من مختلف الحرف من نصارى سوريا ولبنان.<sup>(٥٥)</sup> ففي منتصف القرن الثامن عشر مثلاً فرض الحرافشة على نصارى بعلبك ضريبة فادحة فاستأذنوا اللعبيين والتجأوا الى زحلة.<sup>(٥٦)</sup>

#### الدروز

وظهرت الدرزية في وادي التيم فالشوف فالمتن ثم انتشرت وهرفت بشمالي سوريا، على الاخص في جبل السماق غربي حلب<sup>(٥٨)</sup>

- 
- ٥٣ - الباشا، المصدر نفسه، ص ٩٠.
  - ٥٤ - H. Guys, op. cit., v.2, p.292.
  - ٥٥ - الباشا، المصدر نفسه، ص ٥٣.
  - ٥٦ - عيسى المفلوح، تاريخ مدينة زحلة، (زحلة ١٩١١)، ص ١٠٦.
  - ٥٧ - The Encyclopedia Britannica, 11th. Ed., Article, "Druzes".  
The Encyclopedia of Islam, (Leyden, 1913), Article "Druzes".
  - ٥٨ - الصغير، المصدر نفسه، ص ٢٣. سليم ابواسماعيل، الدروز، (بيروت، ١٩٥٤)، ص ٤١.



واضطرت كالموارنة ان تهاجر على موجات نحو لبنان ومع ان بعض قبائلهم المشهورة ارسلت من قبل حكام دمشق للدفاع عن الثغور السورية من هجمات الافرنج وقد كانت تكافأ خدماتها احياناً بالجحود والكران. قال تشرشل "وسهان ما رجع ملك الآشرف الى القاهرة بعد تغلبه على الصليبيين حتى حاول ان يخطهد ويهاجم طائفة لم تعد خدماتها لازمة له. فاهـز الى حاكم دمشق ان يأمر الدروز ببناء جوامع لهم وان يلاحظوا ويمارسوا مبادئ وشرائع القرآن ولما رفض الدروز انقض عليهم الجيش ودمرهم في معركة صوفر فاضطر قسم منهم ان يلتجأ الى حوران". (٥٩)

ولما قدم تيمورلنك الشام رحل سكان وادي التيم جميعاً الى لبنان ثم رجعوا مع اميرهم بعد انسحابه. وجاء في مجمع المسرات "ونذ ظهورهم اصطدم الدروز بشيعة وادي التيم وفي جنوبي لبنان فاجلوهم عنها". (٦٠)

وفي اوائل القرن التاسع عشر وفي حكم الامير بشير الكبير يهاجم النصيريون العائلات الدرزية بعنف وشدة في جوار حلب فيلتجأ منهم اكثر من ١٥٠٠ نفس الى لبنان حيث استقبلهم الامير باخلاص وجمعت الاموال لمساعدتهم (٦١). وهكذا نرى ان الطائفة الدرزية عانت ما عانت جارتها الطائفة المارونية من اضطهادات متوالية حطمتها على الاعتصام بمرتفعات لبنان. (٦٢)

ولم يكن لبنان اذاً مديناً فقط للطائفة المارونية بوضعه الخاص بل للطائفة الدرزية ايضاً التي كانت الترس النيع لصيانتة من عبث الاتراك وقد دعي بحق ردحا من الزمن "بجهل الدروز". قال تشرشل "وكم مرة حاول الاتراك في

---

C. Churchill, Mount Lebanon, v.I, p.285

- ٥٩

٦٠ - الدكتور شاكر الخوري، مجمع المسرات، (بيروت، ١٩٠٨)، ص ٢٣.

G. Chasseaux, Druzes of the Lebanon, (London, 1880), p.170

- ٦١

The Encyclopædia Britanica, "Druzes".

- ٦٢

المصر الاخير اخضاعه مباشرة لحكمهم فباؤوا بالفشل". (٦٣) وباعتقاد "شاسو" ان الدورز لم يصونوا الجبل بقوة سلاحهم فحسب بل باعتناقهم مذهباً مغايراً لمذهب الاتراك حالوا دون انتشار طوائف غير مسيحية اخرى. (٦٤) ويظهر من معظم المصادر ان لبنان بقي بعد الفتح العربي باكثرية الغالبة مسيحياً بمعتقداته و آرامياً بلغته.

---

٦٣ - C. Churchill, The Druzes and the Maronites, Under the Turkish Rule 1٩40 - 1860, (London, 1862), p.21

والواقع ان هذه المحاولات كانت من قبل الولاة لا من السلطة المركزية العليا في الاستانة.

G. Chasseaux, op. cit. p.383.

٦٤ -

يرجح رينه ديسو ان بعض القبائل العربية دخلت لبنان قبل الاسلام ويشير الى ان اسما أكبر العائلات اللبنانية تشير الى اصل عرسي. للاطلاع على دخول القبائل العربية الى لبنان والى دخول المسلمين اليه ولاسيما الى سواحله يشار بمراجعة المصادر التالية.

Rene Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam, (Paris, 1٩07), p.13.

ومن المصادر العربية - ابو عباس احمد البلاذري، فتوح البلدان.

صالح ابن يحيى، تاريخ بيروت، (بيروت، ١٩٢٧)، ص ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١.

عيسى المعلوف، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، (بعبدا،

١٩٠٢)، ص ٥٥٠.

٣ - علاقة الطائفتين قبل الحوادث ووحدهما :

ظروف مماثلة جمعت بين الطائفتين مكانا وزمانا فتجاور الفريقان وتقاسما "مر الحياة وصفوها" بشهادة جميع من اموا البلاد في فترات واحقاب متباعدة .

كتب احد رجال السياسة الى دولته "ولا يخفى ان النصارى والدروز لم يكونوا من قبل اعداء ولا عرفوا خلافا مذهبيا بل سلاليا منقسمين الى حزينين سياسيين ، قيسي ويمني" . (٦٥)

ويلاحظ جوبلان وهو يدون تاريخ الطائفتين قبل الحوادث في كتابه المسألة اللبنانية وحدة الطوائف تجاه الخطر التركي فيقول "ولكن رغم الاختلافات الحزبية هذه ، يتحدون بسرعة ان شعروا بالخطر" . (٦٦) ثم يروي جوبلان عن مجلة الشرق المسيحي ، ١٩٠٣ ج ١ ص ١٤٠ ، ان وفدا من الدروز والموارنة ذهب لمقابلة البابا وطلب مساعدته . (٦٧) ويروي الشدياق ان عام ١٦٠٦ وقعت فتنة بين مسلمي مجدل معوش فاتفقوا على بيع القرية فاشتراها منهم الامير علي ابن الامير معن باثني عشر الفا غرشا وسلمها للنصارى . (٦٨)

وكتب رستلهوهر "ومن يظن ان الموارنة والدروز كانوا اعداء فهو مخطئ" . كانوا على وفاق تام ، وبقيت الحال كذلك الى عام ١٨٣٢ . وقد حمل تعاونهم في القرون الوسطى على الاعتقاد بان الدروز من اصل مسيحي . (٦٩)

---

٦٥ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢١ .

٦٦ - M. Jouplain, La Question du Liban..., p.146.

٦٧ - الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .

٦٨ - Ibid. p.148

٦٩ - R. Ristelhueber, op. cit. p.22.

وقد ثبت ان الدروز انجدوا الموارنة في الشمال على طرد الشيعة من جوارهم فكان الدروز يخضعون لمشايخ النصارى والنصارى يخضعون لمشايخ الدروز عن نفس طيبة نادرة. (٧٠) وروى الدكتور شاكرا الخورى في كتابه مجمع المسرات "ولما حضر نصارى الشمال الى جنوبه في اوقات متفرقة عاشوا مع الدروز بالراحة والسكينة وكانت القرى التي تستقبل النصارى تسميها الدروز صاحبة الشرف". (٧١)

#### الدروز يساعدون بتشيد الكنائس والاديرة

ومن الادلة على حسن تعاون الطائفتين ما (٧٢) روى الخورى قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ طائفة الرزم الملكية ، قال : التمس رئيس الرهبان الملكيين الكاثوليك من الشيخ على جنبلاط ان يأذن له ببناء دير في احدى مقاطعاته وان يقيه وطائفته التعدى فانعم عليه بأرض من املاكه في اقليم الخروب شرقي جون ، وسلمه عقارات لمعاشر الرهبان فبنى الرئيس ديورا وسماه دير المخلص وقد بنيت في ايامه معابد كثيرة. (٧٣) ويثبت الخورى قسطنطين الباشا صورة فوتوغرافية عن رسالة ارسلها صاحب الارض وهو الشيخ قبلان القاضي الى سيادة المطران ، وفي الرسالة حجة للارض ويقول "وان شاء الله ما نرضى لكم بهذا بر ، لان يعلم الله ان حضرتكم هزاز وخاليين ، يد فرغت لاختها". (٧٤)

"و عام ١٢٩٩ ساعد الشيخ بشير نفسه بتجديد بناء دير مشعوشة للطائفة المارونية في اقليم جزين وساعد بكل ما يعود لصالح الدير ونموه ، واحسن الى هذه الطائفة في جميع مقاطعاته فبلغ ذلك بابا روما ، فارسل له مرسوما يتضمن

---

٧٠ - حصر اللثام عن نكبات الشام ، (مصر ، ١٨٩٥) ، (ينسب لنعمان القساطلي) ،

لذا نكتفي بالاشارة اليه حصر اللثام .

٧١ - شاكرا الخورى ، المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

٧٢ - الباشا ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .

٧٣ - الشدياق ، المصدر نفسه ، ١٣٧ .

٧٤ - الباشا ، المصدر نفسه ، ٢٣٧ .

مزيد الشكر من حسن مساهمته. (٧٥)

وبهذه المناسبة نذكر ان جريس مشاققة بنى جامعاً على حسابه في صور للشيعة لان اختلاف عقيدتهم عن السنة لا تجيز تأدية فروضهم الا في معابدهم. (٧٦) و عام ١٨٢٠ بنى الشيخ بشير جنبلاط كنيسة للموارنة في المختارة (٧٧) بعد ان وهبهم ارضها.

ويفاضل تشرشل بين حالة المسيحيين في الجبل وسوريا فيقول لقد ازدهرت احوال المسيحيين بين الدروز لان هؤلاء يفضلونهم على ابناء جلدتهم لمهارتهم في الزراعة فاصبح معظمهم من ارباب الثراء ، واتخذ الدروز منهم المدربين ، اى الكتبة والمستشارين ، فاصبح بعضهم اصحاب الارض ، فاقاموا الاديرة وشيدوا الكنائس واشتركوا مع الدروز في الصيد والعباد الفروسية. (٧٨) وقال ايضا اخر : ويتمتع الموارنة باتم حرية دينية في الجبل ، فالاجراس تفرع في انحاء الجبال وتتجاوب في الاودية ، وهم معافون من الخدمة العسكرية لا يرون جنديا تركيا واحدا بينهم . فهناك في الامبراطورية العثمانية جماعة من المسيحيين ، احرار ، لا تقل حريتهم عن حرية اية جماعة مسيحية في الغرب. (٧٩)

ويؤيد "باريار" ، وهو مرافق سليمان باشا في الحملة المصرية الى لبنان ، هذا القول ، فالموارنة يتمتعون بحرية مطلقة غير محدودة بممارسة طقوسهم ، رغم كره الاتراك لها فيحتفلون باعيادهم خارج الكنائس ويسرون مواكب مواكب حاملين الاعلام والشموع والصلبان. (٨٠)

- 
- ٧٥ - المطران باسيليوس قطان ، (بيروت ١٩٢٩) ، ص ١٦١ .  
٧٦ - م . مشاققة ، مشهد العيان ، المصدر نفسه ص ٥ .  
٧٧ - ط . الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .  
٧٨ - C. Churchill, Mount Lebanon, ... III, p.26  
٧٩ - Ibid, p.101.  
٨٠ - Ferdinand Perrier, La Syrie sous le gouvernement de Mehemet Ali jusqu'en 1840, (Paris, 1842), p.304.

والواقع ان الفضل الاكبر لهذا يرجع الى امرائهم واولهم فخر الدين الكبير، فقد ضرب مثالا رائعا للتساهل لمن بعده من الحكام، ويقول غير لقصد اكتسب شهرة اوروبية عظيمة نظرا لتصرفاته المهذبة وروح التساهل الذي ساس بها رعاياه المسيحيين حتى حمل تسامحه احد المؤرخين المسلمين على اتهامه بدهوة الناس سرا لاعتناق المسيحية. (٨١)

لقد اباح الامير المعني الكبير للمسيحيين ركوب الخيل المرسجة وحمل السلاح والاعتماد باللبياض وبناء الكنائس والاديرة وضرب النواقيس وازهار الشمائر الدينية في كل البلاد ما كان محظورا عليهم قبلا، وبقي محظورا في جميع الممالك العثمانية الى عصر السلطان محمود الثاني. (٨٢)

وكانت سياسة التساهل هذه مبعثا للقول، ان الامراء يدينون بجميع معتقدات طوائفهم، وخلافا للقول المأثور، الرعية على دين ملوكها، هنا انعكست الاية فالامراء على دين طوائفهم. فاذا مات امير شهابي يتولى الدروز دفنه على طريقتهم الخاصة بعد ان يتم رجال الدين المسيحي القروض الدينية وينسحبون. (٨٣) وهذا ما يفسر القول المشهور ان الامراء يولدون مسيحيين ويعيشون مسلمين ويموتون دروزا. (٨٤)

### عوامل الوحدة :

عوامل الوحدة عديدة اشتهرها على ما اعتقد :

---

H. Guys, op. cit. II, p.292.

- ٨١

الباشا، المصدر نفسه، ص ٥٣.

- ٨٢

H. Guys, op. cit. II, p.174.

- ٨٣

Ibid., p.155.

- ٨٤

اولا - كل منهما طائفة اقلية عانت الاضطهاد السياسي والديني من طوائفها الكبرى فالتجأت احدها الى شمالي لبنان والاخرى الى الجنوب وجمعت الحوادث بينهما فالتقيتا في قلب لبنان .

ثانيا - تشابههما من حيث انهما وحيدتان غريبتان خاصتان بهذه البقعة من العالم فقط . فقد كان تاريخ الشام متحفا غريبا لكل طريف من الاديان والمذاهب فهي البلاد التي تتفرد بطوائف لا تحصى من المذاهب الخاصة بها كالموارنة والدروز<sup>(٨٥)</sup> .  
ثالثا - الموقع الجغرافي فهما بنجوة الى حد من تدخلات الفاتحين المباشرة فلم يكن للسلطان على سكان الجبل من السلطة التي له في مصر او الشام لاعتصام هؤلاء بالجبل فاذا عز عليهم الامان في لبنان التمس فريق منهم النجاة في سفن البحار بالهرب الى قبرص والتجأ الفريق الاخر الى حوران<sup>(٨٦)</sup> .  
رابعا - نظام الملل المتبع في الدولة الذي جعل من الطائفة دولة ضمن دولة ، وهي منتشرة في انحاء فكيف بطائفة تجمعت في مكان واحد .

ويلاحظ ان دعوة الطائفتين ظهرت اولا خارج لبنان وان كان لها الى حد ما علاقة بشمال سوريا ، حماة ، فان اول خليفة فاطمي في مصر قدم اليها من سلمية "وانفذ ابو عبد الله السلمي الرسل الى المهدي في سلمية بدعوة للحضور الى افرقيها"<sup>(٨٧)</sup> "وقد حمل المهدي معه على ما ذهب ابن الاثير من سلمية جميع الكتب والوثائق التي كانت لابائه"<sup>(٨٨)</sup> واخيرا وليس اخرا - الاحترام المتبادل لعقائد بعضهم الشخصية وحرية ممارستها .

وذكر احد المؤرخين المارونيين انه لما اضطر الموارنة في الشمال ان يولوا عليهم حاكما من غير دينهم ، اشترطوا عليه ثلاثة امور مهمة جدا بل هي خلاصة

---

٨٥ - حسين مؤنس ، الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، (القاهرة ، ١٩٣٨) ، ص ٢٦٥ .

٨٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .

٨٧ - حسن ابراهيم حسن ، الفاطيون في مصر واعمالهم السياسية والدينية ، (القاهرة ، ١٩٣٠) ، ص ٥٢ .

٨٨ - المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

الاستقلال في عرفهم وهي الدين ، والعرض ، والدم ، فالدين حرية التعبد وانتخاب رجال الكنيسة ، والعرض من حيث الطهارة . . والدم بصبانة ارواح العباد .

والدروز طبيعة ودينا حريصون جدا على هذه الامور بل اشد حرصا من جيرانهم لان الدين بموجب مبادئهم وممارستهم علاقة شخصية وسرية ايضا بين الله والعبد ، واما الشرف والعرض فمقدس . كما ان الدعوة الدرزية قد اقلت بعد السنوات العشر الاولى ويؤيد ذلك قولهم "تست الدعوة واقل الباب" . ورغم ما اتصفت فيه بعض الحوادث من شراسة وفضاعة لم يستطع واحد من المؤرخين ان يذكر حادثة واحدة شاذة عن هذا المبدأ .

وهذا ما يلقي نورا على ما قاله الشيخ سعيد جنبلاط لستر يوركهارت احد رجال السياسة البريطانية في الشرق آنذاك وقد تجول كثيرا في لبنان . فقد علل الشيخ جنبلاط هذه الوحدة وهذا التآلف بعوامل دينية قال "تدري لماذا نحب الموارنة ويحبوننا؟ لامرين اولا لا نرفض ان نعتقد اي مسيحي منهم مذهبنا فالدعوة قد اخلقت ابوابها" باب "التدريز" او اعتناق مذهب الموحدين قد اقل ، فالدرزي قد يعتقد المسيحية ولكن ليس بالعكس ثانيا ان لا يعطو بناتهم للمسلمين ولا يسلموا . (٨٩) قال احدهم لثمانية اجيال عاش الطرفان معا بدون اي اختلاف ديني والظاهرة الغريبة في هذا البلد "لبنان" انعدام التميز بين الفريقين باللباس وكيفية اداء التحيات حتى في اسماء الاعلام . (٩٠) ويختم قوله بما يلي - "والخلاصة ان المسألة التي امامنا ليست مسألة تاريخية تعتمد على الوصف والنقل بل مسألة هندسية اقليدية تعتمد على العقل والاستنتاج وهي ان الدروز والموارنة شعب واحد . (٩١)

---

D. Urquhart, op.cit., v.1, pp.47, 211.

Ibid., p.48.

Ibid., p.55.

- ٨٩

- ٩٠

- ٩١



وبعد الفتنة الكبرى نفسها يكتب الورد دفرين مندوب بريطانيا في بيروت الى المسيو بولفر في ١٤ س ١٠ سنة ١٨٦٠ . لقد اوجز الى الدروز والمسيحيين ان يجتمع كل فريق منهما في جهة من لبنان ، فلا تضي عشر سنوات الا ويعود الاختلاط نظرا لميلهم الى الامتزاج معا لاسباب ثلاث - عداوتهما ليست دينية بل حزبية ، ثانيا ، هالحكما مجتمعة متعائلة ، ثالثا الوصل بينهما ليس كالوصل بين الموارنة وطوائف اخرى . (١٩)

عدد الطوائف في لبنان :

ويقول هنري غيز انه يستحيل وتلك الحالة في جميع انحاء تركيا ، ان نحصل على معلومات صادقة تمكننا من معرفة عدد السكان معرفة صحيحة ، وليس ما يذكر في هذا الباب الا تخمين مبني على تحريات وحسابات قائمة على افتراضات غامضة . اما احصائي الذي قدمته عن سوريا فهو نتيجة عدة معلومات مستقاة من مصادر صحيحة فحسب طويلا . (١٣)

المصدر	السنة	الموارنة	الارثوذكس الكاثوليك	الدروز	الشيعة	السنين	اليهود	المجموع
هنري غيز	١٨٤٣	١٥٣٠٠	( مع الموارنة )	٢٦٤٤٥	٥٣٩٥	٨٧٧٥	٩٢٠	١٩٣٨٣٥
الشدياق +	١٨٤٩	٨٧٠٠٠		١٢٠٠٠	٦٠٠٠			
المحررات السياسية	١٨٦٠	١٠٢٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٦٠٠٠	٢٨٠٠٠	٤٦٥	٢٧٥٤٩٠
دي تستا	١٨٦٠	١٦٦٠٠٠	٢٢٠٠٠	٤٠٠٠	٢٨٠٠٠	٩٠٠٠	٧٠٠٠	٢٣٦٠٠٠

+ يحصي شدياق المذكور فقط وفي المحررات السياسية يحصى المذكور ثم يضرب بخمسة للحصول على مجموع الاشخاص ، ويظهر ان احصاء دي تستا اقرب للمعقول نوما .

١٣ — الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٧١٩

المحررات السياسية ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، الطلح ص ٤٨١ ، وفيه سكان حصنها ، راشيا وزحلة .

H. Guys, op. cit., v.I, p.276.

Le Baron de Testa, Recueil des Traites de la Porte Ottomane, avec les puissances étrangères, Depuis le premier traite conclu, en 1536, entre Suleyman I et Francois I jusqu'a nos jours, Paris, 1864..1901, p.374.

### ٣ - الوضع الاقتصادي:

#### (١) رجالات الاقطاع:

اتبع اللبنانيون انذاك الحكم العشائري والاقطاعي على الطريقة التي لا تزال اثارها في الوقت الحاضر في بعض البلدان العربية كجوران مثلا . وكان لكل قم شيخ ثم مقدم ، وهو ذو القدم في الحسب والنسب ثم الامراء واشهرهم المعنيون ، الشهابيون ، والارسلانيون واللامعيون والحرافشة من الشيعة ، والمقدمون مثل ال مزهر ، والشيخ دروز ونصاري وشيعيون ومن اشهرهم جنبلاط ، نكد ، عماد ، الخازن ، حبيش .<sup>(٩٤)</sup> ويشترط ان يكون الامير الكبير من العائلة الحاكمة ينتخب من قبل القدمين والشيخ والامراء . وكثيرا ما كانت الحروب الداخلية تقع بين هؤلاء الامراء فينقسمون الى فريقين قيس ومعني ، وهم اشبه بالفرق الرياضية اليوم يلتحق بكل فريق رجال من جميع الطوائف والعائلات . وكانت العادة ان لا يثار حرب ضد الامير الكبير الا وفي الجبهة الثانية امير اخر من عائلته ولو طفلا .<sup>(٩٥)</sup> وكان الشيخ لترفعهم عن الاعمال لا يحسنون الكتابة فيتخذون في الغالب الكتبة والحاسبين من النصاري ، ويعرف الوكيل باسم كاخية .<sup>(٩٦)</sup>

وكان لرجال الاقطاع امتيازات يجب مراعاتها فلا يقتل احدهم ولا يحبس ولا يضرب واذا اذنب يكون قصاصه غالبا بمصادرة املاكه او بنفيه من البلاد .<sup>(٩٧)</sup>

#### (٢) انواع الارض:

املاك الامراء واملاك الاكليروس واملاك الفلاحين ، والفلاحين وهم الاكثرية الساحقة يستثمرون املاك الامراء والشيخ لقاء ربح الحصول او نصفه وجميع الذين

---

٩٤ - الباشا ، المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

٩٥ - ناصيف اليازجي ، رسالة تاريخية في العهد الاقطاعي ، حريصا ، ( ص ٢٠ .

٩٦ -

٩٧ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٤ .

اموا البلاد من سواح ورجال اعمال يمتدحون نشاط المزارع اللبناني ومنهم  
الرهبان الذين كانوا يقومون باشق الاعمال. (٩٨) ولقد انهكت قوى الفلاح فادحة  
الضرائب وتبلغ نحو مليونين ونصف من الفرنكات علاوة عما يدفع الفلاح منها  
بمناسبة الافراح والاتراح في ديار اسياده من خراف ودجاج وغير ذلك. (٩٩)

### (٣) انواع الضرائب :

نحان — الفرضة او مال الاعناق وهي تفرض على الاعزب كل عام خمسة  
فروش والمتزوج سبعة، وتسعة على من يسكن ضواحي بيروت، والاميرية على الارض  
فيدفع غرشا من كل مساحة سبعة فدادين، و١٨ غرشا من كل قطار زيت .  
والملك الذي يبلغ دخله زها، التي غرث يدفع ضريبة سنوية تساوي ثلاثين، الا  
ان حاجة البلاد و"بلع" الباشا قد يحملان على مضاعفتها اضعاف الاضعاف. (١٠٠)  
ويقول مشاققة "وبما ان ثلثي الاراضي الصالحة للزراعة بيد الامراء والمشايخ  
واوقاف للمعابد والكنائس واكثرها معنى من دفع الاموال الاميرية اصبح الفقراء  
يتحطلون اثقالها لذلك يوجد الوف من اهالي الجبل يتسولون في المدن ومنهم  
من يشتغل بلاجرة والوف خادمون في بيوت وحواميت اهالي المدن في سوريا  
ومصر فلا ترى مدينة الا مزدحمة بهؤلاء اللبنانيين من حدود

---

١٨ — ويقول موري عن الفلاح اللبناني :

"Every spot on which a handful of soil can rest, every crany  
to which a wine can cling, every edge on which a mulberry can stand  
is occupied."

I.H. Murrey, A Handbook for Travellers, (London, 1855), v.I, p.413.

H. Guys, op. cit., v.2, p.143.

— ١١

Ibid.

— ١٠٠

حلب الى مصر. (١٠١)

(٤) صادرات لبنان :

الحرير ويخرج منه سنويا من الف الى الف وخمسة قنطار وسعر القنطار عشرون الف فرشا . والزيت اكثر من الف قنطار والخمور بما فيها محصولات بيروت نحو ١٠٠٠ قنطار . وفيه من القمح ما يكفي اهله نحو ثلاثة اشهر وما تبقى يدخل اليه من البقاع. (١٠٢)

(٥) الاعمال والمهن :

بسيطة وخليطة كما وصفها هنري غيز واهمها الحياكة وتربية دود القز واكثر العمال يتقاضون اجرا لا يسد رقبهم فاكبر مبلغ يتقاضاه العامل نحسو فرنكين ونصف . ولعل اتعس طبقة هي طبقة العمال الذين يصرفون ثلاثة ارباع حياتهم بلا عمل بانتظار موسم القز الذي تستخدم فيه اذرهم وظهورهم ويذكر تشرشل ان العامل يستطيع ان يعيش على مصروف شلن في اليوم. (١٠٣)

---

١٠١ - م . مشاققة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٣ ، ١٥٣ .

وبموجب احصاء فولني كان الجبل يدفع في مستهل القرن الثامن عشر ١٦٠ كيسا ثم خفضت عام ١٧٦٠ الى ٨٠ كيسا ثم اصبحت سنة ١٨١٠ و ٢٠ كيسا وفي العهد المصري تجاوز الخمسة الاف كيس .

م . مشاققة ، المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

E. Napier, op. cit. v.I, p.214.

للدخول الامير بشير الكبير راجع باز ، مذكرات ، المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

H. Guys, op. cit. v.I, ch.VI, p.

- ١٠٢

C. Churchill, Mount Lebanon, v.I, p.43

- ١٠٣

وفي يوركهارت بحث خاص يتناول ميزانية احد الفلاحين (١٠٤).

---

١٠٤ - مصروف عائلة من اربعة اشخاص:			
غرشا	المدخول	غرشا	
٥٠٠	٢٠٠ شجرة توت تعطى	٣٥٠	ثمن قمح
٦٠٠	٢٠٠ كرمة	٨٠	" زيت
٨٠٠	" شغل شخصين	٨٠	" سمن
		٣٠	" خمر
١٩٠٠		٤٠	" مربيات
		٤٠	" لبننة
		٤٠	" عدس وسواه
		٦٦٠	" ثياب
		١٥٢٠	غرشا

---

## الفصل الثاني عوامل تغيير الاوضاع في لبنان

### اولا - الفتح المصري

المسألة اللبنانية في جوهرها ، جزء من المسألة الشرقية تفاقم امرها  
او برزت مظاهرها ، كلما حاول الغرب الضغط او التدخل في اوضاع الشرق  
الراهنه بواسطة لبنان او ما جاوره من البلدان الاخرى .

ولا ريب ان اول تدخل او اقتحام سافر في العصر الحديث على  
البلاد الاسلامية العربية هي الحملة الافرنسية على مصر ، وعلى رأسها نابليون ،  
” ذلك الرجل الذي ، كانا خلق ليصنع التاريخ اينما حل “ . (١)

تلك الحملة التي هيأت الظروف لشخصية فذة اخرى ، ظهرت في فترة  
الحوادث في مصر ، ثم لعبت دورا هاما جدا بتاريخ لبنان الحديث ، (٢) بل  
كونت الفصل الاول من رواية حوادثنا ، فتحت باب المسألة اللبنانية على مصرعيها ،  
ما حمل بعض المؤرخين على القول ان حوادث لبنان وكوارثه فيها بعد كانت  
نكمة او ردة فعل لما تمتع به المسيحيون في عهده من حرية ، وطمانينة ، وعدل  
ورخاء .

- 
- (١) محمد ضياء الدين الرئيس ، الشرق العربي والخلافة العثمانية . ص ٦٧
  - (٢) ابتداء التفاهم السياسي العسكري بين مصر ولبنان منذ ١٨٢٣ ، وعوامل هذا  
التفاهم التجاء الامير الى مصر ١٨٢٢ ، تأثير نديم الامير المعلم نقولا الترك  
الذي كان شديد الاعجاب بالعزیز وخبير وعلیم بقوته ودهائه ، ويقول اسد رستم  
” ولعل الفضل في هذا يعود الى فرنسا صديقة الاثنيين معا والى الفاتيكان الذي  
رأى من الاثنيين في معاملة النصارى في الشرق ما لم يره من غيرها من قبل  
” رستم بشير بين السلطان والعزیز ، ج ١ ، ص ١٥ ، ١٢ .

وان الفتنة الاولى وقعت بعد خروج المصريين بقليل وان ابراهيم باشا نفسه شعر وهو على اهبة مغادرة البلاد نهائيا ١٨٤٠ بما يضر المسلمون للمسيحيين فهددهم بالرجوع لسيانته<sup>(٣)</sup> ، وان في حوادث ١٨٦٠ فكرر وزير خارجية فرنسا آنذاك بطلب جيوش مصرية لاختاد الثورة<sup>(٤)</sup> .

وبما كانت الاسباب التي حملت محمد علي باشا على اقتحام سوريا<sup>(٥)</sup> فهذا الغزو في عرفنا مظهر غير مباشر للاقتحام الغربي في الشرق فالفاتح المصري ، يعرف معظم المؤرخين ، رائد للحضارة الاوروبية في مطلع القرن التاسع عشر ، فهو اول من افاق سوريا من سباتها بعد نابليون بل تركيا ، وانه بحق يدمى نابليون الشرق ، وانه بحملته هذه يتم حملة بونابرت ، وقد ابتدأت هذه بحكا ، حيث انتهت تلك ، ونهج نهج نابليون في بعض حروبه وناشيره<sup>(٦)</sup> وكان للمنشور الذي اذاعه في القدس في معاهدة الذميين عامة صدى بعيد في الاوساط الاوروبية نفسها جعلها تستبشر بعهد رخاء وهنا للشرق<sup>(٧)</sup>

(٣) Souvenirs de Syrie, Expedition française de 1800, "Un témoin Oculaire.", ( Paris, 1903 ) , P. 100.

France: Ministre des affaires étrangères, Documents diplomatiques, (٤) (Paris, 1861) P.193.

(٥) Asad Rustum, The Royal Archives of Egypt and the Origin of the Egyptian Expedition to Syria (Beirut , 1946) p.49 .  
Henry Dodwell, The Founder of Modern Egypt, A Study of Muhammed Ali, (Cambridge, 1931) p. 167.  
F. Perrier, Op. cit., p. 339.

يراجع ايضا لاسباب الحملة باسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية . قال شاسو " ان ابراهيم باشا كان من اكبر محتركي تجارة الخشب ، احراج بكاملها كانت ثمن وتعلن تحت ضربات فؤوسه من جبال طوروس الى جبال لبنان "

G. Chasseaux, op. cit., P. 304

Frederick S. Rodkey, The Turco-Egyptian Question in Relation of England, France and Russia 1832-1842 (Urbana. 1924) p.36.

(٧) اسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية . بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها

ويوضح مقاصد محمد علي الكبير . ٤ اجزاء وجزء فهرس (بيروت ١٩٤٠) ص ٢٥٢

بشير بين السلطان والعزيز ص ٩٨



ولا شك ان الاثر الفعال والمظهر الاقوى في قلب الاوضاع في سوريا ولبنان من جراء الحملة المصرية هو الاصلاحات والتقطيعات والقوانين التي فرضها الفاتح المصري فكان لها الصدى البعيد ، والاثر الكبير في نفوس الطوائف والطبقات المختلفة ، مما اثر بتحديد مواقفها واتجاهاتها من الفاتح ، ومن بعضها البعض الاخر .

### موقف الطائفتين الكبيرتين منه وانقسامها تجاه الحملة

وهنا ، ولعلها لأول مرة في تاريخ لبنان نسمع بقتال او هراك طائفي منذ عهد المماليك على الاقل ، بعد ان تعرض سابقا لعشرات الاشتباكات الحزبية ولم يشر الى الصراع الطائفي لا تلميحاً ولا تصريحاً بلفظي درزي وماروني ، يقول الشدياق \* وبعد ان شاهدت سوريا طلائع الجيش المصري التي حاصرت عكا في غضون ذلك حدث قتال بين الدرزي والنصارى في دير القمر ، وزحلة والمتن ، وظهرت الافراض وهزمت الدرزي على الاجتياح في حمانا ضد الامير ليشغلوا ابراهيم باشا من قتال عسكر السلطان في حمص .<sup>(٨)</sup>

### موقف الدرزي

وكتب الشدياق ايضا \* ثم لما وصلت كتابة السير عسكر الى الامير ولم يعبأ بها ، هاجت الدرزي وجعلوا يرسلون بعضهم سرا زاهين انه لا بد من ان الدولة العثمانية تقوى على الدولة المصرية وفي اتنا ذلك امر ابراهيم باشا الامير خليل ان يتوجه بالف مقاتل الى طرابلس<sup>(٩)</sup>

---

(٨) رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ج ٢ ص ٢٨٤

الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٥٧١ .

(٩) المكان نفسه ، ص ٥٩٦

ويلوح لنا ان الامير استشف نوايا بعض رعاياه ازاء الحملة المصرية فخلافا لعادته ، جمع لأول مرة في حياته السياسية ، الشيوخ والاعيان لاستشارتهم في الموقف تجاه محمد علي باشا ، "فاجمعت الامراء على ان الامر للامير وهم اتبع له من ظله" (١٠)

والواقع ان اكثر الناقمين على بطش الامير وسياسته واكثرهم من الدروز ابناء الشيخ الكبير بشير جنبلاط الذي فتك به عبد الله باشا بامر من حاكم مصر وبإيعاز من الامير ، قد انضموا الى جيوش السلطان وكذلك بعض مشايخ صناد ونكد قال تشرشل (١٠) ان المشايخ النكديّة قبل وصول جنود مصر قاموا من البلاد والتحقوا بمساکر الدولة العثمانية . ويستأنف تشرشل حديثه انه لما طلب محمد علي من الامير حراسة طرابلس ومراقبة قواتها مخافة ان تنضم الى جيوش حلب لم يبد المشايخ الحماس والحمية التي اشتهروا بها بل ان بعضهم استغفروا مهاجمة الامير لوالي الدولة الشرقي حتى ان كبار النكديين (١١) اتصل بالجيش العثماني سرا وهو من قادة وزعماء الجيش اللبناني فاعتبر البطريرك بولس مسعد صل المشايخ النكديّة خيانة للامير خليل الشهابي (١١) ويرى هنري فيز بانضمام هؤلاء الدروز الى تركيا انتقاما ونكاية بالامير ، ولو ناصر الامير تركيا لايد الدروز الجبهة الثانية . (١٢) ويرى ابو شقرا ان عددا كبيرا من سداة الدروز انضموا الى الدولة العثمانية فعرفوا "بضيوف الدولة" وبعد انتصار ابراهيم باشا في معركة النذب التجأوا الى مصر ملتجئين العفو فعينهم بالجيش . ويرى ابو شقرا بعمل

---

(١٠) C. Churchill, Mount Lebanon ..., III, P. 396.

(١١) البطريرك بولس مسعد ، تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة المصرية (مأخوذا بالفوتوغراف ، مخطوطة في الجامعة الاميركية)

(١٢) H. Guys Op. Cit. v. 2 P. 129.

الدروز وفاقا واخلاصا لبني عثمان فقال " ان الامير بشير قد سلم ابراهيم باشا ازمة الامارة من رضى واختيار ، فخضع اللبنانيون له خضوعا تاما ، ما عدا الدرود منهم فانهم لشدة اخلاصهم للدولة العثمانية وحبهم بحكومتها قد ابروا الاعتراف بمحمد علي ملكا عليهم فقاوموه اشد المقاومة واصلوه مسن القتال نارا حامية (١٣) وكتب هولس مسعد "ولما انضم الامير بشير الى محمد علي باشا ، بحث والي حلب بشير اللبنانيين عليه ويطلب خلع الامير فانقسم اللبنانيون احزابا فمنهم من والى الامير واكثرتهم مسيحيون ، واقلهم درود ، ومنهم من قام الفكرة واكثرتهم درود ، وحمل هؤلاء مع بعض الشهابيين الطامعين بالحكم ويخلع الامير فانقم منهم ، فاستظل بعضهم بحماية دمشق . الى تلك الحوادث يرجع الخلاف بين الدرود والنصارى وكان مقدمة للفتن التي اشتعلت بيرانها عام ١٨٤١ وانتهت بحركة ١٨٦٠ " (١٤) .

والخلاصة ان موقف الدرود في بعض النواحي لم يكن مختلفا عن موقف سائر الطوائف الاسلامية تجاه الحملة المصرية وما حلت عليها من بدع وتدخل اجنبي يمس الناحية الدينية .

ويستجئ اسد رستم من الرسائل السرية وتقارير حنا بحرى بك ومحمد شريف بك وكلام الامير بشير واحاديث مشايخ الطائفة الدرزية ان العامل الديني كان من الاسباب الرئيسية لتعنّت الدرود في امر الخدمة العسكرية (١٥) ذلك

---

(١٣) والواقع ان الدرود اشتركوا في الحملة المصرية وظهروا امام عكا وطرابلس وكان جيش الامير اول من دخل دمشق بعد تسليمها وقدر بعشرة آلاف مقاتل جلهم او بينهم عدد واقرب من الدرود . مذكرات تاريخية ، احد كتاب الحكومة الدمشقيين ، ( حريصا ١٢ ) .

يرجع عيسى اسكندر معلوف ان الكاتب هو عبد الله نوفل ، راجع النسخة الرابعة ، من الكتاب ، الموجودة في الجامعة الاميركية في بيروت .

(١٤) هولس مسعد ، لبنان والدستور العثماني ( مصر ١٩٠٦ ) ص ٨٥ .

(١٥) من اقوال الشيخين حسين واحمد تلحوق ،

ان عقلاهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجبارى واختلاط جهالهم مع فيهم  
من الشبان من سائر الفرق والاديان ، رأوا بذلك خطرا على شبيبتهم قد  
يؤدى مع مرور الزمن الى ضعف بالعقيدة (١٦)

### موقف المسيحيين من الحملة

واما موقف النصارى في جبل لبنان فكان منسجما مع موقف المسيحيين  
عامة في سوريا وفي غيرها ، وهم كانت مدن سوريا تنظر الى ابراهيم باشا وجيوشه -  
كما يتجلى لنا من رسائله الى والده - نظرة الحقد والحذر والشك في نواياه  
ومعتقداته التحريرية ، وتتحين الفرص للانتفاض عليه ، لكونه متربدا على السلطنة  
المعثانية يحمل في طياته حملاته بذور حشارة فرية "كافرة" (١٧) كانت القرى  
المسيحية ترحب بالفتح العظيم ، (١٨) وتهدف له كلما عقد له النصر وتتمنى على

---

(١٦) المحفوظات المصرية ج ٣ ص ١٦ رقم ٤٠٩٢

(١٧) استصدر عبد الله باشا فتوى من علماء الشام تخرج محمد علي باشا من  
الاسلام وتوجب محاربته . رستم ، اسد . المحفوظات الملكية المصرية المصدر  
نفسه ج ٢ ص ٢٦ رقم ١٢١٢ وكذلك استصدرت الاستانة فتوى من شيخ  
الاسلام موقعة بامضاءات اربعين عالما ، وقابل العزيز ذلك باستصدار فتوى من  
شريف مكة بخروج السلطان عن قواعد الدين الحنيف . رستم ، اسد . بشير بين  
السلطان والعزيز المصدر نفسه ص ٢٢

(١٨) جون كاري ، رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر (بيروت  
١٩٤٨) ويتجلى لنا موقف الامير الكبير والنصارى من الحملة ما ذكر في  
رسالة حنا البحرى السرية الى ابراهيم باشا بعد مقابلة الامير بخصوص تنقح  
الدروز من "النظام" لامر ديني اخبره الامير "ان الدروز لا يتمكنون من المقاومة  
اذا هاجمت جيوش الباشا البجل لان النصارى ليس معهم" وان الامير كتب الى  
النصارى ان لا علاقة لهم بذلك فاجاب البحرى "وهل انتم على يقين ان لا نصارى  
معهم" فقال الامير "ولو على فرض اندمج معهم بعض النصارى الذين لا يعرفون  
قدر انفسهم فاستطاعت اقصاءهم ... ويذكر البحرى انه بعد مكوثه واتصاله بضعة  
ايام بمن يعتمد عليهم من النصارى فهم ان جميع النصارى عاملون بموجب تنبيه الامير .

اسد ، رستم ، مجلة المشرق سنة ١٩٢٧ ص ٤٨١ .

الله امتداد حكمه واستمراره ، (١٩) فان اقتباسه بعض عناصر الحضارة الاوروبية وتسلم ادارة بعض الامور المالية والعسكرية الى قادة وزعماء مسيحيين ، واعلانه الحرية والمساواة بين الملل والاجناس جعلت المسيحيين ان يتقبلوه كحري لهم ، (٢٠) قال هنرى فيز ، وهو معاصر ولم يكن على صلات ودية مع المصريين ، واستقبله الموارنة وجيوشه كأنهم انصار لهم منقذون ، لانهم كانوا يعلمون ما لصاحب مصر من الميل والحب الى فرنسا ، بل اكتسب الامير محبة رجال الدين وبركتهم وتأيدهم له . (٢٠) وقد عللوا النفس ، وهو صديق فرنسا بتعزيز الكتلة في الشرق ولا سيما المارونية (٢٢) وما عهد فخر الدين واتصالاته السرية مع قداسة البابا ، بعيد من اذهانهم . وهو الذى لم يترك سائحة او فرصة الا وانتهزها لاطهار صفته الشديد على الاجانب امام شعبه ، فالغى المواكب التقليدية التي كانت تثيرها القاهرة رمزا للحروب الصليبية فيذهب ضحيتها عدد من الاجانب (٢٣) وقد استقدم ثلاثين عائلة مارونية الى مصر منذ ١٨١٦ لتربية دود الفز .

(١٩) ومن حديث البحرى مع الدكتور مشاقفة يعتبر مقاومة موارنة الشمال للمصريين جحودا وعقوبا . المعروف الدولة المصرية مع النصارى . مشاقفة الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٤٣ .

M. Joplain Op. Cit. p. 184, 21  
R. Ristelheuber, Op. Cit. P. 80

(٢٠)

(٢١)

(٢٢) ويذكر رستم ان العزيز استشار صديقه فتصل فرنسا في الاسكندرية قبل حملة سوريا وانه كان يأمل مناصرة المسيحيين له في بر الشام وتأيد اوروبا لسياسته التحريرية في سوريا بشأن الدميم وفي حديثه مع الفتصل يقول " سينال نصارى الشام من الاستقلال والسعادة ما لم يروه من قبل وسيقرعون اجراسهم متى شاءوا . اكدوا لحكومكم ولمواطنكم تحررى في هذه الامور " .

رستم ، يشير بين السلطان والعزيز . ص ٥٨ .

(٢٣) شكرى ، محمد نواد واخرون ، بناء دولة مصر محمد علي ، ( مصر ١٩٤٨ )

ص ٢٣ .

### اصلاحات ابراهيم باشا، ثورة في الوضع الاجتماعي تلهب روح التعصب والحسد

ولا نستطيع ان نسبر فور هذا التغيير والانقلاب الا عندما نطلع على مقدار ما حاق بالمسيحيين من ظلم واستبداد في اوائل القرن التاسع ولا سيما بعد اشتداد ازمة المسألة الشرقية ، ويروى احدهم (٢٤) وهو شاهد عيان ما كان يتعرض له المسيحيون من التحقير والاهانة والسخرية فهو ملزم ان يلبس لباسا خاصا وان يبني بيته بشكل لا يحلو بهوت المسلمين ، وان صادف معلما عليه ان يشمل " او بطورق " ، يقتل لانه سبب كتجربة بندقية او سيف ودية القتل المسيحي كما ذكرها احد كبار المرسلين ٢٣ قرشا ، تسعة قروش اقل من دية الكلب (٢٥) ، لا تقبل شهادته ، ممتلكاته ، مرضه ، حياته جميعها معرضة للخطر والاغتصاب ويذكر تشرشل والمرسل الاميركي حسب بانه لم يسمح بحفر او صنع ختم باللغة العربية بل باحرف اخرى لانها اشرف من ان يكتب بها ذي (٢٦) .

وكتب مونس " وفي ذلك الحين كانت الشام تشقى وتئن تحت حافل من الولايات ، كانت احفل بلاد الاسلام للمصيبة ، واضلها فقد كانت تحمل على عاتقها ثوق مصائب العصر الحديث ، وهلات قرون ماضية ، ذلك ان الحروب الصليبية وضعت اهل الذمة في الشام في وضع لا يخلو من حرج فظل الذميون يعاملون معاملة المغلوب على امره " (٢٧)

وقد حاول السلاطين رفع هذه المظالم تحت تأثير الدول الاوروبية فلم

---

(٢٤) مشافة مشهد العمان ص ١٠

Missionary Herald Feb. 1845 p. 74 (٢٥)

Henry H. Jessup, Fifty - Three Years in Syria , (N.Y., 1910), I.P. (٢٦)

(٢٧) مونس ، المصدر نفسه ص ٢٦٤<sup>180</sup>

يفلحوا ، اما عجزا او تقاصرا تجاه ضغط العامة ، وسאיورة التقاليد ، فاصدروا  
البيانات واعلنوا التنظيمات فضج المسلمون منها واتهموا اصحابها بالمروق والخنوع ،  
فكف بهم الان امام رجل حديدى لا يعد بل يطبق الاصلاحات بعنف ، فيجرى  
العدل والمساواة بين الرعية ان ظلما وان قدرا ، بل يلتجئ الى القوة فيفرضها  
فرضا . (٢٨) وذكر حسب ان بعض القضاة والحكام حاولوا ان يتجاهلوا اوامر  
السلطة المصرية ولا سيما حينما كان الباشا بعيدا من سوريا فلما رجع امر  
باعداد هؤلاء القضاة نورا (٢٩) .

### المساواة بالضرائب والوظائف والجزاء

ومع ان الضرائب كانت مرهقة جدا احيانا فقد كانت عادلة من حيث  
فرضها وجبايتها ومنها ضريبة الفرد . وقد اثارت هذه الضريبة نفقة المسلمين  
” ولم يغفروا لنائب الملك هذه الخطيئة بوضعهم على صعيد الذميين (٣٠)

وتساوى الناس امام الموت والحياة فكان قتل الذي لا يستوجب قتل  
المؤمن بل لا يثير اى اهتمام ، وقد فجر مسلم وقتل مسيحيا فامر سليمان باشا  
بقتله حالا وهاجت المدينة ولكن بدون جدوى (٣١) .

(٢٨) قال رستم : ” اما العدل فحدث عنه ولا حرج فنشد عهد صربى الخطاب  
لم قتل الشام ما نالته في عهد العزيز ” .

رستم ، البشير بين السلطان والعزيز ص ٩٨

H. Jessup, op. cit., v.1p.160 (٢٩)

H Guys, op. cit., v2 p. 225 (٣٠)

F. Perrier, op cit. p. 66. (٣١)

” وكانت عادة بالشام ، وبكل مدينة في سوريا اذا دخلها نصراني من الجبل ان يقبضوا  
عليه ويأخذوه للحكومة ولا يطلقوه الا بعد دفع الجزية وهي ٢٢ قرشا . . .  
هذه القاعدة اطلقها ابراهيم باشا واصبحت الفردة بقدر مائة الفرد من ٣٠ - ٥٠٠  
قرشا ” . باز المصدر نفسه ص ٢٦  
وهادة اذا مسلم قتل مسيحيا لا يقتل بل يختم

وكان ارتداد المسيحي عن الاسلام اذا ما اعتنقه ، عقابه الموت ، فاهمل الباشا هذا القانون . وفض الطرف عن ثلاثة من الموارنة ارتدوا بعد ان تقبلوا الاسلام . فاستال الباشا قلوب الرعايا ان كتب فصلا جديدا في حرية المعتقد في بر الشام . (٣٢) ويصح بحادثة الشدياق اسعد ، واعتقاله بدير البطريركية المارونية واختفائه فيه ، فلم يتورع ان يأمر ثلة من جنده باقتحام صرح البطريركية بحثا عن المعتقل لاطلاق سراحه . (٣٣)

### الوظائف واللباس وركوب الخيل

وكانت معظم الوظائف الكبرى محظورة على الذميين واذا بحثنا البحري ، يصبح بمثابة مدير مال للدولة ، ثم يرتقي بعد فتح عكا لمرتبة امير لواء (٣٤) وقد حاول بعض اعيان المسلمين ان ينتقصوا من كرامته بعدم وقوفهم له فارضهم الباشا على ذلك بطريقة كهنة مشهورة (٣٥) . ولاول مرة يجلس بعض وجوه الشام المسيحيين مع اخوانهم المسلمين في مجلس واحد . اما في بيروت فتساوى عدد الطائفتين في المجلس ستة من كل طائفة . (٣٦)

---

(٣٢) رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ص ١٠٠

(٣٣) Issac Bird, Bible Work in Bible Lands's or, Events in the History of Syria Mission. (Philadelphia, 1872) P. 280

(٣٤) مشافة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٣

(٣٥) طلب الباشا من المجلس الشورى في دمشق ان ينعقد لرغبته في زيارته واوفر بحضور المفتي والقاضي والنجيب ، وقدم الباشا ووراء حنا البحري ثم وقف الباشا في الباب والتفت الى البحري قائلا ، بحري بك ، بحري بك تفضلوا يا افندينا بصيغة الجمع للاحترام وجعله ان يدخل قبله ، ثم طلب اليه ان يجلس بالعبارات نفسها ، والجمع وقولا ثم التفت الى المفتي والقاضي والنجيب وطلب كل منهم ان يتفضل بالجلوس - بصيغة المفرد - وقد شعر الجميع بما يقصد الباشا فاصبحوا يظهرون للبحري كل احترام واکرام .

اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١٠٠

(٣٦) المكان نفسه .



ولقد عينت الحكومة البريطانية قنصلا لها في الشام عام ١٨٢٨ فلم  
يجروا ان يدخلها راجعا (٣٧) ان كان ذلك محظورا على المسيحيين فهني  
في بيروت الى ان دخلها بدخول ابراهيم باشا (٣٨) وقد شكوا نفر من علماء  
دمشق كيف اباح الباشا للذميين بان يمتطوا الخيول فيعلوا على المسلمين  
فاجابهم بسخرية لازمة (٣٩) لا بأس امتطوا انتم الجمال فتصيحوا اعلى منهم (٤٠)

وكان المسيحيون محرومين من لباس الالوان الزاهية البيضاء والحمراء  
ولا سيما الخضراء حتى ان الاجانب فرض عليهم الالبسة الوطنية القاتمة ، وكانت  
نساء القناصل تخشى ان تظهر في شوارع بيروت بلباس افرنجي مخافة الاهانة

---

(٣٧) لما راجعه القنصل بالامر اجابه ابراهيم باشا انتظر ستدخلها في لباس  
افرنجي ، او عربي او بدون البسة ان شئت ، وكان ابراهيم باشا منهمكا بحصار  
مكا .

I. Bird . op. cit. p. 297

(٣٨) وفي ١٧٨٧ حضر قنصلان الواحد من قهل المسكوب والاخير من قهل النصارى  
الى صيدا وسرادهم ان يسكنوا الشام فرفض اهل دمشق قائلين هذه باب  
الكعبة لا يقطن فيها قناصل .

الامير حيدر احمد شهاب ، تاريخ احمد باشا الجزائر (بيروت ، ١٩٥٥) ص ٤٠٨

H. Dodwell, op. cit. p. 251.

(٣٩)

(٤٠) ويذكر لنا شاهد عيان في كتابه مذكرات تاريخية بعد ان يصف لنا عرض  
الباشا لجنده بسهولة دمشق ، ان ظهور الاوروبيين في دمشق مستطين الخيول  
المطهمة والالبسة الزاهية كانت تثير حقد المسلمين عليهم وكان المسلمون "يزدادوا  
في بغض النصارى ويتعهدوا لهم "مذكرات تاريخية ، المصدر نفسه ص ٥١٠ .

التعدى (٤١) اذ يحتبر عملها تحدياً للشرع، اما في عهد الباشا فقد تجاوز بعض المسيحيين حدود آداب واللباقة فالبسوا نساءهم شراويل خضراء للتعدى والاستفزاز . وامر ابراهيم باشا بترك العمائم فطرحوها وتبعهم سائر الايمان . ولم يكتف الباشا باقحام بعض محاسن الحضارة الاوروبية في الشرق بل فض الطرف من ادخال مساوئها فقال هنرى فيز " وما اثار تقزز المسلمين ونفورهم فتح الخمارات في المدن والجبال ، واقامة معسكرات الخواني والعوالم في بعض المخيمات . بل لم يحترم جنوده حرمة الجوامع نفسها فكانت تطوف للقبض على الرجال حتى اصبحت امينات المسلمين اشبه بمناحرة (٤٢)

ثم نجع الباشا المتعصبين وخيب امالهم بان حضر حفلة من حفلات المسيحيين وشهد طقوسهم فرحا جذلا (٤٣) مما حمل يوما احد الاتراك ان يصعد منارة الجامع في نابلس ويصرخ باعلى صوته " هل زال الدين المحدث السنا اتراكا ، فليحمل كل منا سيفه للدفاع عن الدين القويم ضد رجل استباح جميع المنكرات فتناول المشروبات ، واكل لحم الخنازير واختطف الى اديرة الدمين للصلاة " (٤٤) وكانت هذه الاعمال كما قال الاستاذ بيهم بعرف الغلة الجاهلة المحافظة بمثابة تحدى للشرع واقتداء بمدينة الكفار . وانقلاب خطير في مسالك الحياة الاسلامية اليومية واستفزازات جارحة للجهلة وسموم للحقد والضغينة ، يحبون ملها ما شاءوا وما انسحبت الحملة المصرية او كادت حتى انفجرت الاحقاد وظهرت الانتقامات مريرة دامية .

(٤١) اما اليمم فتقول اللادى ستانوب فترى الاوروبيين يسيرون زرافات ووحدا

بين لعنات المتعصبين الذين يضررون لهم كل حقد وشر

H. Stanhope, Memoires of the Lady Hester, Stanhope, (London 1845)

I 217 .

H Guys, op. cit. v2 p. 228.

(٤٢)

(٤٣) مؤنس، المصدر نفسه ، ص ٢٧٥

H. Dodwell, op. cit. p. 150.

(٤٤)

## ثانياً

### تكاثر الارساليات الاجنبية وتآحرها

ولعل من اهم العوامل المؤثرة في تغيير الاوضاع في البلاد تدفق الارساليات الاجنبية وتوسعها اثناء الفتح المصري على الاخص وبعدده ، وكان من جراء سياسة المصريين في لبنان تجاه الاجانب (٤٥) ان تدفقت جموع الارساليات فأما البلاد زراعات ووجدانا يتنافسون في تشييد المعابد والمعاهد ونشر المبادئ والمشارب المتنوعة وخلق الهليلة في صفوف العائلة الواحدة ولعل في عائلة الشدياق اكبر دليل على ذلك . اعتنق اسعد الشدياق الانجيلية فاضطهد وقضى ضحية مبادئه واعتنق اخوه فارس الدين الاسلامي نكابة وانتقاما من ظلم الايكليروس . وبقي المؤرخ طانيوس مخلصا وفيها لمعتقدا جداده (٤٦).

---

(٤٥) قال اسعد خياط ، وبعد ان جلت في البلاد طويلا اقتنعت ان الاهالي يتنافسون على بناء المدارس والحصول على نسخ التوراة والانجيل . خرج برطانيا ، اصبح قنصلا لها فيها بعد ، رافق الكولونيل نابيير

As'ad Khayyat, A Voice from Lebanon, (Lonodn, 1847) P. 157.

(٤٦) بولس مسعد ، فارس الشدياق ، (مصر ، ١٩٢٤) ص ١٤  
ويعلق هنري فيز ساخرا حائقا ولو كان اصحاب التوراة ينشرون دعوتهم بين المسلمين لكان الامر وشكرناهم الا انهم لا يهتمون الا بالمسيحيين حتى اذا ما وقفوا الى انتزاع احدهم خلقوا الهليلة في صفوف العائلة ... انهم يشركون نساءهم في التبشير والوعظ فيوحي جمالهم محبة الارض اكثر من محبة السما .

### الرساليات الانجيلية

ولكن كانت اصلاحات ابراهيم باشا تحديا وانقلابا في حياة الشرق الاسلامي فقد كان دخول الانجيلية (٤٧) تحديا اخر وانقلابا في حياة الطوائف المسيحية ولا سيما في الناحية الفكرية ، ولا شك ان حماسة زعماء الدين بين الطوائف المسيحية لمحاربة ومناهضة البروتستانتية لم يكن ناجما عن صيانة طوائفهم فحسب بل دفاعا عن نفوذهم وسلطانهم لانه بانتشار الانجيلية ينتشر الوعي العلمي والشعور بالفردية والتحرر الفردي ، والتقليل من اهمية ونفوذ الكهنة ، لان من مبادئ الانجيلية الجوهرية حرية الفرد وكرامة الفرد ، وكنهوت جميع المؤمنين ، اى ان كل مؤمن هو كاهن لله (٤٨) .

(٤٧) يذكر المرسل جورج شيرر ان المرسلين الاولين Fisk و Kirs اتصلوا بالامير بشير وهو في مصر ١٨٢٢ ، فتعرفا عليه فدعاهما لزيارة لبنان والسكن في دير القمر ، فلما الدعوة واستصدرا اذنا بالعمل في البلاد ولكن عمل الرسالية الرسمي ابتداء في بيروت ١٦ ٢ سنة ١٨٢٣ ثم ضعف ولكن في عهد الحكم المصري ازدهر العمل وانتشر ، وهو في تاريخ الرسالية ، عهد التوسع والازدهار . فنجد ١٨٢٣ - ١٨٦٣ ام البلاد نحو سبعين مرصلا مع عائلاتهم . يراجع ملحق جورج شيرر رقم ٩٠ وفي عام ١٨٢٤ عززت رسالياها بعشرين مرصلا لمقاومة التوسع الانجيلي وارسلت نحو ١٣ الف دولار لهذه الغاية .

G. Scherer, op. cit., p. 150

ولكن السلطة العثمانية لم تعترف بالطائفة الانجيلية الا عام ١٨٥٠ ، وقد صدر فرمان السلطاني موجها لجماعة البروتستانت راجع

I. De Jhazy op. cit., p. 220 .

(٤٨) وهذه الدعوة تنافي الفكرة السائدة في لبنان آنذاك وهو ان للكهنة السلطة المطلقة وانه افضل من الملائكة .

F. Perrier op. cit., p. 298  
H. Guys op. cit., II, p. 95.

وهذا ما كانت ترمي اليه اهداف المبشرين الاولين وكما ذكر الدكتور بلس ومستر جيب لم تكن فائتهم تصير المسلمين لان شريعتهم آنذاك تحتم اعدام المرتد ولا اضافة كنيسة جديدة للكنائس المسيحية في الشرق بل لتوير وتثقيف المسيحيين انفسهم روحيا وتطهيرها بما علق بها من ادران الخرافات واستبداد رجال الدين (٤١).

### تخوف الموارنة من انتشار المذهب الانجيلي

ولم يكن من العذف ان تشب هذه الفتن بعد تدفق الارشاليات المختلفة الى هذه البلاد فان الموارنة آثروا الاعتصام بالجبال القاحلة على سهول سوريا الخصبة المروعة محافظة على معتقداتهم من تدخلات اجنبية .  
وسا اقضى مضاجع الموارنة ان الانجيليين شرعوا بمدون نفوذهم وينشرون تعاليمهم في حصن المارونية وسحقها كسروان واهدن . كتب المرسل الاميركي مستر طمسون "زارنا عدد من مشايخ الخازن واظهروا استياءهم من معاملة البطريرك لهم وان في فوسطا ٧٥ رجلا يجتمعون سرا لقراءة الكتب المقدسة " وكتب مستر سبت زارني ثلاثة شبان من كسروان ليتحدثوا بالامور الدينية ، احدهم خرج عين ورقة ، جميعهم متحمسون للانجيلية ويفكرون بضم ٥٠٠ شخص لفكرتهم (٥٠)

---

H. Jessup . op. cit. , p. 82 .

(٤١)

Daniel Bliss, The Reminiscences of Daniel Bliss, (N.Y. 1920)  
P. 101.

ويروى بلس انه سمع كاهنا يهده انجيل يتلو منه " وفي القرن التاسع عشر سيخرج اليكم من البحر انبياء ومرسلون كذبة فاحترسوا " فتجداء بلس ان يريه ما يقرأ نفر هاربا .

IBID.,

Missionary Herald, June, 1949 , p.212.

(٥٠)

ومن اسباب حقد الموارنة على الدروز وتدخلهم في اقطاعهم ان المدارس الانجيلية اخذت تنمو وتترعرع في اقطاعاتهم (٥١) وان الدروز يتلهفون على المدارس الانجيلية ويلحون بشدة على فتحها ، ويوزع المرسلون الكتب او المنشورات الدينية فيتلقفها الدروز برفقة ، اما المسيحيون فيحرقونها . (٥٢)

لهذه الاسباب يتدخل الموارنة في شؤون الدروز الخاصة فهاجر الامير بشير بايعاز من البطريرك ، باغلاق المدارس الانجيلية . (٥٣) ويرتآع الدروز لهذه التدخلات كلهم في ظل حماية البطريرك . قيل ان البطريرك ارسل الى ناصيف بك نكدة رسالة لطرد الانجيليين من دير القصر ورفع حمايته منهم ، فيتلقي ناصيف بك الرسالة بامتنعاض شديد . (٥٤)

وعلى اثر الفتنة الاولى كتب احد المرسلين في عدد شباط ١٨٤٣ في مجلة الارسالية " يشاع ان حكومة باهوية ستقام في لبنان ، لن ترض بريطانيا بذلك ، الدروز يقاومون الفكرة بقوة ، ان صحت الاشاعة ضاعت آمالنا واذا رجعت تركها صمت الفوضى ، اما اذا بقي للدروز من سلطة نحظى بفتح مدارسنا بكثرة . (٥٥) ويلاحظ ان انتشار العمل الانجيلي في البلاد كان يزدهر ويقوى بضعف سلطة الكليروس الماروني ، او نفوذ الموارنة انفسهم . لهذا يلاحظ ان النشاط الانجيلي يزدهر بعد الفتن الثلاث وفي العهد المصري حينما كان النفوذ الاعلى للسلطة المصرية . ولعل من الاسباب التي حملت الموارنة على محاربة محمد علي باشا

(٥١) H. Jessup, op. cit., v.1 p. 161.

(٥٢) Missionary Herald, op. cit., June, 1848, p. 45

(٥٣) H. Jessup, op. cit., v.1, p. 160.

(٥٤) A. Paton, Modern Syrians, (London 1844) p.70.

I. Bird, op. cit., p. 349.

(٥٥) Missionary Herald, Feb. 1848.

جاء في كتاب حسب ان عدد المدارس الانجيلية الاميركية كانت عام ١٨٥٩ ، ٢٢ مدرسة والطلبة نحو ١٠٥٦ ، اكثرهم دروز وعدد النشرات التي وزعت نحو مليونين نشرة دينية .

H. Jessup op. cit. p. 153.

هو تساهله في هذه الناحية وفي رواية يوركهارت (٥٦) من المطران طوبيا ان صحت ، ما يؤيد هذا القول قال المطران لمستر يوركهارت اننا لم نقم لمحاربة محمد علي باشا الا بعد ان اكّد لنا مستر رود (٥٧) ان بريطانيا ستحصل على فرمان سلطاني يقضي باقصاء البروتستانت من لبنان ولكن مستر رود لم يبر بوعده .

وذكر المسيو شام - انه من المؤسف ان يكون البروتستانت سببا جديدا لانقسام طوائف منقسمة على نفسها . اننا لا ننكر الخدمات الجلى التي يقدمها المرسلون لهذه البلاد طبيا وثقافيا وروحيا . (٥٨)

والخلاصة لقد اصبحت الطائفة الدرزية بنظر الموارنة ، من الطائفة الانجيلية ، كالسحبية في الشرق بنظر المسلمين من الحضارة الغربية وسيلة لنشر مبادئ دخیلة واقتحام اجنبي في مقر دارها لذا يجب مقاومتها واضطهادها . (٥٩)

(٥٦) D. Urquhart op. cit., II, p. 262

(٥٧) كان مستر رود كاثوليكيًا وهو من رجال بريطانيا الذين اتهموا بانارة الموارنة على

حكم ابراهيم باشا وقد كان سابقا احد تراجمة السفارة البريطانية في الاستانة .  
مشافة ، ميخائيل . الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٠ .

(٥٨) Gabriel Charmes Voyage en Syrie ; Impressions et Souvenirs. (Paris 1891) p. 253

تشير معظم مصادر المرسلين التاريخية المعاصرة الى ظهور حركة أو ميل بين الدروز لاعتناق المذهب الانجيلي اجماعيا طيلة الحكم المصري تخلصا من "النظام" او الجندية ولم يشجع المبشرون هذه الحركة لانها ناجمة عن قايات واهداف غير روحية وقد علل هذه الحركة احدثهم بقوله ان العوامل التي ادت اليها هي اولا التخلص من "الجندية النظامية" ثانيا نكاية بالموارنة وتدخل البطريرك بشؤونهم ثالثا تأكيد حماية بريطانيا لهم للعلاقات الممتازة التي كانت بين المرسلين والبريطانيين ، وتشير المصادر نفسها ان تركيا قاومت هذه الفكرة بقوة، وتشير المحفوظات الملكية المصرية ان ابراهيم باشا قاومها ايضا مخافة استفزاز الجماهير المسلمة .

G. Scherer, op. cit. p. 51. Julius Richler, History of Protestant Missions in the Near East. (N.Y., 1910), P. 169.

I. Bird. op. cit. p. 314.

رسم المحفوظات الملكية ج ٣ ص ١٢٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ،

### الرساليات اللاتينية الكاثوليكية

وليست هذه الرساليات بحدیثة العهد فی لبنان (٦٠) بل الجدید فی اعمالها مضاعفة نشاطها وتوسع نفوذها وتأثیرها، ويعزى اسباب هذا النشاط لاربعة عوامل کبرى علی الاقل اولا الفتح المصرى وتشجيعه للاجانب ثانيا تنصر الامراء وازدياد عطفهم وحدهم عليهم . ثالثا مقاومة الحركة الانجيلية فی الشرق مقاومة عنيفة .

وكتب احد المرسلین الانجيلیین ان تسعين بالمئة من الاضطهادات التي ابتلينا بها ليست من الاتراك او من الشعوب الاسلامية بل من الكنائس المسيحية وزعمائها فی الشرق (٦١)

---

٦٠ نظرا لعلاقات الموارنة بروما وفرنسا ولما حظيت هذه الاخيرة بامتيازات قديمة من السلطة العثمانية منذ عهد سليمان القانوني ، بل ظهرت الرساليات اللاتينية منذ القرن الثالث عشر، ونشطت الحركة منذ اوائل القرن السابع عشر حين قدم اليسوعيون وبمعاوضة مشايخ الخازن اسسوا كلية فينطورة الشهيرة . قال رستلميوهر "والموارنة بسبب علاقاتهم هذه بروما وفرنسا كانوا اول الشرفيين الذين تأثروا بحضارة الغرب وعلومه فبرز كثير من علمائهم فی التاريخ والدين والاداب السريانية حتى استمدى منهم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر اساندة لتعلم اللغات الشرقية كالعبروني والصهيوني ."

R. Ristelhusber, op. cit., pp. 84-108.

E.D. Prime, Forty years in the Turkish Empire,  
or Memoires of Rev. W. Goodwell, (N.Y., 1876) P. 408.

(٦١)



ولم يقتصر عمل هذه الرسائل على التبشير فكانوا ينقلون الى فرنسا المعلومات من عوائد البلاد ولغاتها وسحاصيلها كما انهم كانوا يتبادلون مع الهيئات الافرنسية في البلاد وفي الخارج المعلومات والتوجيهات (٦٢) واعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة حملات صليبية حديثة على الشرق تعمل حيث فشل السيف . وكان من جراء تدخلاتهم في الامور السياسية ان ارتفعت حتى التعصب بين الطوائف المسيحية نفسها وسرت البغضاء بين ممثلي الدول الغربية السياسيين ، ولم ينج المرسلون الانجيليون انفسهم من هذه التهم فقد حمل الكاتب البريطاني ريتشارد مادن حملة منكرة على قناصل دولته في الشرق لانهم اصبحوا يمثلون الرسائل التبشيرية لا الحكومات البريطانية . (٦٣)

---

(٦٢) بهم ، المصدر نفسه ص ١٠١

(٦٣) Richard Robert Madden, The Turkish Empire in its Relations with Christianity and Civilization, ( London, 1862) p. 36

### ثالثا

#### بقظة الطبقة الوسطى

وكان من نتائج نشاط البعثات الدينية وانتشار معاهد العلم وفتح الثغور للجانب ولا سيما في العهد المصري وبعد ، وتنافس رجال الحكم في الاستانة والقاهرة من اصدار البيانات والتظيمات والاصلاحات ، ان ظهرت في البلاد حركة وهي فردى وجماعى ، وبرزت طبقة جديدة من طبقات الشعب بفضل العلم والتجارة شرفت تنافس الاقطاعيين ورجال الدين ، السلطة والثراء (٦٤)

(٦٤) ويذكر مستر تشرشل امثلة على هؤلاء مثال طوبيا فلاح بسيط جمع ثروة مكنته ان يدفع الميرة للامير من مقاطعات البترون وجبيل والفتوح واصبح نفوذه يفوق نفوذ اصحاب المقاطعات انفسهم ، وكذلك الياس جريس في مقاطعة فزير من اصل وضيع نافع مشايخ حبيش السطوة والنفوذ .

C. Churchill, Mount Lebanon I, pp. 72, 87

وفي فترة الحوادث يتولى السدة البطريركية رجل من طبقة الشعب هو البطريرك بولس مسعد بعد ان كان هذا المركز اشبه بهوقف على العائلات الكبرى كالخازن وحبيش وفهرهم ويعتقد تشرشل لكونه من عامة الشعب اشتهر بكرمه للاقطاع .

C. Churchill , The Druzes and the Maronites p. 122.

ويذكر المطران يوسف الدبس بان المطران بولس مسعد كان المرشح المعتد للبطريركية بعد وفاة يوسف حبيش عام ١٨٤٥ ولكن مراعاة للظروف وللانقطاع الدرزي انتخب المطران الخازني وبوفاته ١٨٥٤ تولى السدة البطريركية بولس مسعد .

بل حدث انقلاب كبير في الوضع الاجتماعي والاقتصادي (٦٥) كان من جرائه ان اضطربت ثورة شعبية هي الاولى من نوعها في الشرق العربي .

وليس من المعادفات ان تظهر هذه الثورة في الوسط الماروني (٦٦) دون الدرزي (٦٧) وفي مقاطعة كسروان حيث يد الاقتطاع على اشدها وهي الى ذلك اوفر المقاطعات المارونية سكانا واكثرها ازدهارا (٦٨) مما ادى الى هجرة متوالية .

(٦٥) ويحدثنا لويس فارلي ، وقد كان موظفا في بيروت في البنك العثماني في اول تأسيسه ، من ازدهار التجارة رغم صعوبة المواصلات في الداخل ، واكتظاظ ميناء بيروت بالمراكب البخارية العاملة مع مواني\* اوروبا راسا ، وقد كان المرء منذ امد قصير قلما يشاهد مركبا بخاريا فيها ثم يحدثنا عن اندفاع الاهالي لاقتباس الازياء الاوروبية والاثاث الاوروبي والدوق الاوروبي . ثم يذكر لنا كيف ان في خلال سنتين فقط كادت تختفي بعض معالم الطرق القديمة في بيروت .

Lewis Farley, Two Years in Syria, (London, 1849) p. 29.

(٦٦) قال رستلهوفر ، ان الطباعة انتشرت في لبنان منذ اوائل القرن السادس عشر وضمت للموارة ادارة الحركة العقلية التي شروا فيها

R. Ristethueber , op. cit., p.24.

(٦٧) بينما الفلاحون الدرزي - كما قال جوبلان - ظلوا اوفياء لاسيادهم لمئاته نظامهم الاقطاعي وشدة العلاقة الدينية بينهم وبين زملائهم وضعف التطور الاجتماعي الثقافي ، ويؤيد ابو شقرا هذا بقوله " كان الدرزي مهملين امر العلم اعمالا كليا وقلما نجد بينهم من يحسن القراءة لقلة العاملين منهم في الارض " يوسف ابو شقرا ، الحركات في لبنان في عهد المتصرفية (بيروت ١٩٥٤) ص ٢٥ .

(٦٨) ضاهر العقيلي ، ثورة وفتنة في لبنان (دمشق ١٩٣٨) ص ٢٦ ، ٤٥ ، ذكر جوبلان انه في عام ١٨٥٨ كان عدد المهاجرين من خمسة قرى في لبنان خمسة آلاف مهاجر

M. Jouplain op. cit., 568.

وفي حديث الدكتور مشاقة مع حنا البحري ما يؤيد هذا القول ، مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٤٣ . ويذكر احد المرسلين ان في العشر سنوات السابقة للفتنة ازداد عدد الموارة ، من جراء الازدهار زيادة لا تتناسب مع ضعف خصوبة

G. Scherer, op. cit., p. 25.

الارض

واخيرا لما توافر في كسروان من وسائل العلم بفضل الارشادات الكثيرة فيها .  
وتأثير الحضارة الغربية والثورة الفرنسية . ففيها تأسست اول مدرستين في  
لبنان وهما مدرسة عين ورقة ومدرسة عينطورة وكان للمدرستين علاقة او شبه  
علاقة بالانتفاضات العامة .

ولعل الى هذا يشير قنصل بريطانيا في بيروت فيقول ان قائد الثورة  
طانيوس شاهين من ريفون محل اصطيف الاباء المارونيين ، اصحاب مدرسة عينطورة  
الشهيرة . (٦٩)

وبلاحظ ان اول ثورة عامة في لبنان ظهرت في كسروان في عهد الامير  
بشير الكبير نظمها رئيس عين ورقة ، المطران يوسف اسطفان ، (٧٠) فتعاون الامير  
بشير والشيخ بشير لاختادها فهرب المطران متكررا وقتل الشيخ بشير الخوري  
نهرا المتني احد المتحمسين لها والداعمين اليها . (٧١)

ويرى رفيف خوري اثرا للثورة الفرنسية فيها وان استعمال طانيوس شاهين  
في مناشير " بقوة الحكومة الجمهورية " ما يقارب منشور نابليون في مصر من  
طرف الجمهور الفرنسي المبني على الحرية . (٧٢) كما ان في منشور الثوار  
ضد محمد علي باشا اشارة الى بطولة ابناء الثورة الفرنسية (٧٣) ويقول شاهد  
عيان لقد الف شبان الموارنة في بيروت لجنة على فرار اللجنة التي سمعوا عنها  
في فرنسا ولكن لم يكن لهذه اللجنة من اثر سوى تحريك نعمة الدروز والأتراك  
معا . (٧٤)

(٦٩) المحررات السياسية ، ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٧٠) الشدياق ، المصدر نفسه . ص ٥٠٠ .

(٧١) طنوس الحتوني ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، (بيروت ١٨٨٤) ص ٢٥٠ .  
مشافة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ٨٣ .

(٧٢) رفيف الخوري ، الفكر العربي الحديث واثار الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي  
والاجتماعي . (بيروت ، ١٩٤٣) ص ٩٤ .

(٧٣) المحررات السياسية ، ج ١ ص ٢٢٢ .

Souvenirs de la Syrie, op. cit. p. 31.

(٧٤)

ويرى جوبلان وجهها للشبه بين ثورة ١٨٥٨ في كسروان وثورة ١٢٨٩ (٧٥) ثم ان انتفاض الفلاحين على حكومة محمد علي قوت فيهم روح التمرد على النبلاء وتولدت فيهم روح الديمقراطية وهذه الفكرة التي كانت فاضحة مبهمة اخذت تنمو منذ ١٨٤١ - ١٨٦٠ (٧٦) . ويتعجب Paton من كثرة ترديد لفظة الحرية والمساواة بين الاهلين (٧٧) ويشعر فوكي بذلك فيقول ان ريحا ديمقراطية هبت على الجبل فاثارت فلاحيه ضد الشيوخ (٧٨) ويستدل من النبذة المدرجة ادناه ان الموارنة قد اطلعوا على بعض تفاصيل الثورة الفرنسية (٧٩) .

وما هو جدير بالذكر ان زعم الثورة الحقيقي وعقلها المدبر لم يكن طانيوس شاهين بل هو الياس المنير الزوقي ، نسيب صاحب المخطوطة ومن بلدته وني

(٧٥) M . Jouplain op. cit., p. 373

(٧٦) Ibid., p. 252

(٧٧) A Paton, op. cit., p. 57

(٧٨) Comte Melchoir de vogüe, Les evenements de Syrie (Paris, 1860)

(٧٩) من مخطوطة للخوري حنانيا المنير الزوقي ، وهو رجل معاصر للثورة الفرنسية

سجل حوادث لبنان آنذاك عاما فعاما . . قال " سنة ١٢٩٦ ( ١٢١٠ هـ ) في بدء هذه السنة تحقق وظهر وشاع خبر الهرطقة التي نشأت في فرنسا وامتدت وعظمت جدا جدا وقامت ضدها الملوك والمالكيك . . . وهذه الهدمة صار لها سنون ولم تشهر الا منذ اربع سنوات ان قام العامة برأى واحد وهزم واحد على ملكهم فقتلوه وهينوا اناسا اصحاب مشورة . . . . . " .  
شهاب ، تاريخ الجزائر ، المصدر نفسه ص ٤٤٨ .

كتاب الحتوني وصف مسهب لعلاقة هذا الرجل وتأثيره بالثورة (٨٠) وعلاقته بالامير وكثرة تردده على القنصل الفرنسي . (٨١).

وهكذا يظهر ان تفاصيل الثورة الافرنسية لم تكن مجهولة لدى بعض المتعلمين وعلى الاخص جماعة الاكليروس . قال جويلان ولا شك ان قوة الثوار الكبرى انتهم من الحياز الاكليروس الماروني الى جانبهم وهو من الطبقة المتتورة

---

(٨٠) قال الحتوني " فاستوثق الامير واحلافه اولا برجل ملكي كاثوليكي يسمى الياس المنير من زوق مكيل واهز اليه ان ينشر هذا السر ( سر الثورة ) ثم اخذ بالتتابع يزرع هذا المبدأ في عقول من كان يوثق بهم ويوافقونه بانشاء هذه الثورة . " ثم يحدد صفات الحاكم . . . . " ويقول ان عدم السيادة والسلطة هما من متطلبات الحرية . الحتوني ، المصدر نفسه ص ٢٢٢ . وسمي الحتوني هذا الرجل مدير الاعمال وانه كان يتلقى التعليمات من الامير احمد " اما مدير الاعمال الزوقي فقد شمله الفرج لنجاح عمله وكتب الى الامير بيشرة ، وفي اثناء قدم المطارنة للمفاوضة للملاح كان هذا الرجل " يتصدر للمجاوبة واخذ يتفاح ويطل الاسهاب بالجدال ص ٢٢٩ ، ٢٤١ . ويظهر ان طانيوس شاهين لم يكن الا اليد المنفذة له فيما بعد .

(٨١) يذكر عن البرنس ماترنيج ، بعد توالي الثورات في عواصم اوربها عام ١٨٤٨ ان قال " ما هذا أكلما عطس رجل افرنسي " رشحت " جميع اوربها ولا تدري ما اذا كانت احدى اسباب الثورة هذه افرنسية من طريق القنصلية او بعض عالها للقضاء على الاقطاع المسيحي ولا سيما بعد ان ظهر للافرنسيين اثناء الحملة المصرية ان عامة الشعب ورجال الدين اكثر وفاق لهم واخلاصا . ويرى شهبها بين روح هذه المناشير والمناشير التي كان يكتبها الثوار ١٨٤٠ بايحاء العامل البريطاني مستر رود .

التي تكبره الظلم (٨٢) قال الاب خانجيان وطلب الفلاحون ان ترفع رتبة المشيخة ويصير اعطاء الشرف كقصدار الغنى فعد المشايخ هذا الطلب جسارة وافتراء (٨٣) .

قال المطران يوسف الدبس ان انتشار روح الحرية حمل الاهلين على الازدراء بسلطة المشايخ وانكار وجاهتهم ، وسرت هذه الروح الى جهات لبنان فانحط شأن امراء ومشايخ الموارنة بل اعيان ومشايخ الطوائف الاخرى (٨٤) .

ولا ننسى روح الثورة التي كان ييشها عال بريطانيا في العهد المصري امثال ريتشارد وود ، ويثون على مبادئ مساواة الحرية والمساواة التي تضمنها الخط الشريف ١٨٣٩ للعائدين للحضن التركي ، والخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ (٨٥) كل هذه الامور كانت في نفوس العامة واختمرت واضطربت فيها بعد بتأثير عمل

---

(٨٢) ويظهر لنا من مخاطبة الشيخ بشير للخوري نهره وهو من "اعظم القائمين بهذه الفتنة" فتنة لحقد ، شدة سخط ونقمة رجال الاقتطاع على بعض اصحاب رجال الدين فقد ذبح الخوري نهره ذبح التعاج . قال مشاققة : " وصادف الشيخ بشير بطريقه ، الخوري نهره ، فارسا مستقلدا بالسلاح الكامل بالطاوية الكبيرة على رأسه وكان من اعظم القائمين بالفتنة فعندما شاهد الشيخ بشير قال له - المجد لله يا ابينا الخوري ( كما يقول النصارى ) . . . ثم قال له لا يليق بالكاهن ركوب الخيل . . . ثم قال له اني اخشى عليك التعب بالمشي فالاحسن ان ترتاح في ارضك وامر بذهبه . فكان يصيح ويترجى والشيخ يقول له ابوتك تسامحنا لان ذبحك اوفى لصالح الرمية . مشاققة ، المصدر نفسه ص ٨٤ .

(٨٣) انطون خانجيان ، نبذة مختصرة في حوادث الشام ١٨٤٠ - ١٨٦٠ (بيروت ١٩٢٧) ص ٧ .

(٨٤) اسطفان بشعلاني ، لبنان ويوسف كم (بيروت ، ١٩٥٢) ص ١٥١ .

(٨٥) ويذكر هملن تأثير الخط الشريف في الاقليات فيقول فلا تسمع الا اليونان والارمن وسواهم يتحدثون عن مصالحهم القومية ويعنون بها الطائفية ، لهذا تقدم فريق تجار الارمن بالاستانة يطالبون البطريرك بتشيلهم في مجلسه انها حركة ديمقراطية داخلية وقد يتممها المبعوضون بانها وليدة عوامل خارجية

الرساليات والاتصال بالغرب والمعالج السياسية (٨٦) مما حملها على ان تتحمل من سيطرة الاقطاع . وزادها ثقة بنفسها اشتراكها الفعال بطرد ابراهيم باشا وتشقيها روح الحرية والمساواة في عهده (٨٧) فانتفضت نائرة نسي كسروان وحاول اقترانها ان يتحركوا في الجنوب محاولين زحزحة يد الاقطاع الدرزي ، فحولها رجال الاقطاع الى ثورة اهلية وفتنة طائفية ، لتفطية افراضهم الشخصية ومعالجهم العائلية .

---

(٨٦) ويظهر من رواية احدهم " ان محمد علي باشا بايعاز من فرنسا اتبع سياسة تمكن المسيحيين الفلاحين من امتلاك الاراضي ولاسيما في الاقطاع الدرزي لاضعاف نفوذهم .

Captain Bouron. Les Druzes, Histoire de Liban et de la Montagne  
Humanaire ( Paris, 1930 ) p. 149 .

(٨٧) ولا ريب ان النظام المصري في لبنان اضعف نفوذ الاقطاع وكف يدهم وجعلهم امام الشريعة مع الشعب سواء بمسوا . . . وكان ذلك باعثا قويا على كره الامراء والمشايخ للحكم المصري .

مشاركة - مشهد عيان المصدر نفسه ص ١٠٢ ، ١١٤ - ١١٦ .



## رابعاً تنافس بريطانيا وفرنسا

ومن مظاهر التغيرات الكبرى في تاريخ لبنان انتقال الصراع فيه من الصعيد القبلي السلالي الداخلي ، الى الصعيد الدولي ، فاصبح لبنان محور الاهتمام الاوروبي نحو ثلث قرن ، ومسرحاً للنزاع الافرنسي البريطاني بين نفوذ عريق قديم متورث ، ونفوذ قوى مستجد .

تراجع المصريون من لبنان ، ازا' ضغط بعض الدول الاوروبية الكبرى وتغلي فرنسا عنهم وتمرد اللبنانيين ، فتوالت المسألة المصرية ، لتبرز بعنف وشدة الازمة اللبنانية ، وهي ازمة بسط النفوذ بين تركيا وفرنسا وبريطانيا . وانتقل الصراع البريطاني الافرنسي من اوروبا الى لبنان ، واصبح اتفه الاشياء يثير قلق واهتمام الدولتين . وقد مرر من ذلك بلغة بسيطة ساذجة يوسف بك كرم الى ممثل بريطانيا المستر يوركهارت احسن تعبير ان قال " لقد اصبحت امورنا في هذه الايام مرتبطة بانكلترا وفرنسا وانه اذا ضرب احدهم رفيقه كما تصبح المسألة مشكلة افرنسية بريطانية ، وربما اختلفت الدولتان من اجل فحان قهوة يُمزق " على الارض " (٨٨) .

وحملة نابليون على مصر ، وفوزة ابراهيم باشا للبنان ، وتأيد فرنسا للفاتح المصري ظهرت بريطانيا على المسرح في الشرق (٨٩) ، وبرزت سافرة على المسرح اللبناني ، تحاول مقاومة امتداد النفوذ الافرنسي بشـــــــدة

---

D, Urquhart op. cit., v. 2 . p. 77 .

(٨٨)

(٨٩) يلاحظ ان بريطانيا كانت الى امد قريب بمنجوة عن حوادث الشرق الادنى

فاظلت قنصليتها في مصر ١٧٦٩ . هنا دولة ، المصدر نفسه ص ٦٤ .

رغم انها كانت تلاحظ بحذر وقلق ازدياد النفوذ الافرنسي فيه وترنو احيانا

بعطف للتدخل الروسي عليه يضعف هذا النفوذ .

وهنف، (١٠) وتتوعد للموارة عليها تكتسب مودتهم بعد ان تغاضت فرنسا عنهم ردحا من الزمن اهان محنتهم . فلم تغلح الا قليلا (١١) لهذا قال الكولونيل روز جملة المأثورة " ان الموارة مستسلمون روحا وجسدا لفرنسا . . . . . عليه لم يبق لبريطانيا ان تختار بالامر، بل امسى عليها مناصرة الدروز . . (١٢) ويعتقد بجولا ان الموارة تجنبوا بريطانيا مخافة ان تنشر بينهم المذهب الانجيلي (١٣)

### بريطانيا تعقد وتحتضن الدروز

وهلا بهذه الفكرة لم تدع بريطانيا فرصة الا وانتهمزتها لظهار مطعها على اصدقائها الجدد (١٤) وهذا العطف البريطاني نحوهم كما سنرى مع ما تمتعت به من نفوذ في هذه الفترة في الشرق شجع الدروز على العدوان واعتقدوا انهم باستعمال الموارة او اضعافهم يخدمون المصالح البريطانية .

١٠ . وحينما اتصل ناهليون بامير لبنان اتصلت بريطانيا بمشايع الطائفتين ، ووزعت في لبنان المنشور الذي اذاعه ناهليون في مصر توددا للمسلمين وفيه كيف ان الثورة قضت على نفوذ رجال الدين المسيحي واضطهدت بعض مؤسساتهم واخيرا ينهي الاميرال ناهيه منشوره بقوله وعليكم الان ان تختاروا بين قائد ملحد ورجل مسيحي نبل .

E. Napier , op. cit., v.1 .p.201

وحاولت بريطانيا رشوة سليمان باشا نفسه بمنحه حكم قبرص طيلة حياته فرفض .

Dodwell ,op. cit., p. 64.

(١١) وكانت البروتستانتية بعرف العامة وتلقين لرجال الدين مرادفة "للماسونية" و"للكفر" ويذكر مشاقه كيف ان العامة عندما شاهدت المرسل الاميركي كنج وهو جميل الطلعة تجسرت لكونه بروتستنتيا . مشاقه ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٦ .

(١٢) المحررات السياسية ، ج ١ ص ٢٣ .

B. Foujoulat, Recits et Souvenirs d'un voyage en Orient. (Tours 1885) p.133 (١٣)

(١٤) بعد انسحاب المصريين توترت العلاقات بين الدروز والأتراك فاصدر السلطان امرا بقتل نحو ثمانين زعميا ، فالتجأوا الى القنصلية البريطانية فاعلنت بريطانيا ان الأتراك لن يدخلوا اليهم الا على جثث القتلى وانتشر الخبر بين الدروز فاشتدت اواصر المودة بينهم وبين بريطانيا

وقد انتقد تشرشل نفسه ، موقف حكومته هذا ، مستغنيا وقائلا " ورغم التعسف والظلم الذي كان يسوبه سعيد بك جنحلاط للمسيحيين ، فان معاهدة بريطانيا له ، وفرض الطرف من سيئاته ، اثار استغراب الدرّوز انفسهم فتشجعوا على احتقار المسيحيين واعتقدوا ان بريطانيا ترضى بسحق الطائفة المارونية ، اضعافا لنفوذ فرنسا ، وانهم بالفتنة الاخيرة ١٨٤١ ، ١٨٤٥ قد قدموا خدمات جلى لمصالح بريطانيا باضطهادهم ملة تنظر الى البريطانيين "كمرأطة" و"ماسونيين" و"كفار" . (٩٥)

وفي حديث للمستتر جراهام المرسل الارلندي ما يؤيد هذا القول ، قال في تقرير قدمه الى لجنة بيروت الدولية ١٨٦٠ " زارني في بيتي زعيم ، وهذا لا يلفظ اسمه المسيحيون الا بمزيد الرعب ، وجرى بيننا حديث ظهر منه ان كثيرين من الدرّوز يعتقدون ان الحكومة البريطانية قد ترتاح كل الارتياح لما فعلوه ، لظنهم انهم يخدمون مصالحنا . . . فاثبت له خلاله وقلت ان الشعب البريطاني هو اكثر الشعوب مقلتا لامالهم المشينة (٩٦) .

وبعد ان استعرت نار الحرب الاهلية ١٨٤١ ارسل مستر "وود" رسالة بتاريخ ٢٨ تم الى والي صيدا ينصح الاتراك بالحياد ، (٩٧) وكان الحياد بمصالح الدرّوز ، فانارت هذه الرسالة الشبهة والتأويلات الكثيرة حول موقف مستر

---

(٩٥) يوسف خطار ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية (بيروت ١٩٥٢) ص ٦٧

Churchill, Mount Lebanon I, p. 125

" The Druzes and the Maronites p. 151

(٩٦) المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٧١

(٩٧) نهي الرسالة في المحررات السياسية ، ج ١ ص ٨٦ .

وود آنذاك ، وما يلاحظ لسوء الحظ ان كثيرا من رجال فرنسا وبريطانيا كانوا يتبعون سياسة مناوئة لزملائهم وحكوماتهم . (٩٨)

ولعل ابرز دليل على تدخل بريطانيا هو عمل الكولونيل تشرشل نفسه الذي كان على حد تعبير صديقه المرسل الاميركي مستر جيب العقل المنظم والمستشار الحربي للدروز في لبنان ولكن ما تحولت المعارك الحربية الى مجازر اهلية حتى استنكرها اشد الاستنكار وحمل على الدروز والأتراك حملة شعواء (٩٩)

### التهم الموجهة الى بريطانيا

وقد تعرضت بريطانيا الى هجوم صافى مركز من الصحافة الفرنسية واثارها النواب الفرنسيون حملات لا هوادة فيها ولا لين ، في قاعة المجلس ، قال احدهم " انتم تعلمون من اين تهب الرياح والعواصف التي تجتاح تلك البلاد النعمة ، فمهبها ليس من بحر المتوسط بل من وراء بحر المانشي " (١٠٠)

واخذت الصحف الفرنسية والبريطانية تتبادل التهم ، والجدير بالذكر وبحرية الرأي في بريطانيا ان احد النواب البريطانيين نهض في المجلس البريطاني يتهم حكومتها نفسها بانها المسؤولة ، ان لم تكن مباشرة فغير مباشرة ، فقال انما وضع من التدقيق في تاريخ العشرين سنة الاخيرة ، ان بريطانيا هي سبب ما جرى هنالك فاذنا فعلنا فقد وجدنا ابراهيم باشا والامير بشير مثل اهم اسرة في تلك البلاد يمسوس شؤونها ، ان لم يكن على ما يرفب فيه ، فعلى الاقل بطريقة من شأنها

---

D. Urquhart op. cit., II, p. 450

(٩٨)

H. Jessup op. cit., I, p. 159

(٩٩)

(١٠٠) المحررات السياسية ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

ملافاة حدوث مثل هذه الكوارث الهائلة ، فسمعنا الى ابدال هيئة الحكم نكابة  
بفرنسا ، ومعارضة لبعض الدول ، فعملنا على التفريق بين الدروز والموارنة ...  
واذكر ما قاله الباسل امير البحر نابيير ، الذي اشترك في مشاكل ١٨٤٠ في  
اجتماع عقد سنة ١٨٤٥ فقد صرح " انه مخجول ان يعترف ... فوقف السير  
شارل نابيير في الجلسة نفسها وقال ان ما قاله حضرة العضو صحيح ، قد قلت  
" اني مخجول من الدور الذي لعبته ، مخجول عن نفسي ، مخجول عن امتي ،  
كانت سوريا تحت الحكم المصري هادئة مطمئنة ولولا لم يرسل سفير (١٠١) بريطانيا  
صالة لاثارة الشعب لما تمكنا من طرده ولدينا قوة ضئيلة .

#### تقرير موقف بريطانيا

ويقرر بعض المؤرخين موقف بريطانيا بأنه دفاعي محض فاحتلال فرنسا للجزائر  
ومناصرتها لمحمد علي باشا ، وهو معروف بميله لفرنسا ، وازدياد نشاطها في  
لبنان ، وتفكيرها باحيا قناة السويس ، كل هذه الامور اقلقّت بريطانيا اشد القلق ،  
وقد عبر عن ذلك القلق بكل صراحة رئيس وزراء بريطانيا للمسيو فيزو بقوله ، ما هو  
بمعناه " ان هذه السياسة خطيرة ومضرة لنا جدا " (١٠٢) لا سيما وسياسة بريطانيا  
آنذاك كانت تدور حول محور المحافظة على طريق الهند ، لازدياد تجارتها وتوسع  
مصلحتها في الشرق .

---

Hansard, Parliamentary Debates, 3rd series. 23 July to 28 August (١٠١)  
1860 Columns 1479- 1486.

(Quoted by M.H. Kerr, Revolution and Civil War in the Lebanon; An  
unknown page from the history of Lebanon from 1841 -1871, by a con-  
temporary of the time, Antun Dahir, Al-Akiki , publication, commentary,  
and marginal notes by I.Y.Yazbak . Tran. comm. and annotations by M.Kerr,  
Thesis, A.U.B. 1955)

F. Guizot, A Popular History of France, ( Boston, 1888) VIII, p. 406.

Great Britain: Foreign Office, France and the Levant (London (١٠٢)  
1920) p. 17

## اهمية جبل لبنان لها

وبحسب ابراهيم باشا انكشفت اهمية جبل لبنان الاستراتيجية لبريطانيا وكان اكثر المتحمسين اهتماما بموقعه من مال بريطانيا يوركهارت (١٠٣) وتشوشل الذي نصح ابناء ملته قائلا " يجب لاسباب واضحة ان يعرف كل بريطاني بانه اذا ارادت بريطانيا ان تحتفظ بتفوقها في الشرق عليها ان تسيطر بحكمها او نفوذها على مصر وسوريا وانني لادعو مواطني ان يتبنوا هذا المبدأ وهو اذا انسح لبنان من الامبراطورية العثمانية ، اما يجب ان يكون تابعاً للنفوذ البريطاني واما ان يكون جزءاً من دولة مستقلة . . . ، لبنان هو القلعة الطبيعية في وسط هذه البقعة من العالم " (١٠٤) وكتب ممثل بريطانيا في لجنة بيروت الدولية الى حكومته عام ١٨٦٠ " لو كان يتوجب علينا ان ننظم شؤون لبنان مجدداً ، دون الاعتماد بسابق تاريخه ، لقلت ، ان افضل طريقة وأبسطها هي الحاق لبنان بولاية سوريا " (١٠٥)

## نشاط مال فرنسا في لبنان بعد هبوط نفوذها

ولمست علاقة فرنسا بلبنان امراً حديثاً يستوجب البحث من حيث تغيير الاوضاع في لبنان ، ولكن الجدير بالامر هو ذلك الهبوط الكبير في النفوذ الفرنسي بعد انسحاب المصريين ، ونشاط مال فرنسا لاعادة ذلك النفوذ بغنى الوسائل وبمختلف الاساليب ، هذا الهبوط او الانخزال اعتبره الساسة الفرنسيون صفقة

(١٠٣) خصص فالكنس فالبي ، بحثاً خاصاً للدور الذي لعبه يوركهارت في الشرق

Felix Valyl, *L'Europe en Asie Mineure, La Signification Profonde du Probleme Turc*, ( Paris, 1922 ) pp. 26-32.

ازدادت تجارة بريطانيا بين ١٨٢٥ - ١٨٥٣ في الشرق هذا من ٦٠

مليون الى ٢٢٥ مليوناً .

F. Bailey, *British Policy and the Turkish Reform Movement*, p. 69.

C. Churchill, *Mount Lebanon*, II, p. 8

(١٠٤)

(١٠٥) المحررات السياسية ، ج ٣ ، ص ٢٢

الجنة لسياستهم بل كما قال احدهم "واترلو الدبلوماسية الافرنسية" (١٠٦) وفي تعبير لامارتين الشاعر والنائب "حتالة كاس شربناها عام ١٨٤٠" ثم قال مخاطبا زملاءه النواب "وكان عليكم على الاقل ان تبذلوا الجهد لثلا تتحول تلك الحتالة الى نقطة دم" (١٠٧)

وهبط النفوذ الافرنسي في الاستانة ولبنان معا فخطب فيروز في الندوة البرلمانية ١٨٤٠ قائلا "لقد كما اهملنا الموارنة حديثا في مقاومتهم باشا مصر وحضنا الباشا ضد الباب العالي بل ضد الموارنة مما اضعف موقفنا في الاستانة بمخاطبة الدولة العثمانية في شأنهم" (١٠٨).

والدليل على هبوط النفوذ الافرنسي ان رجال الاقطاع الماروني ومنهم مشايخ آل الخازن اولئك المدينون لفرنسا بنفوذهم لاسنادها اول قنصلية لهم بمالوا / نحو بريطانيا وترددوا كثيرا على الارسالية الاميركية في بيروت (١٠٩) فكان حال فرنسا من المحرضين على الثورة الشعبية ضدهم ، وامتدت نحو الاقطاعية الدرزية فحولها الاقطاعيون الى فتنة طائفية ، ولعل اروع دليل على النفوذ البريطاني ان البطريرك نفسه ، وهو الى ايام قلائل ، كان يحرم كل من يرنو بنظرة نحو المراكب الانكليزية ، التجأ الى احدى المراكب البريطانية بعد اشتداد ثورة ١٨٤١ (١١٠)

---

(١٠٦) M. Jouplain , op. cit., p. 244

(١٠٧) المحررات السياسية ، ج ٢ ص ٢٦٨ ، ثم قال لماذا اتخذت النصارى سياسة مخالفة لاميالها ذلك بغية ارضا بريطانيا التي اتخذ مواطنوها على عاتقهم مهمة معقولة قوامها بذر الشقاق بين الدرروز والموارنة واضرام نار الاحقاد . المكان نفسه .

(١٠٨) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٩ .

(١٠٩) Missionary Herald 1842, Feb., p. 301.

(١١٠) الحقيقي ، المصدر نفسه ١٠٦ - حسر اللثام ، المصدر نفسه ص ٩٢ .

ازاء تدخل بريطانيا الصافر في لبنان نشطت الدماية الافرنسية نشاطا قويا ، فكيف ترضى بهذا الانخزال وهي اول دولة اوروبية كبرى انفردت نحو نصف قرن بامتيازات خاصة (١١١) فلوكلها الوحيدون الجديرون بلقب بادشاه وانداد لسلطين بني عثمان ، سفراؤها ، مدة من الزمن ، مقدمون على زملائهم (١١٢) ، سفنها الوحيدة التي تستطيع ان تؤم المواني السورية ، ويتحدث على غيرها ان ترفع العلم الافرنسي (١١٣) بل مضى ربح من الزمن لا يستطيع بريطاني اوفيره ان يدخل سوريا الا "بتأشيرة" من القنصل الافرنسي (١١٤) .

وكانت نقطة الانطلاق لهذا المركز الممتاز وحماية المسيحيين في الشرق معاهدة ١٥٣٥ بين تركيا وفرنسا التي جمعت بينهما المصالح الحربية (١١٥) وترجع العلاقات الافرنسية المارونية الى عهد الصليبيين وتوطدت مع مر الاجيال فانتشرت ارسالياتها ودعاتها في لبنان فاستقر الكوشيون في بيروت عام ١٦٢٥ ان لم يكن قبل ذلك . (١١٦) .

واستغلت فرنسا هذه الروابط اكبر استغلال ان لم يكن اسوأ ، فاعلن ملوكها ان لبنان ، فرنسا الشرق وجزء منها (١١٧) بل تنى لامارتين في كتابه رحلة للشرق

I. De Testa, op. cit., p. 16 . Passim (١١١)

I. De Testa, op. cit., I . P. 186. (١١٢)

B. Poujoulat, op. cit., p. 133 (١١٣)

Ibid., (١١٤)

I. De Testa, op. cit., I . p45. (١١٥)

R. Ristelhueber, op. cit., p. 88 . H. Guys, II, P. 192. (١١٦)

يقول هنري فيز في الصفحة المذكورة اعلاه ان كتاب سوريا المقدس المطبوع عام

١٦٦٠ ، يحدثنا ان مدينة بيروت كانت منذ مدة طويلة مركزا للكوشيين .

E. Napier op. cit., I. 221 (١١٧)



(١١٨)  
قيام دولة مسيحية راقية قلبها لبنان تتعهد لها دولة اوروبية كبرى ومن رسالة  
الكولونيل فريزر الى السفير البريطاني في الاستانة قوله " والنظرة الافرنسية ان  
تجعل لبنان دولة مستقلة برئاسة امير موراني . (١١٩) وتباهى الموارنة بهذه  
العلاقة فتخطوا حدود اللياقة نحو الدولة التركية وحدود الكياسة نحو جيرانهم  
الدروز ، فاذا ما انتقل سفير فرنسا من قرية الى قرية استقبل استقبال الفاتحين ،  
واعلنوا مرارا ان الدم الافرنسي يجري في عروقهم . وكثيرا ما اشار رجال السياسة  
الى دولهم انه من اسباب الفتن ما علقه الموارنة من امال على مساعدة فرنسا لهم ،  
ولكن فرنسا خيبت امالهم احيانا . ويعلق على هذه الخيبة المطران طوبيا الى  
مستر يوركهارت في بيروت قائلا ، " هنا ، وفي جميع اقسام سوريا ، وبصرى ، وقبرص ، منذ  
منتصف القرن السابع عشر الى آخر حملة نابليون ( الثالث ) ، بلغ عدد ضحايا الموارنة  
في سبيل فرنسا نحو اربعين الفا ، فتك بهم الاتراك ، او سواهم وهذه هي ثمة  
حماية الافرنسيين لنا (١٢٠)

والواقع ان علاقة الاتراك كانت احيانا تحلو او تشمو بتأثير علاقة تركيا بفرنسا  
وكما مر سابقا نقلا عن الوثائق الافرنسية الرسمية ان تركيا كانت تنظر الى الموارنة  
نظرة تختلف عن نظرتها الى سائر المسيحيين في امبراطوريتها فهم يعرفها من  
انصار روما وفرنسا .

ومن مآخر الاقدار ان هذه الفتنة التي كان من بعض عواملها انهاء  
النفوذ الافرنسي والتفريق بين " حبيبين قديمين " انتهت بالوهال والاحتلال الافرنسي ،

---

(١١٨) A. Lamartine, Voyage en Orient, I, p. 147. (Quoted by E. Napier  
op. cit., I, 222 f.)

(١١٩) Great Britain : Foreign Office . Correspondence relating to  
the affairs of Syria, 1860-1861 ., (London 1861)

(١٢٠) D. Urquhart , op. cit., v.2. P. 261.

فعلق على ذلك يوركهارت ساخرا مستهلا كتابه من الحوادث بقوله " وسرى فيه كيف ان الدول الاربع التي اجتمعت وشارت اعمالها ، بحجة اقصاء النفوذ الافرنسي ، انتهت مهمتها " بتسليم البلاد الى احتلال افرنسي عسكري " (١٢١) ويفاخر رينه رستلهوير قائلا .

" هذه العلاقات التي باشرها الصليبيون ، وكرسها لويس الرابع عشر ، واحترمتها الثورة ، ونفذها نابليون الثالث " (١٢٢) .

---

D. Urquhart, op. cit. I p. 5

(١٢١)

R. Ristelhueber, op. cit. p. 2

(١٢٢)

### خامسا

اشتداد ازمة المسألة الشرقية في النصف الاول من القرن التاسع عشر

ما انصدم القرن الثامن عشر او كاد حتى برزت المسألة الشرقية (١٢٣)  
على اشدّها بازدياد التدخل الاوروبي الاجنبي ، فبلغ الذروة في منتصف القرن  
التاسع عشر (١٢٤) .

وتعرض المسيحيون فيه من عامة الشعب على الاكثر ، للاهانة ، والمخايقة  
والفتك بهم احيانا ، فكانت مصائبهم وبلاياهم تجاوبها او عقابها لما ابتليت به  
الامبراطورية العثمانية من بلايا الغرب وتدخلاته .

(١٢٣) والمسألة الشرقية كما عرفها البعض " ما اطلقه الاوروبيون على موجة المد العثماني  
في الشرق والغرب ثم انحسارها تحت الضغط الاوروبي وبداية المشاكل التي نجمت  
منها او كيفية اقتسامها سواء كان الضغط من الداخل او الخارج " حسين النجار ،  
السياسة والستراتيجية في الشرق الاوسط ص ١٤٠ .

(١٢٤) J. A. Marriot, The Eastern Question, an Historical Study in European  
Diplomacy ( Oxford, 1951) pp. 1-6

قال احدهم ان طيلة القرن التاسع عشر ، برز عاملان من عوامل التدخل الاوروبي في الشرق ،  
الاول علماني يتجلى باقتباس اساليب الحكم والتجارة والصناعة والحرب ، وهامل ثقافي  
روحي يحاول تغيير داخلية الشرق وهو نشر مبادئ وعقائد جديدة والواقع ان التدخل  
ابتدأ من زمن ابعد ولكن ظهر بصورة عنيفة في هذا القرن . وما يؤسف له اننا  
ندخل للشرق كثيرا من مشاكلنا غير المحلولة . وقال كوهن " طيلة القرنين الماضيين  
كانت الامبراطورية العثمانية حزمة الميدان للنزاع بين الشرق والغرب .

Edward C. Moore, West and the East; The Expansion of Christendom and the natural-  
ization of Christianity in the Orient in 19th Century, being the Dale lectures  
(N.Y. 1920) p. 6f.  
Hans Kohn, Western Civilization in the Near East, (London, 1936)p. 67.

ويتجلى لنا التدخل او الاقتحام الاوروبي باربعة عوامل او مجارى كبرى:  
 اولاً الاقتحام العسكرى ، وحاملة لوائه روسيا ، ثانياً انتفاضات البلدان المسيحية  
 التحريرية من جراء وهي الشعب وتأثيره بأوروبا ، وفي مقدمتها اهمية ، ثورة  
 اليونان ، ثالثاً اقتباس بعض عناصر الحضارة الاوروبية بتأثير الثقافة الافرنسية على  
 الاكثر وبواسطة السلاطين ، او تسربها بواسطة الافراد والهيئات القروية  
 والدينية ، رابعاً الاصلاحات والتنظيمات فيما يختص برفع الغبن عن الاقلية  
 وكانت هذه على الاكثر بوحى (التأثير) بريطانيا محافظة على وحدة الامبراطورية  
 وانعاشها . (١٢٥) وكونت هذه العوامل بنظر عامة الشعب المسماني ، انقلاباً  
 خطيراً في حياتهم وانظمتهم وتحدياً خطيراً لشرائعهم وتقاليدهم وعاداتهم وفدت  
 الحكومة هذا الشعور وامتشفته سلاحاً لمجاهدة اسلحة الغرب فكان سلاحاً ذا  
 حدين ، كلما ازداد التعصب كلما ازداد التدخل والعكس بالعكس . (١٢٦)

#### المجرى الاول : الاقتحام العسكرى

وكان اول اقتحام عسكرى سافر ، كما ذكرنا سابقاً حملة نابليون وكان من  
 جرائها ان تعرض المسيحيون للنهب والقتل (١٢٧) وكاد المسلمون في دمشق  
 ان يبطشوا بهم فنهأهم العقلاء (١٢٨) و "تفاوت عواطف الموارنة والدروز حيالها

(١٢٥) Charles Hallberg, The Suez Canal (N.Y. 1931) p. 70.

(١٢٦) قال احمد امين "ولسوء حظ الشرق والغرب معا ان أوروبا فزت الشرق  
 واطلت عليه بوجهها الديني والعسكري : حملات عسكرية ، ارساليات دينية ،  
 مدارس تبشيرية وجميع هذه بعرف الشرق انواع حديثة لحروب علمية جديدة"  
 احمد امين ، يوم الاسلام ص ١٢١

(١٢٧) نقولا الترك ، مذكرات (القاهرة ١٩٥٠) ص ٨٣

(١٢٨) كتاب الاحزان ، ص ٢٣

فانسر الموارنة ووقع الذعر في قلوب الدروز (١٢١) وقال الامير حيدر شهاب " واما اهالي الجبل ففرحوا بقدومهم ٠٠٠ اما مشايخ جبل الدروز والعقال فانهم خافوا جدا من استيلاء الافرنج على مرستان وجزوا على الرحيل الى نواحي حلب والجبل الاعلى وهوران " (١٢٠) ولم تكن هذه الاولى من نوعها فقد تعرض المسيحيون سابقا لاضطهادات ماثلة عندما تعرض الغرب بالشرق (١٢١)

(١٢٩) الشدياق ، المصدر نفسه ص ٤٤٩ ، حيدر شهاب ، الجزائر ص ١٢٢  
(١٣٠) واستشف نابليون بثاقب نظره ما ستثيره حملته من تعصب شديد نفسي العالم الاسلامي فكان يكتب الى قواده في عدة مناسبات " مهما فعلتم تأكدوا من ان النصارى في صفكم ، فلا ترددوا اذن في تفضيل المسلمين على النصارى " . وصرح مرة امام الاعيان والعلماء في مصر متوددا للمسلمين " نعم اني اكره النصارى .. لقد حطمت هياكلهم وقتلت قساوسهم ٠٠٠ وعلى الرغم من ذلك فاني اراهم يفرحون لفرحي ويتألمون لآلمي " . ويعلق جاك شاك " يمكننا ان نستنتج من حوادث هذه الحملة ثلاثة مسائل هامة :  
اولا - ان احتقار المسلمين للاقباط جعل التفاهم عسيرا ، ثانيا - ان وجود امة مسيحية في مصر اساءت الى العلاقات بين المسلمين والاقباط بالرغم ان هذه الامة كانت مشبعة بروح المطف على الاقلية ٠٠٠ ،  
جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢ (القاهرة ، ١٩٥١) ص ٢١٢ ، ٢٢٢ .

(١٣١) ويروي الشدياق من ثورة مسلمي بيروت على المسيحيين عام ١٢٥٨ من جراً استيلاء احدى سفن القراصنة الاجنبية على سفينة للمسلمين ، الشدياق المصدر نفسه ص ٣٧٦

وبلغت ازمة المسألة الشرقية ذروتها في حرب القرم<sup>(١٣٢)</sup> ، إذ كان لصدى التدخل الروسي في اذلال بني عثمان اثره العميق في العالم الاسلامي عامة والشرق الادنى خاصة ، هذا الصراع في عرقهم حرب متواصلة يشكها المسيحيون لاذلال المسلمين وتعزير الدّميّين ، او ليست اسباب الحرب الاخيرة اختلاف المسيحيين فيما بينهم في بهت المقدس ؟ او ليست نتائج هاته الحروب المتوالية امتيازات مستجدة للرعايا الدّميّين ؟ وقد كانت بالامس استنابا واستعطاء ؟ فاصبحت فرضا وواجبا ؟ او ليست هذه الحرب سببا للاستتجاد "بالكفار" من افرنسيّين وبريطانيّين وإيطاليّين ، فيسرحون ويهرحون في الاستانة نفسها ويحيث بعضهم الفساد والتفتك والالحاد<sup>(١٣٣)</sup> . ثم جرت وراءها ذيول كموثير باريز والخطوط الهمايونية لهذا ظهرت حوادث منعزلة وحوادث عامة في اضطهاد المسيحيين في كافة انحاء الامبراطورية العثمانية فالهبت واذكت روح التعصب الديني بين الفريقين مما سنلمس اذاء وصداء ، في حوادث لبنان .

(١٣٤) ظهرت روسيا للميدان والحرب سجال بين الاتراك والنمسا وجيرانها فاخذت روسيا على نفسها منازلة تركيا نيابة عن اوروبا جميعا واصبحت المسألة الشرقية في القرن الثامن عشر وما بعده وكأنها المسألة التركية الروسية ، وتجسست المطامع الروسية بعهد كاترين العظيم فاقدت حفيدها لتولي عرش القسطنطينية وجعلت نفسها حامية الارثوذكس وتوالت الاصطدمات وتوالت المعاهدات والامتيازات وكان اشدها وقعا معاهدة كوجك قنارجة ١٧٢٤ التي وضعت بانها مثال رائع للغباوة التركية والمهارة الروسية ولاول مرة طلق تركيا نفسها باحضان روسيا اتقاء من جيوش محمد علي .

J. Marriot, op. cit., pp.6, 153  
 Lord Eversely, op. cit., p.224  
 J. de Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu'a nos jours, ( Paris, 1939) XVI , p. 392.

(١٣٥) Henry Dwight, Constantinople and its Problems (N.Y.1901) p. 187

وجاء في كتاب مشهد عيان " وكان المسلمون يصفهون على الدولة عليها عقب حرب القرم وكثر تدمير المسلمين من الدولة وبلغ من حقد المتعصيين انهم تأمروا والنوا الجمعيات السرية ، يطلبون فيها خلع الدولة التركية واستبدالها بدولة تعيد مجد الاسلام والاسترقاق للمسيحيين " (١٢٤)

قال شاسو : " كان اللبنانيون يراقبون هجوم حرب القرم الممتدة فوق الاستانة كما راقب ايليا من على جبل الكرمل فيمة الشتاء ، وكان لانتصارات السلطان صدى صيق كاد يودي الى انفجار في لبنان " (١٢٥)

وجاء في كتاب " حسر اللثام " وكانت نتيجة حرب القرم شوفا وشرا على بلاد الشام واهلها ذلك ان الاتراك انقوا من عودة بلادهم اليهم على يد الافرنج وخافوا ان يعرف الناس ضعفهم فجعلوا يظلمون ويضطشون بكل من عرف له ميل للافرنج " (١٢٦)

#### المجرى الثاني - الانتفاضات التحريرية

وكان لاستقلال اليونان اصداا الاستحسان والفرح في العالم الغربي وقابله العالم الشرقي بالضغط الشديد مما ادى الى حوادث مؤلمة في سوريا وسواحل لبنان قال تشرشل : " لقد اثارت ثورة اليونان مخاوف السوريين لا آمالهم ، فان صدى كل انتصار في بلاد اليونان ، كان يسبب الخوف والجزع في قلوب المسيحيين في بيروت وصيدا وفيرها مخافة ان ينتقم الاتراك منهم . وقد صح تخوفهم ، فلما فزا الارواح بيروت وارتد هؤلاء بفضل مساعدة المسيحيين للاتراك ، فرض الاتراك على المسيحيين فرامة واتهموا بمساعدتهم " (١٢٧) وذكر رتشارد مادن انه كلما تعرضت الامبراطورية

---

(١٢٤) مشهد عيان المصدر نفسه ص ١٢٠

(١٢٥) G. Chasseaux, *op. cit.*, p. 515.

(١٢٦) حسر اللثام ، المصدر نفسه ص ١٢٨ .

(١٢٧) C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p. 384

لخطر خارجي جال في الازدهار ذبح المسيحيين واحيانا نفذت هذه الفكرة ، او منعت ، ويذكر انه بعد معركة " نغارينو " جال بذهن السلطان الفتك بالمسيحيين ولكن فكرة التعقل انتصرت وعوضا عن ذلك رغب باصلاح احوال الرعية . (١٣٨)

وجاء في الشدياق ما يثبت تعرض المسيحيين للخطر آنذاك اذا اتهموا بمساعدة الاروم ، فهاج المسلمون نائرين للانتقام ولما شعرت النصارى بذلك شرعوا يهربون الى الجبل وقبض المسلمون على من ادركوه منهم (١٣٩) ودب الذعر في الاوروبيين فافلقت بريطانيا قنصليتها في بيروت وفر قسم من المسلمين الى مالطة . واصدر امير لبنان منشورا مآله انه لا يقبل الاوروبيين اللاجئين في مقاطعاته (١٤٠) ولكن رغم ذلك التجأ نفر منهم الى حى اللادى استهوب ، (١٤١) قال جوبلان وظهرت موجة التعصب بثورة اليونان منذ ١٨٢٠ (١٤٢) وكتب مشاققة في الجواب على اقتراح الاحباب وهو شاهد عيان ورجل واسع الثقافة في جيله رواسع الاطلاع ، " ثم صدرت الاوامر السلطانية بقتل المفسدين من كبرا طائفة الرم ، واذلال النصارى في جميع الممالك . وعند ورود الامر لوالي الشام ، عقد مجلسا من اعيانها ، فكان كلامهم ان النصارى عندنا لا يوجد منهم مفسدون ، بل جميعهم ذميون ، سالكون بشروط الذمة فلا تجوز اذيتهم . . . وحضرة نهبنا اعطاهم العهد الذى فيه يقول من قتل ذميا ككت خصه يوم القيامة . . . فقرر الحال بان كتبوا عرض محضر للدولة بحسن سلوك النصارى . . . وقد اكتفى وزير الشام بالحتم على النصارى ان تكون جميع ملبوساتهم الخارجية ذات اللون قاتمة . . . وهم " المنادات " كان عند محرره ( مشاققة ) مشايخ بيت الدحداح ويوسف الخورى

R. Madden, op. cit., p. 804.

(١٣٨)

(١٣٩) الشدياق المصدر نفسه ص ٥٦٠

R. Anderson, op. cit., v.1 p. 50.

(١٤٠)

H. Stanhope, op. cit., v.1 p. 54.

(١٤١)

M. Joxplain , op. cit., p. 251 .

(١٤٢)



شلفون وغيرهم ولم يعودوا يستطيعون على الخروج اللازمة بالاحذية الحمر حتى استحضرننا الزاج مع خادم توجه للسوق حافيا وصيفناها سودا... (١٤٣) ولحسن حظ المسيحيين ان الامر تلي على اعيان دمشق لا على رعاها ، لان الاعيان قد كبخوا جماع الفتنة في دمشق الا انهم لم يستطيعوا انتراعها من القلوب فكبت لتتفجر فيها بعد بفتنة دامية مريرة .

### المجرى الثالث ، التدخل الوقائي ، الخط الشريف والخط الهمايوني

ويختلف هذا التدخل بنظر العامة على الاخص بانه اشد التدخلات مرارة ، واكثرها تحديا ، واقعها اهانة وتحقيرا ، وقد يستساغ الاقتحام العسكري وقد مارسه الاتراك احيالا في اوروىا ، وقد تهر الانتفاضات التحريرية ولا سيما اذا كانت في اطراف الامبراطورية اما هذا التدخل فهو في مقر دار حاضرة الاتراك وفي صميم الحياة الروحية والاجتماعية وهو تعدى للشريعة والتقاليد ، ومنافيا لكرامة الدولة وسجدها . (١٤٤)

(١٤٣) مشافة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ٨٠ .  
راجع كرد علي ، خطط الشام ( دمشق ، ١٩٢٧ ) ج ٣ ص ٢٣٩ .  
(١٤٤) كان الاتراك نظرا لانتصاراتهم السابقة في اوروىا يعتقدون بانهم ارفع من الاورويين مقاما وشرفا ، فكانوا يرفضون في امان عظمتهم انتداب السفراء الى اوروىا متوهمين ان اوروىا بحاجة اليهم لذا يتحتم على الاورويين ان يقيموا السفارات في العاصمة التركية . بهم المصدر نفسه ص ١٤٩ .  
واذا قدم السفراء للسلطان هدايا تعتبر ضرائب من " الكفار " ، وكان يقتضي على السفير وقتا طويلا ليحظى بمقابلة السلطان ، وفي هذه الحالة عليه ان يرتدى جلبابا تركيا لاخفا ملبسه الاوروية ، وان ينزع سيفه قبل الدخول ولكن عندما ضعفت تركيا ابي السفراء التقيد بهذه الامور وقيل ان اول من ثار على هذه العادة سفير فرنسا انه ابي ان يخلع سيفه بل رفض الوزير الذي طالبه بذلك

W.Eton , op. cit., pp. 112-114.

ولا ادل على فرور الاتراك وخطرستهم من رواية ذكرها المؤرخ ايتون وقد شاهدها بام عينه في روسيا ، قال سمحت السلطة الروسية لجندى تركي اسيران يتجول في بلدة ما ، فالتقى بضابط روسي في مكان ضيق لا يتسع لكثر من شخص فطلب الاسير التركي من الضابط ان " يطورق " وقد امتنع الضابط ساخرا ... ثم اطلع الحاكم على الحادثة فسأل الاسير التركي عن سبب سوء تصرفه فقال ولما لا ؟ اليس هو كافرا وانا مؤمن ؟ وقيل خرج التركي وهو يتهدد بانه سينتقم يوما ما من بعض المسيحيين في الاستانة لاهانتهم آنذاك .

وسواء كان مبعث هذه الاصلاحات والتنظيمات تفتح عقلية بعض المسؤولين الاتراك، اما تقليداً بمحمد علي باشا (١٤٥)، او روسيا (١٤٦) ام استيحاً من بريطانيا او سواها، لقد شعر الاتراك ازاء ما تكيل لهم روسيا من ضربات ان لا بد من الاصلاح واقتباس بعض عناصر الحضارة الاوروبية . فكان من الطبيعي الشروع باصلاح الجيش اولا، لهذا شاع المثل القائل "بع سيفك ولو كان يمانيا او وطنيا واشتر به مسدسا اجنبيا" .

### بوادى الاصلاح

وشرع السلاطين بالاصلاح التدريجي وكان اكثرهم جرأة محمود الثاني فابتدأ بالجيش فأباد الانكشارية ومنع لبس العمامة واستبدل بها الطربوش، (١٤٧) وارتدى هو نفسه الملابس الافرنجية واقام الحفلات للسفراء ونسائهم ما لم يحدد له سابقة

---

Frank Bailey, op. cit., p. 33

(١٤٥)

(١٤٦) والدليل ان روسيا وهي الدولة الشرقية مثلهم قد كانت للامس القريب دولة ضعيفة خائرة فما مسها سحر الحضارة الغربية حتى اصبحت تكيل لهم الضربة تلو الضربة والدليل الاخر تفوق محمد علي باشا وانتقاله من نصر الى نصر بفضل القادة الاوروبيين .

(١٤٧) واحتج العلماء على لبس الطربوش وهو اجنبي ثم لفوا العمامة حوله على انه لا يزال اسيراً لها .

R. Davey, op. cit., p. 162 footnote

في البلاد العشائية (١٤٨) وتوسع في الاصلاحات وفتح الباب على مصراعيه بعد ان كانت الابواب مغلقة لمعظم عوامل الحضارة الاوروبية ، لاحتقار الاتراك لها وتخوفهم منها ، وثار الشعب يقاوم هذه الاصلاحات فقتل رثيف محمود بثورة متعصبة ، (١٤٩) ولعن السلطان ، ونعت بانه "فيور" و "كافر" ومات محمود الثاني في فترة الحوادث وجيوش محمد علي باشا تتابع فلول جيوشه ، فكان يوم وفاته ، يوم مناحة بين الرعايا المسيحيين ، وتولى الحكم بعده عبد المجيد الاول فسار على فرار والده بل ذهب ابعد من ذلك واصدر الخط الشريف .

الخط الشريف ، كليخانة ٢٣٢ ، ١٨٣٩ ، والخط الهمايوني ١٨ شباط سنة ١٨٥٤

ولعل اعظم خطوة واطورها في مسالك الاصلاحات هو الخط الشريف الذي استعمل به عبد المجيد حكمه بتشجيع وزيره رشيد باشا وفيه وعد الخليفة جميع رعاياه بصيانة ارواحهم وشرفهم ، وممتلكاتهم . ويتوزع عادل للضرائب وجمعها رأسا لا بطريق الالتزام والمساواة امام القانون ، وعلمانية التعليم ، واضعاف المركزية (١٥٠)

(١٤٨) وقد يضيق البحث ويخرج من نطاقه ان ما اسهبنا في اصلاحات هذا الرجل الجصور انشأ ديوان للترجمة بعد ان اصبح اليونانيون غير مرفوب فيهم لثورتهم ، اسس مدرسة طبية على فرار مدارس الغرب ، وثلاث اخرى للزراعة ، والهندسة والبحرية شجع ظهور الجرائد في عصره وانشأ اول جريدة باللغة التركية ، اول من ادخل حرية لبلاده وكان يقودها بنفسه ، اول من ارسل بعثات دبلوماسية منظمة للخارج ، وذكر دفسون انه فكر بانشاء مجلسين "برلمان" على فرار المجالس في اوروبا وان نسخة من مشروعه موجودة في مكتبة الاستانة .

Roderie Davison, op. cit. p. 14.

Richard Davey, op. cit. p. 164f.

R. Madden op. cit. p. 436

(١٤٩) رثيف محمود كان سفيرا لتركيا في لندن ، ارسل للخليفة تقريرا عن نظام الحكومة في بريطانيا فما استدعاه الخليفة لتنظيم الدولة فثار عليه الشعب وقتله لانه رجل خطر وذو نظرات واسعة

R. Davison op. cit. p. 15.

I De testa, op. cit. V, 140.

(١٥٠)

ومع ان الخط الشريف كان بياناً ساذجاً في امين معظم الاوروبيين وهو اقرب للتمنيات منه "للدساتير" او "المرسومات" (١٥١) فقد هز الامبراطورية هزة عنيفة، ونظراً للتناقض والازدواجية فيه، فهو يدمو للتجدد ولكن في الوقت نفسه يعزو ضعف الدولة للابتعاد عن تقاليد السلف العظام فاتخذه الرجعيون حجة للتغافل في رجعتهم وانعكاسهم. واتخذ "التقدميون" دلالة على ضعف الدولة وعلى مقدار ما احيق بهم من فتن وانتشرت الفتن التعصبية في معظم المدن والامصار وتعرض المسيحيون لاسوأ ما تعرضوا اليه سابقاً (١٥٢)

### الخط الهمايوني

وبعد حرب القرم وقطعا لاسباب التدخل الروسي ضغطت الدول الكبرى على السلطان، فاصدر منشورا اصلاحيا عرف بالخط الهمايوني وكان في الواقع خطة اجرا واصرح من الخط الشريف، لا ازدواجية فيه، ودعا للمساواة بين عناصر الامبراطورية،

---

(١٥١) قال تشرشل ما الخطوة الشريفة والهمايونية وما رافقتها من تصريحات ما هي الا بمثابة هراميل فارغة القمتها سفن الاتراك للحيثان الأوروبية الهاء وخداها

• منها •

C. Churchill, The Druzes and the Maronites, p. 2.

(١٥٢) وقال هملن لقد هز الخط الشريف العاصقوالامبراطورية العثمانية في فترات متتوحة نحواً من اربعين سنة :

C. Hamlin op. cit. p. 66.

Anon, The Ottoman Empire : The Sultans, The Territory and the People, (London, 1799) p. 225.

Driault, L'Egypt et L'Europe I Lettres 79 II Lettres pp. 9, 57, 95.  
(Quoted by R. Davison op. cit. p. 23).

من حيث الضرائب ، والتجنيد العسكري واصلاح جهاز الدولة ، وكان هذا " الخط الهمايوني " بمثابة انقلاب خطير قاومه المتعصبون من المسيحيين انفسهم ومن المسلمين ، بفضل المسيحيين " دفع بدل الخدمة العسكرية " على الانخراط في الجندية وقاومه البطارقة والمطارنة لانه يحدد من سلطتهم ، (١٥٣)

ولكن مع ذلك فقد كان الخط الشريف والخط الهمايوني بمثابة تربية او ثقافة سياسية للشعب ، وتولوا لمعرفة حقوقهم وتبليغ الثورة في اذهانهم وتفكيرهم واحوالهم (١٥٤) فثاروا وانتشرت الفتن والمذابح ، وكما جاء في تاريخ كبرديج " قليلة هي فترات الحكم التي بلغت فيها الفتن والمذابح على مثل هذه الشدة والكثرة " (١٥٥)

#### المجرى الرابع - الاقتحام الحضارى

قال ايتون الى اواخر القرن الثامن عشر بقيت تركيا متأخرة نحو مئتين سنة من اوروبا ، فشكل العجلات مثلا لم يكن معروفا في البلاد ، والطباعة كذلك الا في لبنان ، وقال د. فولاى " الى اوائل القرن التاسع عشر ظلت السلطنة تقاوم كل الافكار الحديثة دون الاهتمام بما يجرى وراءها " . فالتدن في زمامها تجدد من عمل الاعداء ، الاعداء في السياسة والدين . ولكن ما انقضى الريح الاول من القرن التاسع عشر حتى تغيرت الاوضاع تغيرا كبيرا بفضل السياسة التي اتبعها السلاطين منذ مستهل القرن التاسع عشر فانفتحت نوافذ الامبراطورية للحضارة الاوروبية ، فكثرت الجاليات الاوروبية (١٥٦) والبعثات الى الخارج ، وظهرت الطباعة وتعددت الجرائد (١٥٧)

(١٥٣) R. Davison, op. cit., pp. 30-41

(١٥٤) C. Hamlin , op. cit., p. 268.

(١٥٥) "The Levant" Article in the Cambridge Modern History(Cambridge 1909) , XI, p. 275.

(١٥٦) بلغ عدد الاوروبيين في الاستانة وما حولها نحو خمسين ألف

R. Davison, op. cit., p. 94.  
كان عدد الجرائد في الاستانة عام ١٨٥٣ ، أربع جرائد فرنسية ، و ٤ ايطالية

واحدة في كل من اللغات الانكليزية والبلغارية واليونانية والارمنية .

(١٥٧) R. Madden op. cit., p. 436.

وشهدت المعاهد ، ومنها "الجامعة الأوروبية" فتحها اليونان مدرسة علمانية فقاومها رجال الدين بشدة <sup>(١٥٨)</sup> وادخل التلفزيون أثناء حرب القرم (١٥٩) وظهرت الماسونية في الاستانة عام ١٨٥٧ وكان لها التأثير الكبير في حركة جمعية تركيا الفتاة (١٦٠) ومن اطراف الجماعات التي ظهرت في العاصمة واثارت استياء الاتراك واهتمامهم ، جماعة "سان سيمون الاشتراكيين" حيث شرعوا بنشر مبادئهم في ٢٤ نيسان ١٨٣٣ فكونت نواة جديدا من التقدمي (١٦١) ، وكان من ذيول حرب القرم وتساهل الاتراك ان بقي في الاستانة عدد من الجنود الاجانب يسرحون ويمرحون ويتخطون اللياقة والكياسة فيخطبون جهرا مهاجمين المسلمين والقرآن (١٦٢) وسرمان ما اعلن الخط الهمايوني حتى تحولت احدى الهيئات التبشيرية من تبشير المسيحيين الى تبشير المسلمين انفسهم وتصيرهم فاضرت نار التعصب مجددا ، وكان من الاعمال التي تدل على الجهل والحماقة ما فعله احد المبشرين باصداره كتابا يهاجم فيه الدين الاسلامي (١٦٣) وكان من نتائج تسرب بعض عناصر الحضارة الأوروبية ان ظهرت فئة من شبعية الاتراك عكزت لتقاليد البلاد ، واقتبست مظاهر الحضارة الأوروبية ، واصبحت اللغة الفرنسية من مستلزمات الرقي والتأنق، فقال احد الابهاء من ابناءه افضل لو اعتنق ابني النصرانية على ان يتجه هذا الاتجاه الأوروبي الفاسد 'A la Franca' ويلاحظ احد الكتاب المعاصرين كثرة انتشار الالحاد بين الشبعية . فقال احدهم لقد اصبحت عقلية الاتراك في القرن التاسع ولا سيما في العاصمة مؤلفة من مزيج عجيب يجمع بين اقدم التقاليد الاسلامية ، الى احدث

- |   |       |
|---|-------|
| J. Reid, <u>Turkey and the Turks: Being the Present State of Ottoman Empire</u> , (London 1840) p. 267. | (١٥٨) |
| R. Davison, <u>op. cit.</u> , p. 99.  | (١٥٩) |
| <u>Ibid.</u>  | (١٦٠) |
| E.D.Prime, <u>op. cit.</u> p. 151.  | (١٦١) |
| <u>Ibid.</u> p.432  | (١٦٢) |
| C. Hamlin <u>op. cit.</u> , p. 92.  | (١٦٣) |

الافكار الافرنسية العلمانية (١٦٤) وتولد من هذا المزيج تفاعل خطر، وازاء هذا التحدى انقسم الاتراك الى ثلاث فئات كبرى ، الفئة الاولى " فئة المتجددين " المتطرفين فئة " الا فرنكا " وفئة المعتدلين تحاول " التوافق " والانسجام بين الحديث والقديم ، والفئة الثالثة فئة الانعكافيين والانكفائيين التي هبت تدافع عن الدين وتقاوم هذا التدخل الاوربي بجميع وسائله وطرقه ، وترعت هذه الفئة شخصيات رسمية كبيرة من رجال الهلاط ورجال الدين ، وقد لعب الدراويش دورا هاما فيها ، والى هذه الفئة الرجعية ترجع معظم المصادر اسباب الثورات والفتن .

---

Turkey and practically its capital was in these years the focal (١٦٤) point for influences ranging from the oldest moslem lore to the most recent French secular thought.  
R. Davison, op. cit., Introduction , p. IX.

## الفصل الثالث

تأثير هذه العوامل في الوضع الطائفي في لبنان

### ١ - الحملة المصرية

تشجيع الامير بشير الكبير على المجاهرة بمسيحيته وتحيزه للموارنة

يؤخذ من سجل المصادر ان الامير بشير ومن سبقه من الامراء كانوا يحترمون ويجارون جميع الطوائف. فكان احدهم كما قيل عنه درزيا مع الدروز ونصرانيا مع النصارى ومسلحيا مع المسلمين<sup>(١)</sup> ويستدلون على ذلك بانه كان في قصر الامير خلوة وكنيسة ومسجد. وقيل انه اذا ما ولد ولد للامراء نصره الاكليروس واذا ما تزوج سلمه للمسلمين لاجزاء عملية الختان. واذا مات الامير سلم نعشه للدروز. لذا رد اكثر من واحد من اروپيين الذين زاروا البلاد المثل المأثور<sup>(٢)</sup> ان الشهابيين يولدون مسيحيين ويعيشون مسلمين ويموتون دروزا<sup>(٣)</sup> وان جرى القول المأثور ان الشعوب على دين ملوكها فقد صح العكس في لبنان فان الامراء كانوا احيانا على دين شعوبهم

---

M. Jouplain, op. cit. p.173.

- ١

H. Guys, op.cit., II, p.53.

- ٢

F. Perrier, op.cit., p.347.

- ٣

قيل ان ابراهيم باشا لما سمع هذا القول المأثور سأل حنا البحري والان على اى دين تعتقد الامير بشير فاجاب الداهية المسيحية على دين مولاي، يا سيدى فخبجل ابراهيم باشا لانه لم يكن له من دين خاص.

H. Guys, op.cit., p.

- ٤

وباعتقاد اللادى ستنهوب ان الامير الكبير لم يكن له من دين خاص في اول حياته ولا سياسة خاصة فهو فرنسي مع الافرنسيين وبريطاني مع البريطانيين وترك مع الاتراك.



ويعتقد يوركهارت ان الامراء تنصروا ليكتسبوا ود النصارى وتظاهروا بالاسلام  
ارضاء لولاءه عكا ، وقد ساور عبد الله باشا شك احيانا في تدوين بعضهم فارسل  
”على“ لمراقبة صحة اسلامهم .<sup>(٥)</sup>

ويظهر ان الامير بشير الكبير اخترس في مستهل حكمه ، بمعقده ارضا للجميع  
وقد خرج عن هذا الاحتراس اثناء الحكم المصرى ويقال ان الباشا أخرجه فاخرجه ،  
لاجهار معتقده لاغراض سياسية .<sup>(٦)</sup>

وهى يوركهارت يد بطرس كرامة الكاثوليكي بهذا الامر ولا سيما ان بينه وبين  
حنا البحرى صلة نسب وطن .<sup>(٧)</sup>

ويرجع ان ابراهيم باشا عندما قلب له الدورز ظهر الجن ، رغب ان يستغل  
العاطفة الدينية ، وحب المسيحيين له تقديرا لما منحهم من الامتيازات ، اوزل للامير  
ان يجهر بمسيحيته بل هدده ان لم يفعل ذلك .<sup>(٨)</sup>

وقد علق المؤرخون اهمية كبرى على هذا التحول المكشوف . قلل يوركهارت  
”لولا اعتناق الامير بشير المسيحية لما اجتاج محمد على باشا سوريا سنة ١٨٣٢ .  
ولولا الحوادث المتتالية لما نشبت تلك الحرب الدينية في لبنان واصبح هذا البلد  
بين فرنسا وبريطانيا كما كانت صقلية بين روما وبريطانيا .“<sup>(٩)</sup> ثم قال مبالغا لو اخلص

---

D. Urquhart, op.cit. I, p.154.

- ٥

F. Perrier, op. cit., p.348.

- ٦

D. Urquhart, op.cit., v.I, p.157.

- ٧

Ibid.

- ٨

Ibid., I., p.158.

- ٩

الامير بشير لسلطانه لبنان علي محمد علي باشا ان يخزوا القمر من ان يفتح سوريا (١٠) وليس من الانصاف ان يحمل الامير وزير عائلته فان تنصر اسلافه قد اضاع التوازن الطائفي في الجبل. (١١) كتب تشرشل في عام ١٩٠٦ حدثت حادثة غيرت مجرى

---

Ibid., II, p.112.

— ١٠ —

ويشارك تشرشل المستر يوركهارت في هذا الرأي فيقول ومهما كانت نياج الحملة فان استقبال امير لبنان لابراهيم باشا ضمنت له الخطوات الاولى نحو انشاء امبراطورية شرقية - لان الباشا يعرف اذا قبل لبنان تأييده فان سوريا باسرها ستخضع جاثية امام مواطلي قديمه.

C. Churchill, Mount Lebanon... III, p.339.  
Ibid. p.593.

١١ - يعزى تنصر الشهابيين الى اسباب سياسية اما هنري غير فيري ان والده الامير بشير الكبير كان معجبا جدا بالثقافة الاربوية والعقلية الاربوية وعندما اظهر اصحابه لاحد البطارقة قال له اذا كنتم تسلمون ان الاربويين مشفقون الى هذا الحد فكيف يمكنكم الاعتقاد انهم اتبعوا ديننا وهم يجهلوننا فاجاب محمدني فوراً.

H. Guys, op.cit., II, p.153.

ويذكر الشدياق انه في عام ١٢٥٤ نصر الخوري مخائيل الامير حيدر

الشهابي ثم تبعه اكثر الشهابيين ثم الامراء اللعيون.

الشدياق، اخبار الاميان، ص ٢٢٥.

ويروي شيخو ان الشهابيين تنصروا في القرن الثامن عشر، حينما اعتنق

الامير عبد الله الشهابي على ايدي الاباء الكبوشيين.

الاب لويس شيخو، بيروت تاريخها واثارها، (الاباء البسهيون، ١١٢٥)

اوليس هذا دليلا اخر على التدخل الاجنبي الديني وتأثيره.

العلاقات بين الدروز والموارنة وأثرت ليس في مستقبل الشهابيين انفسهم بل في مستقبل الجبل نفسه وهو تنصر الشهابيين<sup>(١٢)</sup> وكتب شاهد عيان<sup>٢</sup> ان تنصر الامير كان حدثا مهما في الشرق. فقد ارتعدت فرائص المؤمنين غضبا من تنصر الامراء وهم ينتمون الى اشرف العائلات العربية، واحداهما ترجع بنسبها الى العائلة النبوية<sup>(١٣)</sup>.

ومهما يكن من امر فان تنصر الشهابيين بعد ان كانوا يدينون بمذهب مغاير لمذهب الطائفتين الكبيرتين، قد افقد عنصر التوازن بينهما. ونقم الدروز على ذلك وازدادت نفقتهم حينما كشف الامير عن تنصره وتجلى لنا غضبة الدروز بما كتبه ابو شقرا وهو معاصر للحوادث قال: "ولم يكن تنصره المكشوف الا نكايته الى النصارى، حتى ترك دينه الاسلامي الذي ولد فيه، وشب عليه، واعتز به، مارقا منه الى الدين المسيحي. وما زاد غضب الدروز وحقدهم ان الداء لم يلبث ان سرت عدواه الى الامراء اللعبيين، سادة المتن، الذين كانوا دروزا فحدوا حذو الشهابيين بالمروق الى الديانة المسيحية". ثم قال: "فهو الذي حمل اللبنانيين على نبذ التحزب السلالي ظهريا والتمسك بالتحيزات الطائفية. تلك السياسة التي اتخذها ذريعة لاستبداده... وكان يعزز جانب الفئة المسيحية، وجاهد في توطيد دعائم النصرانية في البلاد فبذرت بذلك بذور الحسد وتأصلت في افئدتهم بذور البغض والمشاغبة".

---

C. Churchill, The Druzes and Maronites..., p.22.

ان تنصر الامير بشير وموته مسيحيا ما لا شك فيه ولكن المختلف عليه متى الامير بشير اعتنق المسيحية او جاهر بها وفي الاراق اللبنانية ليوسف يزبك نظريات مختلفة كتبها افراد لهم اطلاع واهتمام بالتاريخ اللبناني.

١٣ - ابو شقرا، المصدر نفسه، ص ٨.

١٤ - المصدر نفسه، ص ٢٦.

ويروي ابو شقرا امثلة عديدة على تحيزه للمسيحيين "وقد كان في النصارى من لا يستحرمون الحرام ، فيرفعون على بعض الدروز دعاوى بهتانية" . . . . . وكان الامير وابناؤه يدفعونهم ايضا لتقديم مثل تلك الدعاوى . وحين يعرض له دعوى نصراني على درزي يصدر في الحال الاوامر المشددة بتحصيل ما يدعون به ، ويزعمونه حقوقا لهم . وكان يقوم بتنفيذ ذلك خياله الذين كانوا يسمون "الحوالية" وكان جميعهم من طائفة النصارى . (١٥) ويؤيد المعلوف بعض هذه التهم بتحيز الامير الى النصارى (١٦) تشييا على سياسة معلمه محمد علي باشا . (١٧) ويؤخذ على ابي شقرا انه كتب او املى مذكراته بعد مدة من الوقت وهو رجل امسي . ولا يخلو اسلوبه من اللهجة "العنترية" ولكن يستدل ما مر ذكره ومن بعض المصادر ان الامير كان درزيا (١٨) وتظاهر بالاسلام واعتنق النصرانية ثم احتضن المارونية وربما بالغ بحطفه عليها مما اثار حسد وحقد الطوائف الاخرى . ويظهر ان اعتناقه المارونية حدث بين ١٨١٧ و ١٨٢٥ وهو العام الذي استلم فيه رسالة

---

١٥ - المكان نفسه ،

١٦ - معلوف ، زحلة ، ص ١٥٨ .

١٧ - D. Urquhart, op.cit., I, p.112.

١٨ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ١٧

ويذكر عارف ابو شقرا قول عارف النكدي بمحاضرة له ( . . . . . جاء الامير

بشير الى حكم لبنان درزيا ، ثم مسلما سنيا ، ثم مسيحيا ثم مارونيا

متعصبا . . . . )

تعليق لعارف ابو شقرا عن دين الامير . الاوراق اللبنانية ، الجزء الخامس ،

(سنة ١٩٥٦) ، ص ٢٠٢ .

من قداسة البابا يشكره على اهتمامه بالموارنة واحتضانه الكتلثة. (١٩)

بطر الامير بشير الكبير بالاقطاع وسوء الامراء الشهابيين للدروز :

ويظهر ان الامير بشير بعد ان توفي الجزار وتوطدت علاقاته مع عبد الله باشا وصداقته مع محمد علي باشا عزم على دعم سلطته بالجبل ، فشرع يهدم ويفتك بوجالات الاقطاع ضاربا بعضها ببعض . فاضعف العائلة النكدية والعمادية على يد صديقه الشيخ بشير جنبلاط. (٢٠) ثم وزع املاك البعض على اولاده واصحابه . وكما قال هنري غير ٢ اخذ الشهابيون ينمون املاكهم باقامة انفسهم ورثة للعائلات المنقرضة (٢١)

---

١٩ - من رسالة قداسة البابا بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٨١٧ الى الامير وليس فيها ما يشير الى تنصره . اما الرسالة الثانية بتاريخ ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٢٥ من قداسة البابا غريغوريوس السادس عشر ، من مخطوطات الكرسي البطريركي مترجمة عن اللاتينية جاء فيها ٢ انه لقد اتصح لنا مرارا عديدة من جمعنا ، مجمع انتشار الايمان ومن القصاد الرسولييين ومن بقية رؤساء الكنيسة في سوريا عن غيرتكسم وحمايتكم الخصوصية التي بها ايها الابن الحبيب والامير المعظم تعلنون عن احتضانكم وحمايتكم للايمان الكاثوليكي . . . ومن ثم اننا مرسلون لكم شخص المسيح من فضة . . . مع جزء من عود صليب السيد الموقر . . . وايقونة من ذهب . . . واخيرا مرسلون مسبعة للصلاة مغفرة التي نرغب ان تتسلم الى قرينتكم ابنتنا الحبيبة بالمسيح الكلية الشفقة . . . ثم نناشدكم بالرب ان تظهروا بكل عناية غيرتكم الفعالة التي اظهرتموها نحو الديانة الكاثوليكية ونحو خدامها ونسوق خاص نحو القاصد الرسولي . . . . .

الامير حيدر شهاب ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ . يعتقد انه تنصر عام ١٨٢٧ ، او ١٨٢٨ .

٢٠ - رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٨٠ . ابو شقرا ، المصدر نفسه ص ١١ .

٢١ - المصدر نفسه ، ص ٧٠ . باز ، المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

وسواء كانت هذه السياسة مستوحاة من طبيعته وحبه للسلطة والأثره ،  
او من اختبارات في الحياة ، وعبير التاريخ ، فقد نهج على فرار سياسة محمد  
علي تجاه الماليك ، وربما بايعاز منه تمهيدا للحملة المصرية . (٢٢)

ولقد استغل الامير الاحتلال المصري فآتم مهمته بالقضاء على نفوذ  
الاقطاعيين من الطائفتين ويرى البعض بنقل عاصمته من دير القمر الى بيت  
الدين مغزى خاصا للابتعاد عن تأثير العائلة النكدية وغيرها . (٢٣)

---

٢٢ - ويذكر الامير حيدر شهاب ان اضطهاد الامير بشير للشيخ بشير قد كان  
مما القاء في اسماعه محمد علي ان يضطهد الاعيان ويذلهم وما غاية حاكم مصر  
الا ان يتخلص من المعارضين لمقاصده فلا يجد في سوريا مقاوما او معاندا .  
الامير حيدر شهاب ، ص ٢٦٤ .  
لوصف شخصية الامير يراجع مقال بقلم اوجين بوره . في كتاب غيز .

H. Guys, op.cit. II, p.289

C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.522.

H. Stanhope, op. cit. III, p.484

٢٣ - وقد جاء في كتاب الجواب على اقتراح الاحباب لمشاقة ، كان الامير قد  
صفرت نفسه من تصرفاتهم لأنه يقم في دير القمر كرمي الحكومة واما رجالها وحكمها  
الخصوصي فهو للمشايخ النكدية فلو اذنب انسان في باب سراي الحكومة فلا  
يسمح لاتباع الامير بلحقوه لقاطع الماء وسكه ، ص ٣٤ .

ومهما يكن من امر فان نتائج حكم الامير بشير في هذه الفترة كان لها الاثر البعيد في تاريخ الجبل ، بين الاحتلال المصري وحوادث الستين ، بل في تاريخ لبنان الحديث والتمهيد لحوادث مؤلمة ومهمة . فهو اول من فتك ويطش برجالات الاقطاع واغتصب معظم املاكهم . وشتت بعضهم في ديار النفي فلما عاد هؤلاء بعد سقوطه ، زعموا حكم سلفه واسقطوه وطردوه وباشروا لاسترداد ما اضاعوا من نفوذ وثروة .

ثانياً - ربما ان اكثرية رجالات الاقطاع ذوي النفوذ كانوا دروزا وكانوا على علاقات مستمرة معه ، لقربهم من مقر سلطته ولحاجته اليهم ، فان الفتك بهم قد فسره البعض تفسيراً طائفياً " ان صح التعبير ، ولا سيما بعد ان ظهر تنصر الامير . وازداد اتصالاً بالاكليروس الماروني فاعتبر عمله محاولة من زعماء المسيحيين لاضعاف الطائفة الاخرى ، مما دفع بالدروز ان يولوا وجوههم شطر المرسلين الانجيليين وبالتالي نحو بريطانيا . فحقد الدروز عليه وعلى أسرته جمعاً . وجاء في المراسلات البريطانية الدبلوماسية ما يشير الى هذا القول " ففي ٢٤ اذار ١٨٦١ قدمت معظم العائلات الدروزية معروضا للفصل البريطاني لتتصر منه عدم عودة الشهابيين للحكم قائلين انهم هم اول من غذوا روح البغضاء بين الطائفتين . " (٢٤)

ثالثاً - اثار مخاوف الاتراك وقلقهم وأبرز خطورة وضع لبنان الخاص وتأثير وضعه الاستراتيجي فعمدوا الى الغاء وضعه الخاص . (٢٥)

رابعاً - قضى على الحكم التقليدي في لبنان ، وهو الامارة ، فاجد ازمة حكم فوخت وترعرعت فيها عوامل الفوضى والهدم . (٢٦)

---

٢٤ - ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

Great Britain & Foreign Office. Correspondance Relating to the Affairs of Syria..., II, p.21.

٢٥ - المحررات السياسية ج ١ ، ص ٢٦٢ .

٢٦ - يقول هنري غيز " جدير بنا ان نلاحظ بان خلع الامير بشير كان يخفي تحت

الظواهر السياسية فكرة دينية . كان يؤمل بهذا العمل دك الكلكة وهدم

نفوذ فرنسا القديم العهد في وقت معا . " H. Guys, op.cit. II, p.309.

- خامسا :- اوسع المجال للتدخل الاجنبي بصورة سافرة .  
سادسا :- اثار الطبقة العامة بما ارهقها من ضرائب كلما ارغم على الاستقالة  
للمعودة للحكم .



### اختلاف البشيرين :

قال احدهم ، " ولكن الكارثة التي هزت مشاعر الدروز هو فتك الامير  
بالشيخ بشير جنبلاط لان كان له عندهم اسمى مقام " . (٢٧) ومهما تكن اسباب

٢٧ — سليمان ابو عز الدين . ابراهيم باشا في سوريا ، (بيروت ، ١٩٢٤) ص ٤٦ .  
لقد تضاربت الاقوال بالاسباب التي ادت الى اختلافهما . فقال هنري غيزانه  
كان يقف من الامير موقف الندي لا كاحد الرعايا فثروته الضخمة التي قيل انه  
كان يملك ثمن لبنان ونحو ٦ اقاليم و ٢٨ قرية وقيادته الجيوش بصفته زعيم  
الامة الدرزية كانت قد اكسبته سلطة ثانية في الجبل ، ويذكر ابو شقرا ان  
الشيخ كان يحلم بتولي الحكم في لبنان ويرى جمع الدروز في منطقة واحدة  
فيأتي بدروز حلب ويسكنهم البقاع ودروز فلسطين في جزين ويتم له انشاء  
منطقة درزية تمتد من البحر شرقا الى جبل حوران . وقيل ان الشيخ بشير  
اعتقد بان تنصر الامير افقده صفة الحاكم المحايد لان المتعارف ان يكون الحاكم  
مسلما لهذا فكر الشيخ باعتناق المذهب السني فبنى جامعا وكان يصلي فيه  
على مرآى من الجمهور . وجاءت هذه الرواية في الشدياق وفي مشاقة وفي  
يوركهارت ، ويشير الامير حيدر شهاب الى هذه النظرية فيقول " وما لج الامير  
في اضطهاد الشيخ بشير والسعي في قتله الا انه داخله الوهم ان الشيخ عامل  
على اختلاس منصبه مع ان ذلك الفكر لم يمر ببال الشيخ . . . لان مناصب  
لبنان لا ترضى به فلا تطبق ان يسود فيها من هو قرينها وان الشيخ  
يعرف ذلك حق المعرفة " . شهاب ، تاريخ الجزائر ، ص ٢٧٥ .  
الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٤٩٣ .  
ابو شقرا ، المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ١١ ، ١٨ .  
مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ٦٦ ، ٩٤ .

H. Guys, op.cit., II, p.79.

D. Urquhart, op.cit., I, p.155. Ibid., II, p.91.

H. Stanhope, op.cit., I, p.100.

الاختلاف فان طموحهما والتنافس بينهما ادى كما قال شاسو الى درجة "ان سلامة احدهما تقتضي هلاك الآخر". (٢٨) ولعل تدخل رجال الدين بين الفريقين كان من شأنه كما قال مشاققة ان يوسع شقة الخلاف بين البشيين. (٢٩) اخذ كل منهما يستعد للنزال والحرب فتجمعت جيوش الشيخ في المختارة ولاول مرة نصح تلميحا الى جبهتين "دروز ونصارى" فيقول الشدياق "واشاع بعض الغايات ان حركة المختارة هي لتسلط الدروز على النصارى، لينفروا الناس من الذهاب اليها". (٣٠)

واستنجد الامير بالبasha فتحصن بارسال عشرة آلاف جندي وامده عبد الله باشا بالجند فانكسرت انصار الشيخ، فهرب ثم قبض عليه في دمشق بمكيدة وارسل الى عبد الله باشا في عكا فاعده في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٥، بايعاز من حاكم مصر. (٣١) وسرحان ما الغم الامير جامع الشيخ بالبارود ودكه دكا. (٣٢) ويذكر تشرشل ان الامير نصف الجامع ودك القصر الفخم في المختارة واستعمل حجارته الثمينة لبنا قصر بيت الدين. (٣٣)

وكانت هذه النكبة الالهية المسمار الاول في نعش صداقة الطائفتين فانارت كره الدروز للشهابيين (٣٤) وملأت القلوب بالاحقاد. (٣٥) ولم يغفر الدروز هذا الاثم الفظيع للشهابيين بل حاولوا فيما بعد في معظم المناسبات منع اعادة الامارة الشهابية للحكم.

G. Chasseaux, op. cit. p.22.

— ٢٨

٢٩ — مشاققة، الجواب على اقتراح الاحباب، ص ١٤.

٣٠ — الشدياق، المصدر نفسه، ص ٥٥١.

٣١ — قيل ان البasha ارسل مركبا خاصا للاسراع باعدامه.

C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.578.

٣٢ — ابو شقرا، المصدر نفسه، ص ١٥.

C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.55.

— ٢٣

C. Churchill, Druzes and Maronites..., p.36.

— ٢٤

٣٥ — الشدياق، المصدر نفسه، ص ٦٠١.

ويمكن الاستدلال من مختلف هذه الروايات ان تنصر الامير حمل الشيخ على منافسته الحكم او شجعه ، ومن المحتمل ان يكون الامير نفذ الامر بايعاز او استحاء من الباشا لنصف العراقيل الكبرى من طريق الجيش المصري كما مر .

#### سوء تصرف الامير بشير الثالث مع الدروز

وفرضت الظروف ان يكون الامير بشير الثالث خلف للامير الكبير . (٣٦) ومن سوء حظ الامير العاشر ، وسوء حظ البلاد انه تولاهما بعد ان عرفت وخبرت نظام ادهى رجلي العصر في الشرق الادنى وهما ابراهيم باشا والامير بشير الكبير . قال جوبلان ، " ان لم يكن الامير بشير محبوبا فقد كان مرهوبا ، اما هذا فلا هو بالمحبوب ولا هو بالمرهوب " . (٣٧) ولعل اطرف وصف له في مخطوطة ايكاريوس وقد كتبها سجعاً قال ، " وتولى مكانه الامير بشير الثالث ابن عمه ، الذي كان مسمى باسمه ، ولكن لم يكن له من محاسن جسمه ، ولا من جودة اخلاقه ، فاستخدم اوباش الناس ، ورفض عمدا الطوائف ذوى الباس ، وكان لا يكرم اصحاب المراتب ، ويسى معهم . الادب ، فاشتعلت في قلوبهم نيران الغضب ، اضرموا السوء والمطب ، حتى حاصروه في دير القمر . . ولما خرج ابراهيم باشا من سوريا وتولى الامير بشير الثالث ولم يكن له قدر وانعام ، اخذوا يدبرون على هلاكه واهلاك الامة الميساوية ، وهاضهم على ذلك بعض رجال الدولة العلوية ، كهدا من النصارى لاجل تسكهم بالفرنساوية " . (٣٨)

٣٦ - تولى الحكم بايعاز من بريطانيا ، راجع كتاب ريتشارد رود التاريخي الى الامير بشير الثالث ، مخطوطة تنشر لأول مرة . اوراق لبنانية ، ج ١ ، كانون ثاني ، سنة ١٩٥٥ .

M. Jouplain, op. cit., p.254.

- ٣٧

وقال تشرشل وكان قليل الكياسة كثير الهزل ، غليظ الكلام مع مشايخ الدروز الذين تأبى طبائعهم وادابهم الغلاظة ، لاسيما وقد اعتادوا النزانة وحرمة الجانب من الامير بشير فباتوا ينظرون الى المسيحيين شزرا .

C. Churchill, Druzes and Maronites....., p.37.

٣٨ - اسكندر ايكاريوس ، نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان ، (سنة ١٨٦٠) مخطوطة

في الجامعة الاميركية ، ص ١٨ - ٢٠ .

"وبعد انسحاب ابراهيم باشا من سوريا عاد فريق من زعماء الدروز من مصر الى لبنان وهم في طريقهم اليه بيافا . فخرج اللبنانيون الى ملاقتهم يطلقون النار فرحاً ، وفي صباح اليوم التالي ذهبوا الى مقر الامير للسلام عليه ، فاخذ يوجههم على لبسهم خلع الباشا المصرية ثم امر ان تنزع منهم النياشين والخلع ، فانصرفوا من عنده ييطنون له الغيظ ويكتمون في قلوبهم نار الحقد والعدوان". (٣٩) ويؤيد مشاقة هذا بقوله "ووافق هذا عدم لياقة الامير بشير قاسم لكثرة هزله وفحش كلامه مع كبراء الدروز حول كون طباعهم تأبى ذلك سيما وانهم قد نشأوا بعادة بشير الكبير الذي لم يعمدوا منه هزلا ولا كلمة غير لائقة". (٤٠)

وما يحكى عنه "انه كتب الى اصحاب المقاطعات ان يوافوه مع رؤساء العشائر الى عيذاب . . فوصل نعمان بك جنبلاط وناصيف بك نكد في موكب فخم . فسأت تلك المشاهد الامير فقال الامير لنعمان بك "ما لهؤلاء المشايخ "الكلاب" يستحضرون معهم مجربات بنات آوى" فقبل ان نعمان بك اجابه بقسوة وهدده بالقتل". (٤١)

ومن اشنع التهم التي الصفقت بالامير انه اهز لرجاله بقتل الاميرة حبوس الارسلانية بسبب اختلاف على مزرعة من المزارع وكان قتلها ولاسيما كونها امرأة امرا جسيما وخطبا فادحا وهي من الاميرات المشهورات . . . وكان قتلها من البواث الاولية على نفخ اضرام نار الفتنة في لبنان وحصول المحاربة الاولى بين الدروز والنصارى السماة بالحركة الاولى . (٤٢)

---

٣٩ - خليل همام فايز ، ابوسمراغانم اوالبطل اللبناني (القاهرة ، ١٩٠٥) ص ٦٦ .

٤٠ - مشاقة ، الجواب على اقتراح الاحباب ، ص ١٥٥ .

٤١ - ابو شقرا ، الصدر نفسه ، ص ٣٥ .

٤٢ - ابو شقرا ، الصدر نفسه ، ص ٣٤ .

ومن جراء حروب ابراهيم باشا اضطرت بعض العائلات الدرزية وهي بدون رجالها ان تبيع بعض الاراضي باثمان بخسة ، فرجع الدرّوز يثيرون المشاكل القانونية وغير القانونية بحق استرجاعها فتعقدت وتضاعفت المشاكل بينهم وبين المسيحيين فتولدت الاحقاد . (٤٣)

---

٤٣ - وجاء في الكتاب الازرق ١٨٤٣ عن الكولونيل روز بتاريخ ١٨٤١ انه كثيرا ما كانت تنشب الفتن بسبب ملكية الارض وامر تافهة وكان الدرّوز فيها المعتدين بتحريض الاتراك .

D. Urquhart, op.cit., II, p.587.

اغراء الموارنة على محاربة الدروز دفعا من المصريين

والفاتح العظيم الذى دفع بجيوشه المنتصرة حتى ابواب الاستانة ، ادهشته جرأة الدروز ومهارتهم في الحرب فاشغلت جيوشه سبعة اشهر ، وانزلت بها خسائر جسيمة . (٤٤) لهذا رغب ان يستعين بالموارنة وهم ادرى بمسالك الجبل ومهالكه فاتخذ منهم معاونين لتفتيش القرى الدرزية ولجمع الاسلحة . (٤٥) "منهم قادة مرشدين لمهاجمة القرى الدرزية ثم ينعم على الموارنة بعدد وافر من الاسلحة قائلا هذه

---

٤٤ - يقدر ابو عز الدين الخسائر بعشر الاف . سليمان ابو عز الدين ،

ابراهيم باشا في سوريا ، (بيروت ١٩٢٩) ، ص ٦٥٤ .

تعددت الاراء بخصوص الاسباب التي حملت الدروز على الثورة على حكم ابراهيم باشا فقد جاء في المحفوظات الملكية المصرية "حاول ابراهيم باشا فرض نظام التجنيد على الدروز فرفضوا لا خوفا او جبنا وهم معروفون بشجاعتهم ولكن لاسباب دينية وخوفا على شببيتهم ان يفسدها الاختلاط الاجبارى مع غيرهم وقد عرضوا على الباشا مساعدته عن طريق ما الفوه من الحروب فلم يرضى فثاروا عليه . رستم المحفوظات الملكية المصرية ج ٣ ص ١٦٠ رقم ٤٠٩٢ . ولا ندري كيف نوفق بين هذه النظرية وقول معظم المرسلين الاميركيين بان الدروز كانوا على وشك ان يعتنقوا الانجيلية ويتركوا دينهم تلافيا من الدخول في "النظام" . فهل كان الدروز يقدمون على ذلك تمويها ونوعا من "التقية" مما حمل المرسلين على ان يتريشوا بقبولهم ؟ والظاهر ان الدروز ابو ان يكونوا مطية لاغراض محمد علي باشا او ان يخسروا ذلك النوع من الاستقلال الذى تنعموا به ولعل من الاسباب التي حملتهم على ان يفكروا باعتناق الانجيلية او تأييدها هو الطمع بحماية بريطانيا لهم من نفوذ الموارنة وفرنسا معا .

لاجل حفظ حياتكم ولتفخروا بها على اقرانكم الطائفة الدرزية العاصية. (٤٦)

وكانت افطع تجربة تعرض لها المسيحيون هي اشهار السلاح في وجه جيرانهم الدرروز دفاعا عن محمد علي باشا وجيوشه ، والدرروز في اشد حالات النفس الما وارتباكاً ، بعد ان عاشر الطرفان عدة اجيال بسلام ، وكان الدرروز في معظم الاحيان الترس الواقي لصيانة الجبل وحرمة وقد عرف لمدة طويلة " بجبل الدرروز" .

وتشير المصادر الى انه لما اشتد القتال بين جيوش الباشا والدرروز في وادي التيم ، وشعر الباشا بحرجة الموقف لصعوبة القتال بالارض الوعرة ، كتب السي الامير مستنجدا باربعة الآف ، على ان يجمعهم من النصارى ويسلمهم اسلحة مؤيدة لهم ولذريتهم<sup>(٤٧)</sup> ، وحاول الامير التخلص من هذا الطلب الذي يزرع بين رعاياه الاحقاد المذهبية فارغمه الباشا ، فارسل اليه الف مقاتل فنازلوا ثوار حاصبيا . ويذكر ان الذي اوحى الاستنجاد بالموارنة هو سليمان باشا ان ضج عسكره من الحروب الجبلية فاقترح على الباشا فكرته قائلا ان الجبلي ادرى بمحاربة ابنا الجبل وان النابلسيين لم يغلّبوا تماما الا حينما ناصر ابو غوش وجماعته جيوش الفاتح ، وتردد الموارنة كما تردد اميرهم فقدم المصريون للموارنة اكثر مطالبهم وذكروا الموارنة بان مصر حليفة فرنسا وان قائد الحملة هو افرنسي .<sup>(٤٨)</sup> وذهب المسيحيون متجندين مع العساكر المصرية وخاضوا المعارك . . وابلى اللبنانيون وبينهم " الزحلاوة" وكانت الثورات تتوالى والخصام يزداد اتساعا وعوامل الحقد تسكن القلوب فتحركها للفتك وجرد الدماء .<sup>(٤٩)</sup> وشعر الدرروز بالضغط من الناحيتين فاستسلموا ، وربما على شفاهم ما قاله قيصر " وانت ايضا يا بروتس " وكانت هذه المعركة اشد ايلاما عليهم من النكبة الاولى يوم سمح الامير الكبير لجيوش ابراهيم باشا ان تنقض على الجبل من الجهات الاربع لجمع الاسلحة .

٤٦ - الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٨٥٧ .

٤٧ - رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

٤٨ - Aime Vingtrinier, Soliman Pacha, Colonel Seve, (Paris, 1886), p.290 .

٤٩ - عيسى معلوف ، مدينة زحلة ، (زحلة ، ١٩١١) ، ص ١٨١ .

وقليلا ما دنست اقدام الفاتحين قبلا قم الجبل ، فاعلن الامير انه  
اخذ على غرة ، واعلن الدروز انها موآمرة فانصاعوا للواقع ولكن على مضض. (٥٠)  
ويصف ابكاربوس الحالة في مخطوطته بأسلوبه السجعي فيقول " وكان السبب الاول  
في وقوع النفور والعنوان بين النصارى والدروز في ذلك الزمان . . . ان جناب  
ابرهيم باشا . . . الذى افتتح المدن والبلدان ، طلب عسكريا من الدروز فآظفروا  
العصيان ، وجرت له معهم وقائع كثيرة في وادى التيم وهوران ، وفي ذلك الوقت  
استخدم النصارى لتلك المهمة ، فنهضوا مع عسكريه باحسن همة ونهبوا خلوة شعبا  
وكان فيها كثير من كتب الدين . . . واخذ سلاحهم من جميع البلاد فزادوا  
احقادا على احقاد . . . الخ . . . (٥١) وتعلق معظم المصادر اهمية كبرى على هذه  
المحادثة وهي يعرفها السبب الرئيسي الاول لاختلاف الطائفتين وخرس بذور الحقد  
والكره بينهما ، فلم يمتشق الموارنة الحسام بوجه اخوانهم وجيرانهم ومخدوميهم فحسب  
بل استباحوا امرا طالما حافظ الدروز على سريتهم وقداسته وهو كما ذكر المرسل  
الاميركي اندرسن " ان هؤلاء استباحوا اقتحام "خلوات البياضة" اثناء اشتباك  
الدروز مع القوات المصرية واختطفوا الكتب السرية المقدسة وعرضت على الاجانب . . .  
ولم يخفى الدروز للمسيحيين هذا الاثم . . . (٥٢) ويقول رشارد مادن " هنا في هذا  
العام ، في هذه البقعة بذرت وخرست بذور الحقد بين الطائفتين . . . (٥٣) وليس من  
المصادقات ان تكون مذابح حاصبيا ودير القمر اشد الفتن هولا .

---

H. Stanhope, op. cit. III, p.60.

— ٥٠ —

٥١ — ابكاربوس ، المخطوطة ، ص ١٩ .

Rufus Anderson, History of the Missions of the American Board to the Oriental Churches, (Boston, 1872), I, p.274.

— ٥٢ —

R. Madden, op. cit., II, p.383.

— ٥٣ —



### ٣ - انكا<sup>٥</sup> روح الحق والتعصب بين الطوائف

#### ثرا<sup>٦</sup> بعض المسيحيين وشقا<sup>٧</sup> بعض الدروز :

ان كانت الحملة المصرية نعمة على بعض المسيحيين فقد كانت نقمة على معظم العائلات الدروزية . ان قلبت اوضاع المعيشة في الطبقة الوسطى بين الطائفتين . فأشقت الى حد احداها واغنت الى حد سواها ، فانارت روح الحسد والحقن بينهما . لان الاصتدامات المتوالية بين الدروز وجيوش الفاتح قد شنت شمل العائلة الدروزية وحرمتها من مائل لها . دفعها الى ان تبيع املاكها او ان ترهنها لدى جارها المسيحي فافتقر هؤلاء واثرى اولئك حتى اذا ما عاد الدروز من النفي والتشتيت وجدوا ديارهم والحالة كما وصفها ابو شقرا متألما . " ان وجدوا الدروز على شفير الهلاك عوالا ضحلال وفي حالة ضعف وهوان ، لم يصلوا اليه قط منذ وطئوا البلاد الشامية . وشاهدوا المنازل والمساكن متداعية . وجدوا البيوت المشربة مستنزقة اموالها بمظالم الامير رازحة تحت اعباء الديون . . . . . ويعكس ذلك النصارى فقد وجدوهم على خلاف ما يعهدونهم . . . . . في قعر وخيلاء وهو وشموخ ، مرتبطين الصافنات ، بعد ارتباط الحمير والابقار وسكناهم العلالى الشامخة . . . . . والخلاصة وجدوا الدليل عزيزا ، والعزيز ذليلا معنى يحرق الارب على ما مضى له من العزة القعاء . " (٥٤)

#### حفلات المسيحيين الاستغزانية :

وكان للمظاهرات وللحفلات التي اقامها المسيحيون بعد كل انتصار يحزره الباشا صدى اليم في نفوس المسلمين . ففي مناسبة انتصار الباشا في حمص " اجتمع جهال النصارى في دمشق ومرادهم ان يعملوا "عراضة" اى مظاهرة فمنعهم وجوه النصارى فأستأذنوا التسلم فأذن لهم ، فزوقوا جملا وركبوا عليه رجلا مسلما وحطوا "مسودتين عرق" على ظهر آجل وشكلوا الزهور على ظهر الجمل بشكل

صلبان واخذ احدهم يخني ويمدح ويقول "ابراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقيور" (٥٥)  
ومن المقيور سوى السلطان ، خليفة المسلمين ، ويعلق الكاتب وهو شاهد عيان بقوله  
"هذا عمل سفاهة وجهالة مطبقة وقد اقدموا على ذلك كيدا عن كان غير راض  
عن حكومة ابراهيم باشا ، وقد اقدموا عليه وهم سكارى ولما صحوا في الصباح تندموا  
كثيرا عليه . . . ويذكر ان كثيرا من المسلمين "بكوا من قهرهم وصاروا يتعهدون النصارى" (٥٦)  
وبعد معاهدت كوتاهية ايار ١٨٣٣ ، زين المسيحيون ابتهاجا بهذه المعاهدة (٥٧)  
"ما اثار غضب الفئة الثانية من غفاه المسلمين فتأمروا على مهاجمة حارات المسيحيين  
وهلوا العارضة "الله ينصر السلطان ، الله يهلك الكفار" ويسقط البطريرك والمطران" (٥٨)  
وبلاحظ ان السلطة كانت تفض الطرف من هذه المظاهرات وتشجعها ولا  
نستطيع ان نتخاضى او ان نفرق بين حوادث الشام ولبنان فهي متقاربة متفاعلة  
ويعتقد الكثيرون كما مر معنا ان الشرارة الاولى انطلقت من دمشق . ويذهب احد  
المؤرخين وهو كارنفون للقول "ان لدروز حوران يد بنقل روح التعصب والكراهة من دمشق  
الى لبنان . وهم لبعدهم من الساحل اللبناني ومن روح التساهل التي لسمها دروز  
لبنان ، في حكامهم كانوا من غلاة التعصبين كغفاه دمشق" (٥٩)

---

٥٥ - مذكرات تاريخية ، المصدر نفسه ، ص ٨ .

٥٦ - المصدر نفسه

٥٧ - والواقع ان قامية " المسيحيين الجبهة منهم على الاخص اكثروا من البواعث  
الاستفزازية في معظم حوادث المسألة الشرقية وقد كتب مؤنس فلما اقبل  
العصر الحديث وتسامع المسلمون بتفوق اوروبا وبدا للرهبة ضعف الدولة  
انضافت لمصاعب الشام مصاعب جديدة . . . وهي ان طوائف النصارى لم تكده  
تنسم اخبار تفوق اوروبا حتى رفعوا رؤوسهم واخذوا يستعدون ليردوا  
للمسلمين ما اسلفوا لهم في العصور الماضية .

٥٨ - المصدر نفسه .

٥٩ - مؤنس ، الشرق الاسلامي ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .

Henry Carnarvon, Recollections of the Druzes of Lebanon, (London, 1860),  
p.113.

وانهم كانوا بمثابة دعاة او رسل نجيب باشا لبث روح التعصب الديني في قري لبنان ، فمن سراى نجيب باشا كما قال هنرى غيز انطلقت الشرارة الاولى . وكان من سوء حظ المسيحيين ان تسند ولاية دمشق لهذا الرجل الذى اشتهر بتعصبه الشديد ، فهو منذ قدومه الى دمشق كما ذكر تشرشل وهو يوقظ روح البغضاء ويبيتها بين الطوائف ، وكانت فاتحة اعماله تجريد المسيحيين من الاسلحة وحبس بعض ذوى النفوذ منهم . (٦٠) ثم تشكيل ديوان في دمشق كانت باكورة اعماله ارجاع التنظيمات القديمة بحق النصارى فمنعوا من ركوب الخيل وارتداء الالبسة الزاهية . وستر "وود" نفسه الذى كان له اليد الطولى بطرد المصريين من سوريا يكتب بشدة الى نجيب باشا قائلا "قد تلقيت بمزيد الاسف شكوى 'لويس بوهولاني' من التبعة الانكليزية ومن مسيحيين آخرين في هذه المدينة بانهم جلدوا بالسياط واهينوا ونزعت عمامتهم البيضاء عن رؤوسهم بالعنف في وسط الشوارع" . (٦١)

ويكتب تشرشل "وسهان ما انسحب المصريون او كادوا حتى انقض الاثراك على فريستهم المهيضة الجناح انقضاى النصور الجائعة . . . فتعرض المسيحيون في كل مكان للاضطهاد والاهانات فمزقت اثوابهم في الاسواق . . . واجبروا على ارتداء الالبسة القديمة . . . وارسلت الرسل للجبل لاثارة الفتن والنعرات الطائفية" . (٦٢)

---

٦٠ - ويروى تشرشل عنه بانه قال يوما لاحد وكلاء قناصل بريطانيا قوله لا تستطيع الحكومة التركية الاحتفاظ بسلطانها في سوريا الا بحو الطوائف المسيحية .

وان له يد بارسال الامدادات والاسلحة للدروز اثناء الفتنة الاولى رغم احتجاج قناصل الدول الكبرى - المحررات السياسية ج ١ ص ٢٥ . ويروى مشاققة عن اجتماعاته المتكررة بزعما الدروز في دمشق قبل الفتنة وقد شاهد بعضها بام عينه . مشاققة ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٥٦ . مشاققة ، مشهد عيان ص ٨٤ .

٦١ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢٨ .

وكتب احد المرسلين الثقة يصف الحالة في بيروت وجوارها فيقول " اسم المسيح ،  
والمسيحية اصبحت قرار انشودة الشتم والاهانة في اقواء العبيبة والنسوة والرعاع .  
البشوات يرددونها ساعة بعد ساعة بكل وقاحة وصراحة " . (٦٣) وتشير معظم  
المصادر الى الهوس "والهستيريا التعصبية" التي انتابت غفاه الشعب بعد رجوع  
الأتراك والى الوسائل القذيمة التي استخدمها الأتراك لاثارة الهوس والانتقام من  
المسيحيين الذين تجاسروا وتحذروا الشريعة والتقاليد طيلة العهد المصري . (٦٤)

Missionary Herald, Feb., 1843.

- ٦٣

٦٤ - وما هو جدير بالذكر ما لاحظته معظم الرواة للحوادث ان الاكثية الساحقة  
من كبار المسلمين لم ترض عن هذه الحوادث بل استنكرتها بشدة . قال  
مثل بريطانيا بدمشق اذا كان رفاع المسلمين قد اسرفوا بالقتل والنهب  
فالاعيان بذلوا الجهد لاطفاء الفتن واعانوا المسيحيين . الحررات السياسية ،  
ج ٣ ص ١١٢ . بل ان احد اعيان المسلمين بدمشق فصله الأتراك من  
عضوية المجلس لدفاعه وحمايته بعض المسيحيين . المصدر نفسه ، ص ٤٠٤ .  
ومن لائحة الهدايا التي قدمتها الحكومة الفرنسية في حوادث الستين لاعيان  
دمشق يستنتج مثل بريطانيا بان كثيرا من الاعيان قاموا باعمال ايجابية  
لحماية المسيحيين امثال سعيد القوتلي وصالح المهايبي وغيرهم كثيرون .  
Great Britain, Foreign Office, Correspondence Relating to the Affairs  
of Syria, v.I, p.140.  
يذكر الاب خانجيان بفخر فضبة الشيخ محمود الحوت في بيروت على الرعاع  
وقوله ان المسيحيين اخواننا وحيراننا وان هذا العمل يفضب الله والنبي بل  
ان المسلمين شكلوا جمعية في بيروت في سوق العطارين تتجول في الليل  
لحماية المسيحيين .

خانجيان ، المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٣ .

واخذ دعاة الاتراك يوهمون الطبقة السفلى من الشعب بان الدولة العثمانية بخطر غزو اجنبي مسيحي ، فييثون روح الكره الشديد نحو المسيحيين وتجاه كل تأثير اوروبي ولاسيما في لبنان . (٦٥)

تمتع المسيحيون بنعم الفتح المصري حقبة من الزمن فاستردوا كرامتهم ، وقالوا حررتهم الاجتماعية ولكنهم لم يفتنوا الا بعد حين لفداحة ثمن هذا التمتع وهذه الحرية ، فعادوا اصدقاءهم واغروا صدور جيرانهم . واغضبوا السلطة التركية ، ثم انفجرت الاحقاد السنة تندلع لتلتهم خيراتهم ومآسي تستدرف دموهم ، وجراحا تستنزف دماءهم . وتمخضت الحوادث عن الفتنة الاولى . (٦٦)

#### الفتنة الاولى ١٤٠٠ ايلول سنة ١٨٤١ :

كان من جراء الحقد والكره الذي غرسه محمد علي باشا والامير بشير في قلوب الدروز ضد النصارى وتشاوخ الفلاحين المسيحيين في دير القمر (٦٧) وتشجيع

C. Churchill, Druses and Maronites...., p.65

- ٦٥

٦٦ - بلغت ضحايا الفتنة وخسائرها اكثر من ثلاثة الاف نفس ونصف مليون ليرة انكليزية ، والافطع من هذا انها بذرت بذور جديدة للحقد في قلوب الطائفتين . قال احد البطاركة بعدها اما الان يجب ان يبقى لبنان اما للدروز واما للموارنة .

٦٧ - قال الشدياق ، " اما اهالي دير القمر فتشامخوا على مشايخهم النكدية ونبذوا اوامرهم - وفي ذات يوم اصطاد رجل منهم حجلا عند بعقلين فاعترضه بعض دروزها بمشاجرة . . فبادر احد المسيحيين الى دير القمر وبث الخبر مهيجا ، فهاجت الشبان وتوجهوا للانتقام من الدروز ولما وصلوا محل المشاجرة اطلقوا النار على الدروز . . . ثم تعاظم الخطب وانكسرت الدروز وقتل منهم سبعة وعضون رجلا ورجعت النصارى الى اوطانهم ظافرين متمردين واخذت الدروز تتوقع الفرصة لاخذ النار ودار بينهم لسان المؤامرة منتظرين قدوم الامير الى دير القمر وشكو لمديرهم حالهم فوافقهم على ما قصدوه . " الشدياق ، اخبار الاعيان ، ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .

رجال الدين (٦٨) وأملهم بالمساعدات الأجنبية (٦٩) واشتداد الصراع بين الاقطاع الدرزي والامير بشير الثالث لسوء معاملته لهم واحتلالهم على بعض المسائل الادارية ومحاولتهم استرجاع الاملاك التي اغتصبها الامير الكبير، او ما رهن منها او بيع طيلة غيابهم وتشتتهم ونفيهم وتخلي بعض اعيان المسيحيين عن مناصرته

---

٦٨ - وخلال هذه الفترة تزايد تدخل رجال الدين، وكتب البطريرك صك اتفاق بين شعبه من امراء ومشايخ وغيرهم ومنه ان يقام في جميع المقاطعات وكلاء امناء بموجب صكوك لاصلاح الشعب واخيرا اذا ارادت طائفة من الطوائف النصارى ان تتحد معهم بهذا الاتفاق فنعم ما يفعلون... فقابل الموارنة المنشور بالتهليل والتكبير وضرب البنادق وبالفجاءة بالظهور الشرور والشتمات والدروز امامهم ناقمون... وبلغ العداء حده وكان ذلك مقدمة المذابح الهائلة والفضائح المنكرة التي ظلت تعمل حوالي عشرين سنة وانتهت بحوادث ١٨٦٠.

حسر اللثام عن نكبات الشام (مصر، ١٨٩٥) ص ٧٥. يعتقد ان المؤلف نعمان القساطلي.

ثم قال "وكان البطريرك اخذ على نفسه ان يكون السبب في الحرب والسفك فاصر تلك السنة على عدم دفع الاموال الاميرية حسب العادة وان ليس للسلطان حق في جمع الاموال منهم"... المصدر نفسه، ص ٧٩.

وهلق الكولونيل روز على هذه الحوادث ان اكليروس الموارنة في نيتهم امتلاك السيادة في لبنان ولواذى الى حرب اهلية.

٦٩ - في ذلك الحين ارسلت الدولة الفرنسية نحو نصف مليون فرنك الى البطريرك لينفقه في سبيل غاياته وهاياتها وكان ارسال المال على طريقة علنية فازداد غرور الموارنة.

المصدر نفسه، ص ٧٥.

طمعا بعودة الامير الكبير او تضامنا مع الاقطاع الدرزي. (٧٠) ثم ان الجو المحموم الذي هياه الاتراك واعدوه كان سببا لنشوب الفتنة الاولى بين الدرور والموارنة لحادثة بسيطة قافضة قد يحدث امثالها كثيرا في ظروف عادية ولا تستوجب الاهتمام. فيروى الدكتور مشاقة الحادثة بقوله ، ونفخت الحكومة روحها السامة في الدرور وما عاد ينقصها الا سبب طفيف ومن الصدق ان رجلا ديرانيا من النصارى ذهب يوما لصيد الطير الى ناحية بعقلين... فتصدى له درزي منعه من غرضه واشتد الجدل وادى الى الخصام بالسلاح وكان ذلك في ١٤ ايلول سنة

---

٧٠ - ويظهر ان بعض اعيان النصارى كانوا يرغبون بالتخلص من الامير بشير الثالث فساعدوا الدرور على خلعه اما بموقفهم السلبي او بانسحابهم في منتصف الاستعداد للمعركة ، وذلك املا برجوع الامير الكبير للبلاد . الحنوني ، المصدر نفسه ، ص ٩٦ . وقال ابو سمر ، واختلف الناس بانسحاب هؤلاء فقال البعض تسكينا للهمياج ... وقال آخرون وهو الاصح ان يقص على الامير في دير القمر فيحملون الدولة على ارجاع الامير الكبير . فايز ، المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

ويذكر يوسف يزبك تعليقا على كتاب العقيلي ، نقلا عن مخطوطة تاريخ الاعيان الاصلية ، ان مشايخ ال حبيش كانوا يواجهون بعض مناصب الدرور سرا ويهادونهم بانهم عند منتصف القتال ينقضون على النصارى فتبلغ الدرور غايتهم . العقيلي ، المصدر نفسه ، ص ١٠١ . ان الامراء اللعبيين عملوا على تقوية الدرور ليخلع الامير بشير على الولاية . المكان نفسه .

وبناء على امر سليم باشا اقام الامير ديوانا لفصل الدعاوى ... فاحضر الامير بعض رجال الديوان من النصارى والدرور واقام الشيخ بشاره الخوري صالح النحوي الفقيه قاضيا فانفت مناصب الدرور من ذلك الديوان وانكروا الامر اى انكار ... حينئذ اتحدوا جميعا مع بعض مشايخ النصارى على عزله وان كل مقاطعة يتولاها مناصبها ...

الشدياق ، المصدر نفسه ، ص ٦١٥ - ٦١٦ .

١٨٤١. (٧١)

وبعد حادثة صيد الحجل كمد الدروز غيظهم واخذوا يتصلون سرا بابناء ملتهم في حوران والشام ثم تطورت الامور من جراء الاسباب العارة الذكر الى ان الدروز حاصروا دير القمر بعد ان دخلها بعضهم سرا والبعض الاخر بغية الاتصال بالامير للتباحث بامر الضرائب وكان ذلك يوم الاربعاء ١٣ تشرين الاول سنة ١٨٤١. (٧٢)

---

٧١ - مشاققة الجواب على اقتراح الاحباب، ص ١٥٦.

ابو شقرا، المصدر نفسه، ص ٢٧.

٧٢ - المحررات السياسية، ج ١، ص ٦٣.



## ثانيا - تأثير تكاثر الارساليات الى لبنان

كثرة الطوائف المسيحية وتخاصمها يشير تعصب الطوائف الاخرى

ونظرا للعلاقات الافرنسية التركية وهداقة الدولتين اضاف السلطان سليم الاول منحة جديدة للدولة الافرنسية وهي السماح للارساليات التبشيرية الكاثوليكية بدخول البلاد العثمانية والاقامة فيها ( ٧٢ )

وكانت هذه الارساليات على اختلاف انظمتها ، تنتمي الى كنيسة واحدة ، ولكن ما استهل القرن التاسع عشر ودخلت الارساليات الانجيلية البلاد ولا سيما بعد الحملة المصرية وازدياد نفوذ بريطانيا في الاوساط التركية حتى اشتد الخلاف بين الانجيليين واتباع روما ولا سيما وقد كان هدف الارساليات الانجيلية تبشير الكنائس الشرقية نفسها لا المسلمين ، لاعتقادهم انهم لن يستطيعوا كسب المسلمين للمسيحية .  
”والكنائس المسيحية الشرقية “ نعانج غير حسنة “ للافتداء بها بل “دعوة مضادة “  
لانتشار المسيحية “ ( ٧٣ ) فوجهوا اهتمامهم شطر الكنائس الشرقية ، من ارثوذكسية وكاثوليكية ، فاصطدموا بالموارنة وشرع هؤلاء ، يقاومون الحركة الانجيلية باعنف الاساليب فاستصدر البطريرك اموا سلطانيا بمساعدة اليسوعيين يسمح بمصادرة كتب المرسلين الانجيليين وحرق منشوراتهم ( ٧٤ ) واستصدر رجال الدين بتشجيع من روما “الحرم “ تلو “الحرم “ لمنع اتباعهم من الانصياع اليهم او السماح لهم بالسكنى بينهم ( ٧٥ ) ونظرا لعلاقة المرسلين مع ممثلي بريطانيا في الشرق اتهم المرسلون بانهم عمال

٧٢ - Lavallée, Histoire de la Turquie T.II, p.110  
اقتباس بيهم ص ١٠١

٧٣ - R. Anderson, op.cit., I, p.1

٧٤ - 1- Ibid., p.42, Passim.

ان نظام الملل خول زعما الدين في الدولة العثمانية سلطة واسعة فكان باستطاعة البطريرك ان يرسل ممثلا اي رجل للسجن او النفي بدون استفسار وكان “الحرم “ يخرج الشخص من الفئة المهنية التي ينتمي اليها . ويجعل دائنيه بحل من دفع الديون .

٧٥ - G. Hamlin, op.cit., p.131

لبريطانيا ولا سيما العامة لم تفرق بين لفظتي " انجيلي " و " انكليزي " ، ولما التمس  
البطريرك الماروني من الباب العالي اقضاء الانجيليين من لبنان وضع السلطان  
المسألة امام مشر الولايات المتحدة في الاستانة ، فاعلن ان ليس لديه تعليمات من  
حكومته لحماية المرسلين ، فاستغل البطريرك هذا الاعلان اسوأ استغلال لمقاومة جماعة  
تنكرت لهم حكومتهم واذاع الخبر في انحاء المقاطعات ( ٧٦ ) والواقع انهم تقربوا  
لبريطانيا لتزايد تفوذها في الشرق ( ٧٧ ) .

#### ترحيب الدروز للمرسلين

اما الدروز فلاسباب عديدة منها تشوقهم للعلم والمعرفة ( ٧٨ ) ولتحيز الغثة  
الحاكمة للنصارى ، ولعلاقة المرسلين ببريطانيا ، ولتعكير العلاقات مع الموارنة رحبوا  
بالمرسلين الاميركيين وامم ابناؤهم مدارسهم ، ولم يستنكفوا عن مطالعة كتبهم  
ومناشيرهم بل طلبوها بشوق ورغبة ( ٧٩ ) واصبحوا في الواقع فيما بعد ، كما وصفهم  
المرسلون " خطا للدفاع اقامته العناية الالهية لنشر اعمال المرسلين في الجبل " ( ٨٠ )  
ولما اشتد الاضطهاد على الانجيليين في حاصبيا تدخل الشيوخ لحمايتهم وذهب  
احدهم الى دمشق واستحصل بواسطة ممثل بريطانيا مستر رود على امر من الباشا  
لتخفيف الضغط عنهم .

---

R. Anderson, op.cit., I, p. 254

- ٧٦ -

ويعلق اندرسن في نهاية الصفحة ان المسألة كانت نتيجة خطأ استدرك فيما  
بعد مع حكومة واشنطن .

٧٧ - قال شارب اشاع الموارنة ان للمبشرين الاميركيين اغراض سياسية يخدمون بها

مصالح بريطانيا . فهاجم شارب هذه التهمة بشدة وقال ان اميركا لبعدها لا

تصلح في عيون السوريين لحمايتهم فتقربوا من بريطانيا G.Charmes, op.cit., p. 165

اما هنري فيز فقال ساخرا فالسلطان في نظر الاتراك موزع العروش وان لم يكن  
للاميركيين من ملك فهو لعدم اعترافه بهم . وفي الربيع الذي اضطربت فيه الحركة  
الثانية كان عدد طلبة الدروز في منطقة عبيه ١٩٤ طالبا .

R. Anderson, op.cit., I, p. 277

- ٧٨ -

1-R. Anderson, op.cit., I, p. 240

- ٧٩ -

2-Ibid., II, p. 370 3-Ibid, I, p. 270

- ٨٠ -

وبما ان الاقطاعات الدرزية، وهي مأهولة بعدد كبير من الموارنة، حاول هؤلاء التدخل لاقصاء الانجيليين وحال الدروز دون ذلك فتقامم الخلاف بين الدروز والموارنة من جراء ذلك .

وهب الموارنة يضطهدون الانجيليين اضطهادا لا لين فيه ولا هوادة ( ٨١ )  
وهب طوائف مسيحية اخرى تقاوم انتشار العمل الانجيلي ولا سيما الارثوذكس في حاصبيا ، حيث يروى لنا المرسلون الاميريكيون في مجلتهم التبشيرية ، حوادث قل مثيلها في عهد التفتيش ، ومنها ان الارثوذكس ، ارغموا المنشقين عنهم ، بقوة الجيش التركي الى العودة الى كنيستهم الاهلية في حاصبيا ( ٨٢ ) ، مع ان الارثوذكس لم ينجوا حينما من اضطهاد الموارنة مما دفع بعضهم في الحوادث ان ينضم الى صفوف الدروز ( ٨٣ ) ولا شك ان هذا التعصب الشديد بين الطوائف المسيحية ، كما قال اوجين بوريه ، قد اثار التعصب المكبوت والبغضاء التي كانت تضمرها الشعوب غير المسيحية للمسيحيين . . . ثم قال ، ومن ذلك الحين اصبح الجبل فريسة للفتنة والثورات الاهلية ( ٨٤ ) ومما ساعد على اثاره هذه النعرات ان

٨١ - ويروى تشرشل انه عام ١٨٥١ سكن مرسلان اميريكيان طرابلس وفكرا بقضاء شهري الصيف في اهدن فاستأجرا بيتا ودخلا البيت مساء واذا باجراس الكنائس تفرع بعنف والجماهير تتجمع ثم خرجت الرهبان نتقدن بها الصلبان بشكل مشير استعدادا لامر خطير ، وهاجمت الجماهير غرفة المرسلين المغلقة ونزعت السقف وامروا المرسلين بمغادرة البلدة توا ولما اعترضا وقالوا انها بحماية السلطان اجابوهم سلطاننا هنا هو البطريرك .  
C.Churchill, mount Lebanon....., I, p.57  
وقد ذكرت معظم مصادر المرسلين هذه الرواية .

٨٢ - Missionary Herald, Feb., 1843, p.72.  
Ibid. June, 1848, p.212.  
H.Jessup, op.cit., I, p.158.

٨٣ - C.Churchhill, mount Lebanon..... I, p.164

٨٤ - R.Anderson, op.cit.; p.270f.

وفي عهد الفتح المصري يأسف محمد علي باشا لنشوب النزاع بين الطوائف المسيحية في القدس ويقترح جمع البطارقة ورؤساء هذه الطوائف وفرض المشكلة حيا - المحفوظات الملكية المصرية ج ٢ ص ٢٩٤

عددا من غير المسيحيين تدخلوا فيها عملياً، ففي إحدى الأماكن كما روى أحد المرسلين هاجم اتباع الكنيسة الشرقية الانجيليين وتساءل المسلمون عن أسباب هذا الهجوم فعلموا ان الانجيليين يضطهدون لانهم يدعون لمقاومة وضع الصور والانصاب في الكنائس، فقالت العامة اذن هؤلاء على مبدئنا في مقاومتها واشتركوا مع الانجيليين في الهجوم على الجماعة الثانية وحملوها على الفرار (٨٥)

#### ٢ - اتاحت تدخل رجال الدين

ظهر تدخل الاكليروس الماروني سافراً منذ تنصر الامراء (٨٦) ، وازداد عنفاً في اواخر حكم الامير الكبير والامير الضعيف بشير الثالث ، قال بريار وهو مرافق حملة ابراهيم باشا كان للاكليروس ايام الحملة سلطة مطلقة على رعاياهم حتى في الامور المدنية فاذا دافع احد عن او قدم شكوى اعتبرها رجال الدين غلظة لا تغتفر لاعتماد الامير عليهم (٨٧) ولا غرو ان خلوا الميدان الماروني من الزعماء العلمانيين لاختلافهم وازعاج الامير لسلطوتهم ، وثورة الفلاحين عليهم ، فافسح المجال للاكليروس ، كما ان ظهور المبشرين الانجيليين ولا سيما في الاقطاع الدرزي وهو مأهول بعموكبير من الموارنة بوزل رجال الدين العودة للعمل دفاعاً عن معتقدات ابنائهم ، ولا ينسى ان الطائفة المارونية تكونت وهي اشبه بدولة ثيوقراطية (٨٨)

وبانهيار الامارة الشهابية ، وتضعف الاقطاع المسيحي ، وقد اتهم الاكليروس بالتآمر عليه ، طمح رجال الدين بتولي الزعامة الروحية والزمنية معا ، والى هذا يشير يوسف بك كرم برسالته الى فرنسا والكنيسة الكاثوليكية بقوله " ان افعال المونسنيور بولس مسعد قد افسحت المجال لخورشيد باشا ان يبرز الى حيز الوجود مذابح المستنير ، وانه اراد كما يقال ان يحكم مدنياً فعمد الى تلك الغاية باعمال خفية ثارة ، وظاهرة طويلاً (٨٩) " وان ظهور المبشرين الانجيليين في الاقطاع

٨٥ - C. Hamlin, op. cit., p.139

٨٦ - روى تشرشل بعد تنصر الشهابيين ارغم عدد من الارثوذكس على اعتناق المارونية وانتزعت منهم بعض الأدوية .

٨٧ - F. Perrier, op. cit., p.298.

٨٨ - ومن الخطوط اللبنانية في المتحف الوطني ما يؤيد تعزيز الامير لرجال الدين واعتماده عليهم لبسط نفوذه وسلطته . رستم . يشير بين السلطان والعزيز ص ١٢

٨٩ - بطرس كرم . قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان ( بيروت ١٩٢٩ ) ص ١٨٢

الدرزي اتاحت له الفرصة للتدخل في شؤون المقاطعات الدرزية ، وانه بسياسته الخرقاء تلك ، جمع بين اصحاب الاقطاعات الدرزية والمسيحية . ولا ينسى انه من اهم اسباب الثورة الاولى المنشور الذي اصدره البطريرك السابق يدعوفيه الى الغاء امتيازات الدروز وحقوقهم القطاعية .

فيعلن الكولونيل رز الى حكومته " ان رجال الدين الماروني يسمون لبسط سلطتهم ولو أدى ذلك الى حرب اهلية ( ٩٠ )

وتتهم جريدة التيمس فرنسا باثارة رجال الدين ، على الدروز المارونية وتعتقد ان حرب الافناء اثارها مسيحيون في روح غير مسيحية .

وجاء في مجلة الارسالية الاميركية واصبح من المؤكد ان غاية اليسوعيين

والاكليروس الماروني تشجيع الفتن للقضاء على الانجيليين واقضاء الدروز عن الجبل ( ٩١ )

وكتب احدهم شاهد عيان ، لم يكن اكليروس الموارنة غريبا تماما عن الحوادث ،

فقد شجعوا اتباعهم وحضوهم على مهاجمة الدروز في عقر دارهم ، وكانت تدغدغ

احلامهم فكرة طرد الدروز الى حوران ، حلم كان له صدى مستحب في الصحافة

الافرنسية ( ٩٢ ) وهكذا في غمرة الحوادث شاء رجال الدين ان يشتغلوا ازمة

الحكم ليلعبوا دورا خطرا في تطورها وتفاقمها ، فيلونون الحركة بلون طائفي ،

ساعدت الاخصام ان يشيروا حربا طائفية وان يألبوا عليهم في مستهل الامر

سائر الطوائف الاخرى وقد استنكرت تدخل الاكليروس الماروني وخشيت تكلمهم .

ولعل اشهر من اثبت حولهم الشكوك بل الصقت بهم تهم كثيرة وقد اشتهرا

بالتعصب الشديد وكره الاقطاعيين المسيحيين والدروز معا وبحب الظهور والسلطة ،

هما المطران طوبيا عون مطران بيروت ، والبطريرك بولس مسعد .

المطران طوبيا والبطريرك بولس مسعد

كتب شاهد عيان ومن اكثر رجال الدين حماسة المطران طوبيا الذي كان

شديد الكره للدروز والاتراك معا ، قلبه متجه نحو اروبا وعلى الاخص فرنسا ( ٩٣ )

H. Jessup, op. cit., p.160

- ٩٠

Missionary Herald, Aug., 1860. p.239

- ٩١

Souvenirs de Syrie, op. cit., p.27.

- ٩٢

Ibid.,

Great Britain. Foreign Office. Correspondence relating to the affairs of Syria....., II, 519

- ٩٣

وكتب غبريال شام " ان تحرشات واستفزازات المطران طوبيا حملت الدروز على الانتقام " . وكتب سفير بريطانيا في الاستانة " انه من الاسباب الرئيسية لكل تعاسة وسفك دماء في لبنان هو المطران طوبيا واعتقد ان نقله من لبنان ضرورة تصوى رغم انه ليس لدى شي محسوس هذه لانه حذق " ( ٩٤ )

وبتهمه العقيلي ( ٩٥ ) رغم انه يمت له بصلة نسب، بانه هو الذى حرّض على مقاتلة الموارنة اخوانهم بني معروف معاكسا مشيئة البطريرك بولس مسعد الذى نهاه عن وقوع هذا الامر المجرم ( ٩٦ ) ولكن بعض المصادر الاخرى تذكر بانه لم يمنعه بل كان بينهما شبه اتفاق سرى .

وكان البطريرك كما المحنا سابقا يحاول خلع سلطة المشايخ لتوكيز سلطته ( ٩٧ ) وفي رسالة قنصل فرنسا الى سفير دولته في الاستانة ما رجّح هذا الاعتقاد ، ولا سيما عندما يُذكر مدى تغلغل نفوذ قناصل فرنسا في الاوساط الدينية واطلاعهم على بواطن الامور ، قال " كان بعض الاهلين يشكون احيانا استبداد طبقة الاشراف كاصحاب الاقطاعات في النواحي المختلفة طوائفها ، ولكن هذه الشكاوى لم تتكاثر الا منذ سنتين تقريبا ولقد توالى خلالها مساس سرية الكليركية فجسمتها ، وبدت تباشير روح الاستقلال اذ ان الاكليروس كان قد بدأ منذ ١٨٤٢ بالتدخل بالشؤون السياسية ، ولم يطل الامر حتى ظهرت روح حزبية ولما رأت طبقة الاشراف المسيحية مزاحمة البطريرك والاساقفة لهم ازدادوا تمسكا بحقوقهم . . . كما ان رجال الدين لما رأوا ما لهم من نفوذ في البلاد طمعوا باحراز حكم الجبل فنشأ من ذلك نزاع خفي ، ومزاحمة مستمرة . . . بيد اني اقتصر على بيان كون الاكليروس مثل في هذه الحركات دورا غير مطابقة لمهمته السلمية ، طمعا بالسلطة واخذ مقام الاشراف واستلام دفة الشؤون ، ولكن طبيعة الاشياء ذاتها وسلوك الحكومة التركية ادى الى اضعاف فريق بواسطة الآخر ، كل ذلك احبط مساعي الاكليروس ، بحيث فقد الاكليروس والاشراف معا، سلطتهم على الشعب " ( ٩٨ ) .

---

G. Charnes, op.cit., p.165

- ٩٤

٩٥ - العقيلي ، المصدر نفسه ص ١٤

٩٦ - المحررات السياسية ج ٢ ص ٣٠٥ المصدر نفسه ص ١٩

M. de Vogüe, op.cit. p.4

- ٩٧

٩٨ - المحررات السياسية ج ٢ ص ٩٨

وللدكتور مشاقة رواية تؤيد الى حد كبير ،قول السفير ،وهو رغبة البطريك بالسلطة - " قال قدم المعلم بطرث كرامة وسعى عند رجال الدولة بارجاع احد انجال الامير الكبير الى حكم لبنان وكاد يفلح بمسعااه وارسال الامير امين حاكما على الجبل ...

وقيل ان الخوري نقولا اعلم سيده البطريك بما ينوى الامير اتيانه ،فارسل غبطة البطريك رسالة للدولة مألها قدحا بالامير امين واكد ان الجبل يصبح ملعبا للشقاق لانه اظلم من والده ،وكثرت " العرضحالات " من الامراء والمشايع بعدم ارسال الامير وكانت الدولة سبقت وعينت الامير فذهب ليتسلم الامر بتعيينه واذا برشيد باشا يدفع له عرضحالا من البطريك الماروني ،وقال له نحن قبلناك حاكما على لبنان لكن رجال دينك رفضوك فاعتنق الامير الاسلام ،قائلا ، من الغلط التدين بعهذب ،هذا حال رؤسائه ( ٩٩ ) .

### ثالثا - تأثير التنافس البريطاني الافرنسي

تقسيم الجبل الى قائمقاميتين درزية ومسيحية ١٢٧ يار سنة ١٨٤٢

واستغل الاتراك حوادث الفتنة الاولى وضعف الامير وعينوا عربا باشا واليا على البلاد ( ١٠٠ ) وبرروا عملهم بعرائض مزورة استكتبوها الاهالي بعنف وقوة ورشوة وتمليق ( ١٠١ ) فاصطدم الاتراك بممثلي الدول الذين اعلنوا انها طريقة غير شرعية ومخالفة للتقاليد ( ١٠٢ ) فاجاب الاتراك انها تدبير موقت ( ١٠٣ ) وعلى سبيل الامتحان ومراعاة للظروف ( ١٠٤ )

واصطدموا اخيرا بارادة الطائفتين اللتين دفعهما كره الاتراك وبقايا الروح القومية فتناسوا الاحتاد وعقدوا الايادي ( ١٠٥ ) على محاربة الدولة ( ١٠٦ ) ولكن

١٠٠ - برر الاتراك موقفهم بتصريح مفاده ان الدول الصديقة طلبت منهم اعادة السكينة فارسلوا السرعسكر مصطفى باشا فاجتمع باعيان الجبل في بيروت والتمسوا منه عزل الامير بشير وتعيين احد موظفي الدولة . المحررات السياسية ج ١ ص ٨٨ .

١٠١ - المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٩ .  
C. Churchill; The Druzez and the Maronites....., p.78

١٠٢ - المصدر السابق ج ١ ص ٨٨ .

١٠٣ - المصدر نفسه ج ١ ص ٨٤ و ١٠٩ .

١٠٤ - والظاهر ان عمر باشا كما قال الشدياق اتخذ النصارى احلافه يرضوا بولاية الدولة ، فادخل في خدمته جنودا منهم وجعل ابا سوا والشتيرى قائدين عليهم ومنع الدروز عن التعدي على النصارى وحصل منهم ديونا للنصارى جبرا ، الشدياق ص ٦٤٠ "واخذ يكبس على الدروز وقبض على مناصبهم " ثم ثار الدروز عليه . . . وراجعوا الاستانة لعزله فارسلت الحكومة خليل باشا قبطان البحر صهر السلطان للنظر بامر لبنان فاقترح عودة الامير بشير الكبير لاعادة السكينة .  
١ - باز المصدر نفسه ص ١٠٧ .

١٠٥ - تراجع وثيقة العيش بوثام - المحررات السياسية ج ١ ص ١٨٨ .

١٠٦ - وخابر الدروز النصارى لينضموا اليهم ضد عمر باشا فوافقهم بعض العشايخ وارادها الدروز ثورة عامة من جميع المسيحيين فاتصلوا بمسيحيي الاقطاعات الدرزية فاشتراط هؤلاء ان يمضي الدروز صكا بعودة الامير الكبير ، فوقع الدروز الصك مع بعض شروط منها ان يكون للامير معين من اللمعيين . . . ثم اشتراط الدروز على الموارنة ان يكونوا هم البادئون في الحرب فتلگا الموارنة مخافة ان يكون دسياسة في الامر ، وعلم الاتراك بالمفاوضات فكتب الوزير الى المقاطعات المسيحية يحذرهم من مخالطة الدروز ومفاسد هم .



ولكن حال ذلك سوء الظن ، ودسائس الاتراك وسياسة الدولة المغرضة ، فتجدد الاختلاف والقتال احيانا بينهما ( ١٠٧ )

تشير بعض المصادر ان بعض النصارى التحقوا بالجيش التركي وكانوا في المقدمة عندما التحم الاتراك مع الثائرين من الدروز ( ١٠٨ ) ويقول خليل فايز " ولما ثار الدروز بقيادة شبلي العريان ، وكان النصارى في دير القمر يدفعهم حب اخذ الثأر ، عرضوا مساعدتهم على محمد باي فاحمد عملهم ( ١٠٩ ) ولكن يظهر من بعض المصادر الاخرى وهي اقرب للثقة ، ان بعض جنود النصارى التحقوا بالجيش التركي قبل ثورة العريان ، كما ان فريقا آخر قد التحق كما يذكر الكولونيل روز ، تحت تأثير الرسوة والضغط ، ثم يقول روز ، والرواية مستقاة ، من الوثائق القنصلية البريطانية في بيروت ، ومع عظم الخسائر التي ابتلى بها المسيحيون " فان المفكرين منهم وبعض رجال الدين يفرحون بانتصار الدروز ويتألمون لانكسارهم " ( ١١٠ ) وبعد ان تقام الامر اجتمع ممثلو الدول الكبرى الخمس مع ناظر الخارجية التركية في ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ ، فقال صام افندي وزير الخارجية التركية انه خلع الامير بشير الثالث لضعفه وتلبية لعرائض موقعة من الموارنة وغيرهم ، فقال مندوب بريطانيا ان ما تلقاه من عرائض تخالف عرائض الحكومة ( وقد اتهم السفراء مصطفى باشا بتزويرها ) ثم تناقش الحاضرون بامكانية تودة الشهابيين للحكم فاعلن الاتراك

١٠٧ - الشدياق ، المصدر نفسه ص ٦٤٥ . فايز ، المصدر نفسه ص ١١٧ - ١١٩ ، حصر اللثام ص ١١٢ . وتملك الاتراك البطرك وقد ماوله الهدايا وفرغوا الخلع على المشايخ المسيحيين وذلك باسم السلطان . فايز ، المكان السابق ص ١١٧ وحقد الدروز على الاتراك فاعلنوا انهم ما ثاروا الا بتحريض الاتراك وان الحصنة الكبرى من المشهوبات دفعت للاتراك والدروز دفعوا نحو ٣٠٠ الف ليرة عثمانية لقاء مساعدتهم او غن الطرف عنهم وهدد الدروز بنشر الاتفاقية التي بينهم وبين الاتراك .

C. Churchill, The Druze and the Maronites....., 78

حصر اللثام ص ١١٠ . يظهر تشابه كبير بين عبارات حصر اللثام وكتاب تشرشل مما مما يستدل ان احدهما ترجم عن الآخر .

١٠٨ - الشدياق ص ٦٤٥

١٠٩ - فايز ص ٢١

١١٠ - British Consular Files. Rose to Aberdeen. Nov., 19, 1842, No.84 (Quated by M.Kerr, op.cit., p.15)

ان مجرد عودتهم سيضرهمها ثورة لا تنحصر في الجبل بل تشمل جميع المناطق الدرزية ... ولما كان النظار المنار اليهم قد جلبوا زيادة ايضاح بهذا الشأن سألهم ممثلو الدول عما اذا كانت الدولة تتراج الى جعل الدررز تحت زعامة رئيسين منهما مستقلين عن بعضهما (١١١) فقال الاتراك انه يتعذر تحقيق المشروع لتخالط الطائفتين وامتزاجهما معا (١١٢) وبعد اخذ ورد قبلت تركيا بتجربة قسمة البلاد ووافقت الدول الا ان فرنسا (١١٣) احتفظت بحق عودة الشهابيين (١١٤) وقيل ان الموحى بالتقسيم رجل راجح النفوذ في اوربا هو البرنس ما ترنيخ (١١٥) وجاء في الوثائق الافرنسية الدبلوماسية ان الموحى بها هو محمد رشيد باشا والي عكا، همس بها الى السرعسكر اثناء مهمته في لبنان عام ١٨٤١، ووصلت الفكرة الى مثلي الدول الاجنبية فتبناها وتجاهل الاتراك الفكرة وتظاهروا بمقاومتها (١١٦) ولكن من المعتقد ان من اهم عوامل التقسيم سياسة التنافس البريطاني الافرنسي . ويتهم مسيو بوجاد بريطانيا \* بتنفيذ فكرة التقسيم لاقامة شبه دولة درزية تبادلهما ودا كالود الافرنسي الماروني ، ولا سيما بعد ان اعتمدت على المرسلين لبعث طائفة جديدة يعتمد عليها فلم يفلحوا \* (١١٧) ويتهم الخازنان فيليب وفريد ، جامعا المحررات السياسية مستر وود والكولونيل روز وهو صاحب فكرة ترحيل الموارنة عن الانقطاع الدرزي على ان يعرض عليهم . ويشير يوركهارث ان فكرة التقسيم جالت في اذهان الكولونيل روز ومستر وود (١١٨)

١١١ - المحررات السياسية ج ١ ص ٨٨ - ا ل

١١٢ - المصدر نفسه ص ٩٤

١١٣ - اسطفان بشعلاني المصدر نفسه ص ١٥٣

١١٤ - ويتسا ل يوركهارث ليس من المعقول ان يسأل ممثلو الدول السؤال نفسه معا وبعد ان يبعد فوض احتمالات متنوعة يستنتج ان السؤال مصدره بريطاني .

D. Urquhart, op. cit. pp.417-430

وبموجب التقسيم بين الامير حيدر اللامي بايعاز زمن البطريرك حاكما للمسيحيين ومركزه بكديا ومقاطعته تمتد من طرابلس لطريق الشام وبين الامير احمد ارسلان حاكما للدررز ومركزه الشويفات ، اما دير القروفتولاها حاكم تركي لعدم رضى المسيحيين على السلطة الفكرية فحقد هؤلاء عليهم وكان ذلك الحقد احد اسباب الفتنة الكبرى - فايز ص ١٢٨ .

١١٥ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢٤٧

A. Ismail, op. cit., p.364

- ١١٦

E. Poujade, op. cit., pp.27,71.

- ١١٧

١١٨ - المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧

D. Urquhart, op. cit., II, 417-430

وان صحت رواية الوثائق الافرنسية فليس بالمستبعد ان يكون والي عكا استوحى

الفكرة منهما .

ومهما يكن من امر فان المصادر تشير الى انه لما تعذر على بريطانيا استعمال الموارنة تراءى لها خطتان اما دمج لبنان في سوريا ليصبح الموارنة اقلية فيه ولكن مذابح الستين في دمشق افسدت هذه الخطة، (١١٩) واما باتباع حكمة سليمان بقسمة الجبل وشرطه الى منطقتين: مارونية ودرزية، ولكن الطائفتين فيه افتقرتا لحكمة نساء سليمان فأثرتا شطر الطفل على ان يحيى لاحداهما، وابتهج ممثلو الدول الأوروبية بما فعلوا فتبادلوا رسائل التهاني مع حكوماتهم (١٢٠) وهكذا اقرت اوربا مبدأ التقسيم وحكمت على " الزوجين " بالهجر وما جمعه الله باجيال فرقه الانسان بساعات . وان صح لنا ان نحكم على الماضي بالحاضر هان علينا حكمة اوربا بالتقسيم كلما اصبحت المشكلة معضلة لديها . وفي الواقع لم "يحلوا" المشكلة بل " خلقوا " منها مشكلتين . مشكلة الاكثرية المسيحية في الاقطاع الدرزي التي ابت الخضوع لقائمقام درزي بتحريض رجال الدين (١٢١) ومشكلة تزايد عدد السكان في الاقطاع المسيحي وكانوا يجدون في الاقطاع الدرزي منفذا للضغط الاقتصادي الذي انفجر نياما بعد ثورة شعبية غاشمة . بل في الواقع وضعوا الطائفتين في مواقف متعارضة كأمتين عدوتين وتركوا بينهما مصالح مشتركة لافساح المجال للاحتكاك ، فاصبحت القرى المختلطة "العقدة الكردية" تنبثق منها شرارة الثورات فيما بعد (١٢٢) وقد رغب الموارنة على مضض ان يقبلوا بمشروع الكولونيل روز على ان يدفع لهم نصف ثمن ممتلكاتهم مسبقا والقسم الاخر بعد الاستيطان ، وما نعت تركيا لصعوبة تحقيق المشروع عطيا (١٢٣) وقد وصف رفعت باشا ناظر الخارجية العثمانية مشروع التقسيم " انها بمثابة اشعال نار الحرب الاهلية (١٢٤)

١١٩ - المحررات السياسية ج ١ ص ٢٣ المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢

١٢٠ - A. Ismail, op. cit., p.363

١٢١ - كان عدد المسيحيين في الاقطاع الدرزي ٢٢ الفا مقابل ٢٢ الفا من الدروز، ويعتقد مشاققة ان المسيحيين كانوا نحو ٧٥ بالمئة

H.Guys, op. cit., II, p.61.

١٢٢ - Souvenirs de Syrie, op. cit., p.100.

١٢٣ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٦٥

١٢٤ - المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧ ؟

ولقد صح ما توقعه وزير الخارجية التركية فاندلعت نيران الثورة الثانية (١٢٥) لان قسمة البلاد الى امارتين على اساس طائفي اذكت روح الطائفية رسميا ، وكانت مشكلة المشاكل فيها القرى المختلطة واكثريتها مسيحية خاضعة للحاكم الدرزي ، وقد استنكفت هذه القرى الخضوع او الرجوع الى الحاكم الدرزي وكان منها ما يرغب بتحريض رجال الدين (١٢٦) ان يكون التقسيم او المرجع على الاقل على اساس ديني لا اساس اقليمي اي ان يكون للمسيحيين وكيل لهم يرجع الى قائمقامهم وقد استغفرت هذه المشكلة وقتا طويلا ومجهودا جسيما لحلها (١٢٧) ومن اسبابها ذيول الفتنة الاولى واهمها التعويضات وقد طال امرها (١٢٨) وكتب احد المرسلين وكان موافقا للحوادث للتخفيف من حدتها ولما يئس الفلاحون من عدم التعويض عليهم رفعوا حكمهم الى السيف وابتدأ القتال في ١٣ نيسان سنة ١٨٤٥ (١٢٩) واختلف الدرروز والموارنة على كيفية توزيع الضرائب ومقدارها ،

١٢٥ - تختلف المصادر في تحديد اوقات الثورة تماما ولكنها تجمع على ان حدثت بين منتصف نيسان سنة ١٨٤٥ ومنتصف ايار .

١٢٦ - قال جاسب ولم يكتف البطريرك ببسط نفوذه الروحي في القرى المختلطة بل حاول بسط نفوذه السياسي ايضا وهذا ما تعارض مع حقوق الاقطاع الدرزي  
H. Jessup, op. cit., I; p.162

١٢٧ - ساقترح المسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت تعيين وكلاء للمسيحيين في الاقطاع الدرزي واختلفوا من يعين هؤلاء والى من يرجعون ، فطلب المسيحيون ان يرجعوا الى قائمقامهم فاحتج الدرروز ، والكولونيل روز ، واقترح البعض ارجاع الوكلاء الى الوالي التركي في صيدا فرفض الدرروز ورفض ممثلو الدول لان ذلك يمس قاعدة استقلال الجبل ادريا .

المحررات السياسية ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

١٢٨ - ومنطقة الباب العالي لممثلي الدول ٢٢ ك ١ ١٨٤٤ ان المجلس المختص دق في مطالب الموارنة فاذا بها تبلغ ستة عشر الف كيس وخسائر الدرروز ٢٦٠٠ كيس .  
المحررات السياسية ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٤ . ويقدر تشرشل الخسائر بثلاثة الاف نفس ونحو نصف مليون جنية .

C. Churchill, The Druzez and the Maronites..., p.64

Missionary Herald; Aug., 1845, p.283

Ibid , Dec., p.34.

ويعتقد يوركهارت ان محرك الفتنة هو "كاخية" الامير حيدر بسبب اختلافه مع رجال الاقطاع الدرزي على ارض البقاع ( ١٢٠ ) .

وتستنتج بعض المصادر من فوز الموارنة في مستهل الثورة فوزا كبيرا ان الموارنة هم المستبدون بالشر، وانهم استعدوا لها الاستعداد الكافي ولولا مساعدة الاتراك للدرز " لبدت الامة المسيحية " الكافرة " شطهم " كما ورد في رسالة سعيد بك جنبلاط الى الشيخ حمود ابونكد ( ١٢١ ) وتتهم المصادر الموارنة والافرنسية وبعض المصادر الاجنبية الاتراك بالامرولا سيما الوالي وجيهي باشا ان تجددت الفتن بتولييه الحكم بعد عزل اسعد باشا ( ١٢٢ ) واحتج ممثلو الدول على الموقف الذي اتخذه وجيهي باشا من الحوادث ( ١٢٣ ) اما الاتراك فيتهمون عمال بريطانيا وفرنسا ( ١٢٤ ) ان بالتقسيم خلا الجو لعمال الدولتين ، كل يعمل في منطقة ويتحضر اتباعه فيزداد الفريقان غرورا وحامسا لاتصاء او اذلال الفريق الآخر . وبعد حوادث الستين اشار فؤاد باشا الى مثلي الدول الكبرى بذلك مبررا موقف حكومته وعجزها قائلا " ويخلق بي ان اعلن ان الموارنة والدرز شعروا بعضد الاجانب لهم فناهضوا السلطة وعصوا الاوامر . . . فلم يكن لدينا اقل وسيلة لمنع الشقاق " ( ١٢٥ ) ولا سيما وتركيا تشعر بانها لم تكن مسؤولة مباشرة عن حكم الجبل ، بل اتهمت بريطانيا وفرنسا بتقادم الحوادث . قال شاسوان اصل الاختلاف

---

١٢٠ - D. Urquhart, op. cit., II, p.397

١٢١ - Eugène Poujade, Le Liban et la Syrie, 1845-1860, (Paris, 1867) p.248

١٢٢ - حصر اللثام ص ١١٦ ، ١٢١

١٢٣ - الشدياق ، المصدر نفسه ص ٧٠٢

المحررات السياسية ج ١ ص ١٧٦ .

١٢٤ - وعلق النائب الافرنسي " دي ملغيل " على مبدأ التقسيم وسياسة اوربا مخاطبا وزير خارجية فرنسا في الندوة وقائلا " ان اعاونكم واصدقائكم يا حضرة الوزير كانوا منذ بضعة ايام يقولون ينبغي ان نجعل من لبنان اسوة بسويسرا ، اما انا فجل ما ابتغيه الا تجعلوه مثل بولونيا ، ثم خاطب النواب " انا كثيرا يا حضرات النواب ما نرعى هذه الشعوب بعدم التمدن والغش ولكن اذا تعلمت يوما ان تكتب التاريخ فمنحك على اوربا دون شك بالخيانة .

المحررات السياسية ج ١ ص ٢٤٥ .

١٢٥ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٣٦٧ ، ٤٠١ . M. Jouplain, op. cit., p.401

بين الطائفتين هم ممثلو الدول الأجنبية التي سعت لاثارة القلاقل في لبنان لاجرا  
مركز الاتراك ونيل بعض المكاسب " (١٣٦) .

واسترجاعا لنفوذهم الشامل اصبح هدف سياسة الافرنسيين ارجاع الامير الكبير  
ناصر طه بممانعة الدرر ومقاومة الاتراك الذين اصرروا بان بارجاعه بداية ثورة عامة (١٣٧)  
وفي ١٦ ايار سنة ١٨٤٥ قدم سفير فرنسا في الاستانة طلب رسميا لارجاع  
الامارة الشهابية وطلب الميسو غيزو من سفراء فرنسا في العواصم الأوروبية ان يحملوا  
حكوماتها على تأييد الطلب فما نعت بريطانيا ارضا لاصدقائها الدرر (١٣٨)  
وبعد التفتة الكبرى واصل الافرنسيون مجهودهم لارجاع احد الاسرة الشهابية  
للحكم كالامير مجيد فعارض يوسف كرم ورفض الدرر .

وخطب النائب الفرنسي الكونت " مونتالامير " عام ١٨٤٥ فقال لقد اجمعت  
الاراء على ان السبب الرئيسي لهذه الحوادث هو طرد الامير الكبير الذي عملت  
بريطانيا على ابعاده حسدا لكونه حائزا على حماية الافرنسيين ، وقد تم الموارنة عريضة  
الى ملك فرنسا مسترحمين اعادة الامير بشير او ابنه وانهم لن يرضوا بسلطة الدرر (١٣٩)

---

G. Chasseaux op. cit., p.306

- ١٣٦

١٣٧ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٨٦، Great Britain, Foreign Office  
Correspondence relating to the affairs of Syria..., II, 176

١٣٨ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٩١

١٣٩ - المصدر نفسه ص ١٢٨ .

واستغل عمال الشهابيين عطف فرنسا وبعض الوسط الماروني علدا ارجاعهم فاثرا  
القلاقل لاطهار حاجة البلاد اليهم . ويعزو السفير الروسي تكرار المآسي الى  
امل المسيحيين بعودة الامير بشير - المحررات السياسية ج ١ ص ١٥٣ .  
وذكر رستم باز . " وبعد تشكي الدرر علدا عمر باشا ارسلت الحكومة خليل باشا فمكت  
في لبنان ثلاثة اشهر واكثر . . . ورجع الى اسطنبول وقرر قائلا ان سكان اكثرهم  
نصارى . . . والنصارى ترغب رجوع الامير بشير ، ويقولوا لا احد يقدر يضبط غيره . . .  
ولكن دولة الانكليز مانعت اشد الممانعة ، لان هي اخذته الى مالطة ، املانا  
اذا لم الامر لرجوعه يكون عن يدها دون غيرها ، حتى لا يعرف الامير بشير دولة  
غيرها ولو بقي الامير في مالطة لا اكثر من سنة لثم الامر . وهذا القول ليس لنا  
بل واقع الحال حقيقة ص ١٠٩ . ولكن الواقع يثبت ان الاتراك لم يكونوا راغبين  
ايضا بعودته .

وازداد تدخل الافرنسيين بشؤون البلاد الداخلية فاذا ما الحكومة قبضت على مذنّب تدخل القنصل الافرنسي واطلق سراحه واثناء انتداب شكيب افندى للبحث في حوادث ١٨٤٥ وجمع الاسلحة من كسروان تظاهر خليل المدير بحماية فرنسا فاعتقله الاتراك فنزلت فرقة افرنسية بحرية في جونية وانتزعت من السـجـن بالقوة (١٤٠) وكتب قنصل بريطانيا من بيروت في ٣ ك ١ ١٨٥٩ (١٤١) ان الاتراك قبضوا على ٣٦ شخصا في حوادث بيت مري ١٨٥٩ واقتادوهم الى بيروت . ثم تدخل القنصل الافرنسي واطلق سراحهم (١٤٢)

فرنسا وبريطانيا تمدان الفريقين بالمال والاسلحة

وارسلت فرنسا بعد حوادث ١٨٤١ و ١٨٤٥ نحو نصف مليون فرنك فانفذهما البطريك على تعزيز نفوذه ، وكان ارسال المال بطريقة علنية فجعل الموارنة يفتخرون بالامر ويقولون انهم سيسحقون الدروز (١٤٣) ويذكر في مكان آخر ان البطريك كان يوزع الاموال لاغراض حربية ، اذا امر عماله ان يدفعوا لكل محارب اربعة غروش يوميا ففعلوا ، فاجتمع لديهم جمع غفير (١٤٤) .

وبعد حوادث ١٨٤٥ كتب سفير بريطانيا في باريس الى لندن اتصل بي ان بضعة الآف من بنادق " مينة " الافرنسية وزعت على الموارنة فاطلعت المسيو تيوفيل على هذا الخبر فاجاب انه من المشهور دخول كميات عظيمة من الاسلحة حديثا الى سوريا وبيعت جهارا من الدروز والموارنة وانه حين كان في الاستانة حادث

---

١٤٠ - الحتوني ، المصدر نفسه ، ص ٣١٦ ، ١٤١ - المحررات السياسية ج ١ ص ٣٨٩

١٤٢ - وبعد حرب القرم امتد تدخل الافرنسي وقوى نفوذ القنصل الافرنسي

فكانت الجماهير احيانا كما فعلت بغزير تستقبله رافعة الراية

الافرنسية ومطلقة النيران ابتهاجا ومعلنة انها تحت حماية فرنسا

British Consular Files, Nov., 8, 1859, No. 61 Moore to Bulwer, (Quoted by M. Kerr, op.cit., p. 126.)

١٤٣ - حسو اللثام ، ص ٧٥

١٤٤ - المصدر نفسه ص ١١٨

القسيس بولفر غير موة في هذا الشأن مظهرها مخاوفه من تجدد القتال ( ١٤٥ )  
وارسل الكولونيل روز لسليم باشا في ٤ ت ١ \* علنا بعز يد الاسف ان النائع  
في البلاد ان موظفي جلالة الملكة وزعوا بارودا وذخائر على الطائفة الدرزية  
فلوأتوا هذا العمل في ظروف غير هذه لعد عملهم جناية عظمى ، فكيف اليوم  
والحالة حرجة والتباغض مشدد بين الدرروز والموارنة . . . . . اننا نحتج بشدة على  
مثل هذه الاشاعات المتفشية على اللسنة \* ( ١٤٦ ) .

ومهما يكن من امر فان الثابت ان كلا من ممثلين الدولتين حضن فريقا  
وايدة كثيرا او تدخل لاقصاء العقاب عنه ، ولكن يتضح ان بعض اعمال الممثلين  
كانت تخالف او تتخطى اراء دولهم وثانيا ان هؤلاء الممثلين لم يقدروا مدى تأثير  
تدخلاتهم وشدة الانفجارات التي تتولد منها كما حدث مع تشرشل ، وظهر من  
الوثائق الدبلوماسية الفرنسية الصادرة عن بيروت ان قنصل فرنسا " بوره " قد خالف  
سياسة حكومته تجاه الحملة المصرية وناصر الثورة بل انه نبه دولته بان سياسة  
محمد علي باشا ستكون خاسرة ومضرة لمصالح فرنسا في لبنان فكان جواب وزارة  
الخارجية استدعاءه لباريز والاستغناء عن خدماته في بيروت ( ١٤٧ ) .

#### ١٤٥ - المحررات السياسية ج ٢ ص ١٩١

ونعليقا على هذا الخبر اعلن رئيس الوزارة البريطانية في المجلس ان الموارنة  
استلوا اسلحة غير هذه التي بيعت جهرا فقال " انما انا واثق بانهم اعطوا  
اسلحة غير التي بيعت منهم جهرا في بيروت ، ان قنصل بريطانيا في بيروت  
افادنا بان القتال نشأ عن هجوم الموارنة لاقصاء الدرروز عن البلاد . . . . .  
قال صديقي انه متفش على اللسنة ان الحكومة الانكليزية تحمي الدرروز لانها  
تهمة سافلة في حين انه من الثابت لحكومة غيرها ارتباط بالموارنة .  
المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٨٨ .

Great Britain, Foreign Office, Correspondence relating to the affairs of Syria . . . , I, p.423

#### ١٤٦ - المحررات السياسية ج ١ ص ٦٧

Ministre Aff. etr. Cor.pol.Beyrouth.Rap.Bourée No.27- ١٤٧  
du 27 juin 1840. (Quoted by A.Ismail, op.cit., p.110;

ويحمل رشارد مادن ، وهو بريطاني تجول في الشرق اثناء بعض الحوادث  
وبعد ها ، حملة شعواء على تدخل قناصل بريطانيا ، ونزاعهم المستمر مع  
رجال الدين الماروني معا ضده . . . . . للارسلات الانجيلية ويقول ساخرا فقد  
اصبحوا مثلي الارسلات الدينية لاحكوماتهم

R. Madden, op.cit., II, 32,267



ومن عمال بريطانيا الذين الصقت بهم تهم كثيرة ، مستر رود الكولونيل تشرشل ( ١٤٨ )  
 واما عمال فرنسا فكثيرون لتغلغل الفوز الافرنسي منذ امل بعيد ومنهم فئة من  
 الوطنيين العلمانيين والروحانيين ، ويستدل كما ذكر بعض المرسلين الاميركيين وهم  
 شهود عيان وقد تداخلوا احيانا بعامل انساني لمساعدة الجرحى والمنكوبين ان  
 الباعث الاساسي لهذه الحركة كان عاملا زمنيا وسياسيا لبسط النفوذ ( ١٤٩ ) .  
 ويلاحظ انه رغم جميع النوايا الطيبة التي ايدتها فرنسا نحو الموارنة في هذه  
 الفترة لم توفق لمجاراة السياسة البريطانية ، بعدة اسباب ، منها تقلب السياسة  
 الافرنسية ، ازاء ثبات السياسة البريطانية ، انعكاسا لتقلب السياسة الداخلية فسي  
 فرنسا نفسها وانتقالها من دور جمهوري الى امبراطوري وغير ذلك فيما كانت السياسة  
 البريطانية على الاكثر تدور حول محور المحافظة على طرق الهند ( ١٥٠ ) وصيانة كيان  
 الامبراطورية العثمانية ، وبالتالي المحافظة على صداقة الدروز كنقطة ارتكاز لها في  
 هذا الجزء من العالم العربي ، كانت السياسة الافرنسية موزعة بين العوامل الثقافية  
 والسياسية والدينية فادى هذا الى كثرة تغيير الممثلين السياسيين ، وعلى الاكثر لم

#### ١٤٨ - كتب المرسل الاميركي جاسب عن تشرشل ما يلي -

Regarding this war as begun by the Maronite patriarch and bishop, who openly announced their plan for exterminating the Druzes...., he (Churchill) threw his whole influence on the side of the Druzes, and actually planned the "Bethel and Ai" campaign against Zahleh. But, in justice to him, it should be said that as soon as the Druzes with the aid of Turkish military officers... to disarm the Christians and then massacre them like sheep, he turned against them, wrote to them spoke to them, denouncing them as wild beasts .... His book on "The Druzes...." is the only correct published account of the struggle of 1860 and its political causes and results? H. Jessup, op.cit., I, p.174.

يكن هؤلاء من الوزن الثقيل المعادل لزملائهم البريطانيين ( ١٥١ ) لهذا ضعف مركز الموارنة وطمع بهم الدروز احيانا . كما انه من العسير ان نسير غور التدخل الافرنسي لتغلغله في لبنان منذ امد بعيد ، ولا سيما لم نطلع على المراسلات الافرنسية الدبلوماسية بهذا الشأن وقد حدثني احد كبار الاساتذة الذي اتاحت له الظروف ان يقف على بعضها في باريس فقال لو نشرت هذه الوثائق لتعرضت شخصيات كبيرة وكثيرة في لبنان للخزى والعار .

---

Pierre Ghalib, op.cit., p.217

- ١٥١ -

وقد اشار لامارتين في خطابه في الندوة الى هذا الانقسام والضعف وبعد ان يهاجم سياسة حكومته وضعفها وعمل بريطانيا والنمسا ضدها يقول " لاني ان كنت اسلم بوجود مسائل خلائية في الشؤون الداخلية فاني استنكرها متى كان الامر متعلقا بمقاومة اعتصاب الدول الاوروبية علينا . . . .

المحررات السياسية ج ١ ص ٢٦٩ .

#### رابعاً - تأثير يقظة الشعب باندلاع ثورة الفلاحين في كسروان

ويخيل للباحث ان تاريخ لبنان قبل العهد المصري وفي الحقبة الاولى من عهد الامير بشير الثاني كان انبثج بسجل للنزاع بين رجالات الاقطاع انفسهم وعلى كل فريق منهم امير من العائلة الحاكمة بتحريض في معظم الاحيان من ولاة الدولة العثمانية ( ١٥٢ ) ولكن في الشطر الثاني من عهد الامير بشير الثاني وسلفه ولا سيما طيلة العهد المصري، اصبح الصراع قائماً بين الامراء ورجالات الاقطاع . وكان الامير بشير الثاني كما مر اشدهم فتكاً وكذلك الفاتح المصري . وبعد سقوط الامير بشير الثاني اصبح تاريخ لبنان في حقبة العشرين السنة التالية ١٨٤٠ - ١٨٦٠ صراعاً مستمراً بين رجالات الاقطاع من جهة وبين الامراء ثم زعماء الدين ثم عامة الشعب من جهة ثانية وكان هذا الصراع يطفو ويخبو بموجب العوامل والمناسبات ، ويعتقد بعض المؤرخين ان الاقطاع مر في ثلاث مراحل في هذه الحقبة ، المرحلة الاولى ١٨٤٠ - ١٨٤٢ وفيها استطاع رجالات الاقطاع بمعاوضة الدول الاجنبية ، طرد الفاتح المصري ونفي الامير بشير الثاني وخلع الامير بشير الثالث . والمرحلة الثانية تمتد من ١٨٤٢ - ١٨٥٤ وهي الفترة التي نعم فيها رجالات الاقطاع ببعض النفوذ ومحاولة استرجاع ما خسروا من املك مختصة او موهونة او مباحة اثناء العهد المصري بثمن زهيد . اما المرحلة الثالثة فهي ابتداء انهيار النفوذ الاقطاعي ولا سيما في القطاع المسيحي لاسباب عدة ( ١٥٣ ) وبلغ هذا الانهيار والادلال الذروة في الثورة الشعبية في كسروان فيما ظهرت فئة اخرى تناصبهم العداء ، وتشيرها حرباً عواناً ، لا لين فيها ولا هوادة فتشتت شمل الاقطاعيين وتطردهم من اقطاعهم وتغتصب املكهم وتعلن الحكم جمهورياً او شبه جمهورياً ( ١٥٤ ) واسلطة للشعب وان الالقاب والرتب تمنح بموجب غنى الرجل ،

---

١٥٢ - ليس من العبث ان يسمي الشدياق كتابه اخبار الاتيان في تاريخ لبنان

١٥٣ - ينهي عادل اسماعيل المرحلة الثانية بعام ١٨٤٥ ، ويتضح لنا ان عام

١٨٥٤ اقرب لواقع الحوادث وهو العام الذي خسر فيه رجال الاقطاع

صديقين هما البطريرك يوسف الخازن والامير حيد اللامي ، كما انه في حرب

القرم ، ازداد النفوذ الافرنسي وسياسة الافرنسيين كانت تتجه نحو معاوضة

الشعب الماروني لا المشايخ لاشتراكهم بالثورة على محمد علي باشا ولا اتصالهم

بالممثل البريطاني .

١٥٤ - العقيقي ، المصدر نفسه ص ٢٠٨

وكده لا يفضل حسب ( ١٥٥ ) ونسبه وتضطرم هذه الثورة وتسير بقيادة طانيوس شاهين ( ١٥٦ ) فيصادر املاك المشايخ ، ويأخذ ذلك بثوة "الجمهور" ويؤدب ويخضع القرى العاصية . واصبحت اعلاناته واوامره تعلن من عن منابر الكنائس . ويتجول في القرى فيلاتي بالهتاف نظير الحكام ويخاطب آل الخازن بخطابات رسمية .

### اسباب الثورة

وتبتدى الثورة بخلاف بين مشايخ الخازن والامير بشير احمد اللامي ، قائمقام النصارى ، على السلطة ، وهي في الواقع تبرز بمظاهرين مهمين المظهر الاول هو تناف النفوذ بين اعيان المسحيين من رجال الدين والدنيا بعد سقوط الشهابيين ( ١٥٧ ) وثانيا وهو يقظة الشعب وتفتحه للاسباب التي ذكرت في الفصل السابق من جراء العوامل الجديدة ( ١٥٨ )

- 
- ١٥٥ - خانجيان المصدر نفسه ص ٧  
١٥٦ - رجل بيطار من ريفون ، وهو بحكم وظيفته كبيطار للبغال كان رجلا قويا مقتول الساعدين فاستلم زمام قيادة الثورة عمليا .  
١٥٧ - يرجع العقيلي وخانجيان الخلاف الى سوء اخلاق الامير واستبداده العقيلي المصدر نفسه ص ٤٩ ، خانجيان المصدر السابق ص ٣ ولا شك ان هذه الاسباب اضعفت مركز الامير ولكن ما كتبه مولكم كير مستندا من وثائق القنصلية البريطانية في بيروت ما يؤيد الرأي الاول وورد فيها - ان مشايخ الخازن قدموا مذكرة الى نسيبهم البطريرك يوسف الخازن مقترحين ان يكون الامير اسماعيل ابن الامير حيدر قائمقاما ، وهو رجل ضعيف التدبير على ان يكون احد الخازنيين "كأخيه له" ثانيا او ان يكون القائمقام من عائلة الخازن - ثالثا او ان يكون مرجع المشايخ الحاكم التركي لا القائمقام فرفض البطريرك الدلب .

British Consular Files. May, 19, 1854 No. 16.  
Quoted by M. Kerr, op. cit., p. 41.)

- ١٥٨ - ويذكر هاملين ان بعد صدور الخط الشريف اصبحت لا تسمع في الاسكندرية الا الارمن واليونان وسواهم يتحدثون عن مصالحهم القومية ويعنون بها المصالح الطائفية من مدارس وكنائس وجمعيات وقد اثار تجار الارمن مسألة ضرورة تمثيلهم في المجلس البطريركي . . . ويقول انها حركة ديمقراطية قد ينسبها اعداؤها الى الاجانب والى كل شي "يسي" سمعتها .

C. Hamlin, op. cit., p. 67.

وحاول الخازنيون اثارة الشعب عليه فاستطاع الامير كما قال الحتوني برد  
 السهام الى اخضامه (١٥٩) فاثار الفلاحين مستغلا نفورهم من استبداء المشايخ ،  
 وقد اغتصب بعضهم املاك الفلاحين واعتدى بعضهم على العرس (١٦٠) وفتكوا  
 بالفلاحين لأتفه الاسباب (١٦١) ويظهر ان روح الثورة لم تضطرم لاسباب شخصية  
 بحثة بل ليقظة ونفور عام من السلطة واستبداد المشايخ والى هذا يشير الحتوني بقوله  
 " وبهذه الغضون هاج بعض الجبهة من قرية عرمون على المشايخ الدحاحيين -  
 سكان عرمون وراموا طردهم منها ٠٠٠ " وقد نهاهم العقلاء عن ذلك (١٦٢) كما  
 حاول فلاحو غزير خلخ ولاية حبيش عنهم " (١٦٣) .  
 ولم ينبج رجال الدين من الاتهام بتشجيعهم للثورة رغبة " باضعاف رجال الاقطاع  
 فقد اراد البطريك كما قال يوسف بك كرم ان يحكم مدنيا (١٦٤) وقيل انه كان يشك  
 بصدق مارونية القائمقام .  
 وتستغل فرنسا وبريطانيا وتركيا الموقف لتلعب كل منها دورا مهما في تفاقم  
 الحوادث فتناصر فرنسا الثوار وانتقاما من آل الخازن (١٦٥) .

١٥٩ - الحتوني ، المصدر نفسه ص ٣٢٢

١٦٠ - العقيقي ، المصدر نفسه ص ٧٦

١٦١ - المصدر نفسه

١٦٢ - الحتوني ، المصدر نفسه ص ٣٤٣

١٦٣ - المصدر نفسه ص ٣٢٥

١٦٤ - واشيع ان البطريك يشير الفلاحين على المشايخ فتظاهر المشايخ امام صرح

البطريكية مدججين بالاسلحة وناصر الشعب البطريك وتدخل يوسف بك كرم

منعا للاصطدام بشعلاني ، المصدر نفسه ص ٢٥٦ .

١٦٥ - ويظهر ان بعد حرب القرم عاد الاختلاف بين عمال بريطانيا وفرنسا في لبنان

فعضدت فرنسا الامير القائمقام ، وايدت الثورة ، وغضبت على مشايخ الخازن

وآل حبيش ، لمقاومتهم محمد علي باشا ، واسترشادهم باراء عمال بريطانيا وذنبهم

الوحيد برأى مستر تشرشل التجاؤهم الى قنصل ببريطانيا .

C. Churchill. The Druzes and the Maronites... op.cit., p.125

ويقول الحتوني - وفي اثناء ذلك حضر الشيخ بطرس وأكد حبيش من قبل قنصل

بريطانيا لياخذ معروض التشكي المطرز باختام المشايخ الخازنيين وغيرهم من

الذين هم ضد الامير ولما اطلع عليه قنصل دولة فرنسا اغتاظ جدا بعدم قبولهم

ارشادته وانقيادهم الى رأى الدولة الانكليزية ص ٣٢٩ ويذكر ايضا انه سنة ١٨٥٧

حضر فومان من دولة فرنسا الى قنصلها في بيروت السنيراد مون دليسان يكون جنرالا

على سورية فانسر القائمقام بذلك وتقوى لان القنصل المذكور كان من المعضدين له .

المصدر نفسه ص ٣٢٦

وتعطف بريطانيا على المشايخ من آل الخازن وحبش (١٦٦) وتناصر تركيا  
الفريقين لبث روح التفرة بين المسيحيين وازعاف سلطة الاقطاع المسيحي والغاية  
منها كما قال يوسف كرم التمديد لحوادث الستين (١٦٧)  
اما قنصل بريطانيا فيرى فيها " تكره " الشعب بنظام الحكم وطلب والي  
تركي (١٦٨)

امتداد الثورة للاقطاع الدرزي واصطباغها بالطائفيين

ويظهر ان رجال الاقطاع الدرزي شعروا بخطر الحوادث وامكانية امتدادها  
وشمولها فنصحوا اصدقاءهم الخازنيين بالتبصر والتروي فلم يروعوا . قال فيليب الخازن  
احد جامعي المحررات السياسية في مقدمة كتابه "الجزء الثاني " نحن نعلم من رواية  
ثقة ان سعيد بك جنبلط استشف بواطن مكيدة ثورة ١٨٥٨ التي دبرها خورشيد  
باشا فارسل يوسف الخوري يحذر مشايخ الخازن من عواقبها (١٦٩)

---

١٦٦ - وجاء في الحتوني - " وفي هذه السنة ١٨٥٦ تظاهرت اخصام الامير بشير  
القائمقام وكان المقوى لهم قنصل دولة الانكليز في بيروت ، وفيها قدم الكولونيل  
تشرشل بك من عائلة الدوك ملبروك ٠٠٠ الى جونيه قصد تغيير الهواء في فصل  
الصيف فاخذ يقوى التعصب في كسروان ضد الامير " الحتوني ص ٣٢٥

يظهر ان بريطانيا ايدت اورشيت في مستهل الامر عن الامير بشير احمد ولكن  
بعد ان اتجه نحو الافرنسيين وشرع بمقاومة اصدقائها تلبت له ظهر المجن .  
M. Kerr. op.cit., p.106

١٦٧ - ويظهر ان السياسة التركية انسجمت مع السياسة الافرنسية من حيث الوسائل وان  
اختلفت الغايات ويلاحظ بصورة خاصة ازدياد النفور الافرنسي في لبنان بعد حرب  
القم نظرا للدور المهم الذي لعبته فرنسا فيها . راجع كير نقلا عن اوران القنصلية  
البريطانية .  
Ibid. p.126

١٦٨ - وفي عام ١٨٥٩ يكتب قنصل بريطانيا في بيروت ان الحكومة التركية تشير طبقة  
على طبقة من الشعب فتحرغ المشايخ وتساعد الثوار لتكريه الاهالي من طريقة  
الحكم وطلب حاكم تركي - المحررات السياسية ج ١ ص ٣٥٩  
وفكر خانجيان " واما طانيوس شاهين فكان يستشير باعماله خورشيد باشا والي  
صيدا " ص ٧ . وقابل الحتوني طانيوس شاهين شخصا وحذره من الجيش التركي  
فضحك طانيوس قائلا اما تعلم ان الباشا هو المرند للاعمال " فسكت وانا متعجب  
من كلامه " الحتوني المصدر نفسه ص ٣٤٧ .

١٦٩ - المحررات السياسية ج ٢ المقدمة .

قال الحتوني \* في هذه الغضون ارسل سعيد بك جنبلاط معتمدا من قبله يوسف الخوري البكاسيني ( ١٧٠ ) ومعه احد عقال الدروز يخاطب بلسانها المشايخ الخازنيين قائلا ان تحزبهم ضد قائمقامهم هو آيل لضررهم ، وضرر كامل ذوى الاقطاع في جبل لبنان فاجابه الخازنيون متشكرين من معرفته ، حامدين زاكي فهمه ، وانهم صاروا يتبصرون بما هو موافق \* ( ١٧١ )

ولقد صح تكهن الشيخ سعيد جنبلاط فقد لفحت الثورة الاقطاع الدرزي بلهيبها ، وجاء في المراسلات الدولية \* اننا نلحق ان اول غازي للقائمقامية الدرزية هو زعيم شعبي قام بشهرته في مقاطعته وان المحركين الاوائل ضد الدروز هم من انصار هذا الرجل واذا عرفنا ان رجال الدين عطفوا على ثورة الفلاحين ، وان عددا كبيرا من الارستقراطية المارونية نسب اليها التحيز الى الدروز ، جاز لنا ان تعتبر حوادث الستين كانت حركة ضد الاقطاع ، من ان تعتبر عواكسا دينيا او جنسيا ولكن اخيرا انحطت عن فرضها واصبحت حريا دينية \* ( ١٧٢ )

ويستغرب بعض الكتبة فتور الموقف الذي اتخذه الاقطاع المسيحي تجاه الفتنة الكبرى ، فمنهم من يرى فيه تأمرا او معاضدة سلبية للاقطاع الدرزي ضد الفلاحين فكتب تشرشل ان امراء الموارنة وشيوخهم لم يتخطوا الحدود لمساعدة ابناء طائفتهم في الجنوب ، فالقائمقام المسيحي ارتشى وحاول منع بعض افراد اسرته من مساعدة المسيحيين ، واكثر الامراء والشيوخ المسيحيين تمنعوا سرا انتصار الدروز لان بانتصارهم والاقطاع ... ثم قال ان اعداء الدروز هم رجال الدين لا الارستقراطية المسيحية التي لم تشترك قلبيا باية حركة ضدهم ولم يتحرك من شيوخ الشمال لنجدة اخوانه في الجنوب سوى واحد ( ١٧٣ ) تقدم ثم جمد مكانه مبررا جموده وجبنه بتدخل القناصل ( ١٧٤ )

---

١٧٠ - هو والد الدكتور شاكر الخوري صاحب مجمع المصبرات وقد ذكر الحادثة في كتابه .

١٧١ - الحتوني ، المصدر نفسه ص ٣٢٩

١٧٢ - Great Britain. Foreign Office. Correspondence relating to the affairs of Syria ..., II, 197

١٧٣ - شارة الى يوسف بك كرم

١٧٤ - C. Churchill, The Druzes and the Maronites ، صفحة ١٧٨ ، p.178.

ويذكر العقيقي ان مشايخ الخازن اخذوا يكتبون جميع الامراء والمشايخ ومنهم مشايخ الدرّوز " ولم حصل لهم نتيجة " (١٧٥)  
 وذكر ريشارد ادوار واضع كتاب سوريا ١٨٤٠ - ١٨٦٠ - ص ١٣٠ انه علم من مصدر يوثق بصحته ان الامراء الدرّوز ومشايخهم عرضوا على الخازنيين مساعدتهم بالتكامل باهل كسروان فرفضوا (١٧٦)

ويفسر بعض المؤرخين هذا الفتور بضعف الاقطاع المسيحيين وانقسام المسيحيين على انفسهم (١٧٧) شجع ذوي العرب على اذكاء نار الثورة واشعالها . بل يذهب احدهم الى ابعد من ذلك فيتهم بعض المسيحيين بخيانة ونقل الاخبار الى زعماء الدرّوز والدس على ملته (١٧٨) ويصف الاب الحثوثي الحالة متألما في ابتداء ثورة الستين قائلا " غير ان الكسروانيين لم يزالوا لاهين ومشغولين

١٧٥ - خانجيان ، المصدر نفسه ص ٢٠

١٧٦ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٢٥١ في الهامش

١٧٧ - وجاء في المحررات السياسية " وبينما كانت بوادر الثورة الثانية ظاهرة كانت اسرنا حبيش ودحداح في نزاع دائم توشكان ان تتفانيا .

المحررات السياسية ج ١ ص ١٢٣ - ويصف البعض حالة الفوضى في الاقطاع المسيحي والضعف والانقسام فيقولون . قال ممثل بري لانيا ان مسيحيي لبنان عشيرة همجية عاجزة عن ادارة شؤونها فالاكليروس والنبلاء متشاحنون تنقد في صدورهم نيران التباغض . . . . . وكسروان مسرح للجنايات والاعتداءات المتواصلة  
 المحررات السياسية ج ٣ ص ٤٩

ويكتب آخران الفوضى تتفاقم في الاقطاع المسيحي فالشعب يحترق اميره ويطرد رجاله . المحررات السياسية ج ١ ص ١ . بينما يكتب شاسوان الاميرامين ارسلان يتمتع باحترام بالغ . . . هذا الاحترام والمحبة نحو اميرهم منح الدرّوز منعة وقوة عظيمة . G. Chasseaux, Druzes of the Lebanon pp. 372-374

وكتب شاهد عيان لا زعيم ، لا رئيس ، طانيوس شاهين لا ينظر اليه الشعب باحترام . وجاء في المباحث الاجتماعية كيف تشتت الخازنيون وقبع آل حبيش وغيرهم في دورهم في ذلة واستكانة مباحث اجتماعية ص ٢٠١  
 ١٧٨ مخطوطة كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام " ص ٥



في ثورتهم الوطنية ، ضد العائلة الخازنية ، ولم يتنبهوا للدهاية الدهماء ، والمصيبة العمداء ، التي بها كانت الاعداء ، تستنيط الحيل لايقاع الضرر في العموم ، وترى ظمأها من اوراق الدموع ، الى ان تمت استعدادتهم وكملت حيلهم ومكائدهم وتذججوا بأسلحتهم \* (١٢٩)

وظهور هذه الثورة في الاقطاع المسيحي وضد اعيان المسيحيين ما يبعد عنها اية نكرة طائفية بل ظهرت في معقد المارونية نفسها في كسروان وضد حماة المسيحيين بالامس واعرق عائلة بينهم واكثرها نفوذا ، ثم امتد لهيب الثورة الى الاقطاع الدرزي ، وبما ان اكثرية الفلاحين مسيحيين لوئها الاقطاع باللون الطائفي (١٨٠) دفاعا عن النفس كما مر وتشيويها لمبادئها واحباط مساعيها والواقع ان الخلاف اضطر بين عامة المسيحيين والاقطاع الدرزي ، فلانقطاع المسيحي وقف بعيدا عنها بعد ان تحولت الى فتنة طائفية ، كما ان عامة الدرز لم تتأثر بها وهي في دورها "الطبيقي" اولا ، لمثانة النظام الاقطاعي الدرزي وقلة العاملين منهم في الزراعة او المقتنين كما مر . ولكن سرعان ما تحولت الى فتنة طائفية حتى انغمست فيها جميع الطبقات الدرزية ، وان صح ما كتبه قنصل فرنسا عن بيروت مسيو بوجاد (١٨١) بان طبقة العامة الدرزية دفعت اليها دفعا في مستهل امرها ، ولكن ما لبثت ان تحولت الى فتنة عمياء تستمد وقودها من حقايد الماضي وضغائنه ، ولهيبها من وهج التعصب المجاور ، واشتدادها ممن يتقنون اللعب بالنيران لتحقيق مآربهم وقد عودنا المسؤولون في الشرق ان استعصت المعضلة ، لوئرها بالطائفية ، كما يفعل الاتراك ساداتهم ، واحتما وراء رعاي الشعب ، او كما يقول بعض العلماء ، ان اشكل الحل عليهم قالوا الله اعلم !

١٢٩ - المحتوي - المصدر نفسه ص ٢٥٣

George Antonius, The Arab Awakening.  
(London. 1945) p. 57.

- ١٨٠ -

E. Poujade, op.cit., p. 245

- ١٨١ -

كتب اهل زحلة الى المسيو بوجاد قنصل فرنسا في بيروت "يؤخذ من الانادات التي تلقيناها ما يثبت ان الدرز لم يأتوا لمحاربتنا الا مكرهين من اصحاب الاقطاع فانهم يجبرونهم على ذلك بضرب العصي . ولا مرا ، ان لبنان لا يتمتع بالراحة ما دام لزعمائه امتيازات ومعافيات كان يمنحهم اياها امير الجبل ، من الممكن عقد صلح بين فلاحين الدرز والمسيحيين وانما يتعذر ذلك مع زعمائهم الذين يريدون حفظ امتيازاتهم وسلطتهم على اخواننا وهذا مما لا نرضاه ."

خامسا - تأثير اشتداد الازمة الشرقية والتدخل الاجنبي ٥

### حالة الذميين عامة

وكان الذميون عامة والمسيحيون خاصة يتمتعون بفضل نظام الملل بنوع من العدالة وينسب من الحرية كحرية المعتقد ، وحرية ادارة مصالحهم الشخصية من معابد ومعاهد واحوالهم الشخصية كأمور الزواج والوفاة والارث ، وفي الواقع في معظم الامور التي لا تمس الامن العام او لها علاقة مع المسلمين ، او مع اعداء المسلمين في الغرب ، ( ١٨٢ ) وكانوا الى هذا يسيطرون على معظم موانئ البلاد الاقتصادية ( ١٨٣ ) وكانوا اصحاب الحرف والمهن لمعرفتهم بعض مبادئ العلوم ولاستكاف الاتراك منها واشغالهم بالجندية ( ١٨٤ )

وكان الاجانب منهم يتمتعون بفضل الامتيازات بما لا يتمتع به المواطنون فكانت الامتيازات الاجنبية اشبه بنوع آخر من " الملل الاقتصادية " ( ١٨٥ ) وكما قال احدهم ساخرا لو ان الاتراك اقتبسوا الاساليب الاروية في هذه الناحية منذ القرن السادس عشر لصفيت مشكلة الاقليات واختفت باختفائهم من الوجود ، فكانت

---

١٨٢ - والواقع كما مر سابقا كلما احتك الغرب بالشرق " انتقم المسلمون لانفسهم من الذميين " . جاك تاجر ، المصدر نفسه ص ١٧٨

١٨٣ - كالاقياط في الدوائر المالية في مصر واليهود في سوريا قال مشاقه ، كان الباشا في دمشق اشبه بماسك قرون البقرة واليهود يأكلون حليبها ، الجواب على اقتراح الاحباب ص ٦٨

١٨٤ - كان الاتراك مثلا ، حكاما وجنودا ، واليونان رجال التجارة والبحر ، ومنهم ممثلون سياسيون للخارج ، الارمن صيارفة ، الالبان حراس ، البلغار خياطون ،

R. Davison, op. cit., p.49

M. Ramsey, In regions of Turkey during Twelve Years Wandering, (London, 1897) p.22

١٨٥ - كان الاجانب مثلا يدفعون ضريبة جمرك ٢/١ بينما تدفع الرعايا ٥/١ - ١٠/١

W. Eton, op. cit., p.56.

هذه الاقليات في بعض الاوقات اسعد حظا واكثر حرية من مثيلاتها في الغرب (١٨٦) مما حمل بعض المؤرخين على القول ان الاتراك اول دولة حديثة اعترفت ومارست حرية المعتقد (١٨٧) ولكن اهم ما كانت تفتقر اليه هذه الاقليات ليس حرية المعتقد فحسب - والعز قد يظهر او يبطن من المعتقدات ما يشاء - بل حرية الحياة والعيش والتمتع بها ، بل روح المساواة والكرامة الانسانية التي لم تنعم بها شرعيا على الاقل يوما واحدا ، (١٨٨) اذا كانت تعتبر قانونيا وعلميا غريبة عن حياة الاكثرية محتقرة شرعا تعين على هاض الحياة ، وهي الى ذلك وما حولها من

١٨٦ - "I have heard Turks express ironical regret that they did not westernize in the 16th Century. If they had followed our example then, they would have no minorities to bother them to-day. It is undoubtedly true that down to the latter part of the seventeenth Century the Middle East had the more tolerant traditions toward alien subjects; and this was of Eastern derivation". "The introduction of the Western formula among these people has therefore resulted in Massacre" Arnold Toynbee, the Western Question in Greece and Turkey. A study in the Contact of civilization, (Edinburgh, 1923) pp. 267, 16, H. Gibbon, op.cit., p. 81:

١٨٧ - ومع ما اتصف به عهد محمد على بانط بالتسامح ورغم اعتراف الباشا بفضل المسيحيين ١٨٨ - الاروبيين على نهضتهم ، فالمسيحيون لم يكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فقد حث الباشا الكولونيل "سيف" على اعتناق الاسلام ليتسنى له قيادة الجيش ، جاك تاجر ، المصدر نفسه ص ٢٣٤ .  
ويقابل فشر بين فظائع الثورة اليونانية مع خسائر اليونان وبين ما تمتع به اليونان من رخاء مادي ومركز تجاري مرموق ويقول ولكن ما قبيحة هذه كلها ازاء الحياة والشرف المعرضين دائما للامتهان والاطار .

H. Fisher, A History of Europe, (London, 1945) p. 883

ويعلق لويس فارلي اهمية كبرى على العنصر الاجتماعي الديني في المسألة الشرقية فيقول "ان الفلاح الذي تغتصب املاكه لانه مسيحي ، وتغتصب امرأته وابنته ، ويقتل ابنه لانه دافع عن شرفهما ، ولا تقبل شهادته للسبب نفسه ، هذا العاثر لا يهيمه من الظالم بل مصدره ، وجاء من اختطف ابنة مسيحية واقنعها باعتناق الاسلام يعنى من الخدمة العسكرية .

Lewis Farley, Turks and Christians, a solution of the Eastern Question; (London, 1871) p. 1.

الأكثية بحاجة ماسة للتفتح والانطلاق فقد كانت انشبه بمجتمعات مغلقة تدور حول نفسها . بل هي على عهد اوزمة الأكثية الحاكمة او انشبه بخادم يعمل باتفاق وتعهد ولكن شروطه موجبة للطرف الاضعف ، قال يوليوس رتشر " وعموما طالما المسيحيون راضون بهذا التمييز بين الملل فهم في امان وخير ولكن اذا ما حاولوا التحرر من تلقاء انفسهم او بعداخرة خارجية اصبحوا خارجين على الذمة والعهد وعرضة للمخاطر " ( ١٨٩ )

ولكن هذه الاقليات اصبحت لا ترضى ولا تقنع بما فرض عليها من اوضاع بعد ان تأثرت بالنزعة القومية السائدة في القرن التاسع عشر وتنسجت روح الثورة الفرنسية وارتشفت بعض مناهل الحضارة الغربية التي تعتبر حرية الفرد وحياة الفرد وكرامته هي القياس . وما زاد الامر تجسسا هو انه بارتشافها واقتباسها بعض فظاهر الحضارة الأوروبية ، ارتفعت الحواجز بينها وبين الأكثية وازدادت شدة الاختلاف في وضعها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وشدت بقوة الغرب وبطشه وتقدمه فانعكست الآية ( ١٩٠ ) واصبحت الاقليات تنظر الى الأكثية الحاكمة نظرة الازدراء والشتماء ، فاخذت تتحين الفرص للانتفاخ وتبتهج لاي تدخل اجنبي لعله يخفف من وطأة ظروفها . ولقد اتاحت لها الظروف ما تشتهيه بظهور عوامل مستجدة اخذت تبرز بعنف منذ اوائل القرن التاسع عشر ، وكان من اشدها تأثيرا هو ما اصدره السلاطين من خطوط شريفة وهمايونية تؤيد حتى الاقليات في المساواة وتكثف عن فداحة الغبن والتحيز الذي تعانيه ، وتحاول الغاء هذه الحواجز الاجتماعية بين الملل ( ١٩١ ) ، وكان اهم اهداف هذه التنظيمات والاصلاحات تقوية الدولة لمجابهة الاخطار المحيطة بها .

---

J. Ritcher, op.cit., p.60

- ١٨٩ -

١٩٠ - وكتب الجبرتي اثناء حملة نابليون " تناولت النصارى من القبط والنصارى الشوام علي المسلمين بالمسب والضرب ونالوا منهم اغراضهم واضهروا حقدهم ولم يبقوا للصالح مكانا وصرخوا بانقضاء ملة الاسلام وايام الموحدين عهد الرحمن بن حسن الجبرتي ج ٣ ص ١١٣

عجائب الانار في التراجم والاخبار ( القاهرة ١٢٢٢ هـ ) ج ٢ ص ١١٣

١٩١ - Ed.Engelhardt; La Turquie et Tanzimat,ou Histoire des reformes dans l'empire Ottoman depuis 1826 jusqu, a nos jours, (Paris,1882,pp.3;36,139)

وكان من جراء هذه المحاولات للإصلاح ان برزت للعيان ظاهرتان خطيرتان الاولى ارتفاع موجة التعصب بين عامة الشعب ارتفاعا قل مثيله في مراحل العهد العثماني السابقة ( ١٩٢ ) فتعرس المسيحيون لاضطهادات متنوعة في معظم اجزاء الامبراطورية ( ١٩٣ )

والظاهرة الثانية اشتراك بعض رجال الدولة المسؤولين باذكار روح التعصب هذا وانغماسهم في الفتن والمذابح ، اما تغطية لغسلهم وضعفهم فاستنجدوا بغوغائية الشعب ، واما انتقاما للتدخل الاربوي ، وتعتقد بعض المصادر بانها كانت خطا مدبوة من قبل حزب رجعي تشرف عليه شخصية كبيرة في البلاط وتسندة فئة من كبار رجال الدين وما حولهم من هيئات متعصبة كال دراويش وامثالهم ( ١٩٤ )

---

١٩٢ - قال مادن ولاجبال مضت لم تحتاج الاستانة موجة من التعصب كالتى برزت طيلة حرب القرم بل روسيا نفسها اعلنت ما يشبه الجهاد الديني بان الاسلام والكثاكة والبروتستنتية تألبت جميعها على الارثوذكسية .

١٩٣ - يلاحظ احدهم كثرة المذابح في القرن التاسع عشر مثلا ، كيوس ١٨٢٢ ، كودستان سنة ١٨٤٥ ، لبنان ١٨٦٠ ، هرزيكوفينا ١٨٧٥ ، ارمينا ١٨٩٤ .

١٩٤ - بروى احدهم ان السلطان محمود الثاني كان يتردد احيانا على ضريح والده فسمع مرة صوتا من القبر يقول انا احترق ! انا احترق ! ولما سأل عن مصدر الصوت ومعناه ، قال له احد رجال الدين انه صوت والدك يا مولاي الذى يتألم ويحترق في لظى جهنم لاكتنازك من البدع والاصلاحات ، فامر السلطان بنين الضريح ، فعارض العلماء لكرامة الميت ، ولكن السلطان الح و امر بذلك واذا في الضريح درويش مخبي ، ليردد ذلك الصوت ، فضحك السلطان و امر ان يضعوا الدرويش في كيس ويلقيه في البحر لاطفا لهيب احتراقه .

Anonymous, The Ottoman Empire, p.225

ويروى فارلي انه عندما حاول السلطان محمود ان يقطع جسرا اعترضه درويش يدعى الشيخ ستانلي فاخذ بزمام الحصان وصرخ في وجه السلطان ايها البادشاه "الغيور" الم تشيع من البدع والمكاريه ؟ انك تهدم اركان الدين وستحل عليك لعنة النبي . . . فاندهل السلطان من جرأته فقال احد رجال حاشيته انه مجنون . . . فصرخ لست مجنونا بل السلطان واعوانه . . . ففتك به الجند .

L. Farley, Turks and Christians . . . , p.159

وشعر ممثلو الدول الاجنبية بقرب هبوب العاصفة فشرعوا يطلقون الانذار من مختلف مدن سوريا الرئيسية تلو الانذار . ندرج هنا بعضها للدلالة على الخطر الشامل ، ولاعتقاد بعض المؤرخين بان النيران التي اندلعت السنيتها فيما بعد في لبنان لم تكن الا امتدادا وتجاوبا لنيران الحقد المضطربة حوله . روى لويس فارلي انه بعد صدور الخط الهمايوني عام ١٨٥٦ حاول المسيحيون التصرف بموجبه فثار الاتراك وهاجموا كنيسة اثناء القداس وعلقوا كلبا ميتا على المذبح ولبيه هذه العبارة هذا هو الخط الهمايوني ايها المسيحيون ( ١٩٥ )

من حيفا وكتب نائب قنصل بريطانيا عن حيفا الى دولته يظهر ان رجلا بروتستنتيا فتح بيته مساء لاجتماعات دينية فكان يحضر هذه الاجتماعات رجل مسلم فعلم القاضي الشيخ امين وهذا الياس صفوري ( صاحب البيت ) بان كل مسلم يعتنق المسيحية يقتل وتقع تبعة قتله على من افسده فقابلت القاضي وذكرته بمنصور السلطان بحرية الاديان ، فاجابني بكل سخرية ان السلطان يأكل بطيخ اصفر ، وهي عبارة عامية للسخرية والاحتقار \* ( ١٩٦ )

من القدس وفي ٨ تموز ١٨٥٨ كتب قنصل بريطانيا منها ٥٠٠ مشيرا الى خطورة مظاهرات الدراويش عرايا ونفوذهم باثارة روح التعصب ٥٠٠ وروى عن احد مكاري الجمال الذين ينتقلون بين اريحا والقدس قائلا ان هذه البلاد لم تبقى ملكا للسلطان لخروجه عن الدين ومنحه امتيازات للذمين وعليه لابد للسيوف من ان تدنس بدم المسيحيين ( ١٩٧ ) ٥٠٠ لقد انزلت عدة اهانات في بعض العائلات المسيحية القاطنة في قرى نابلس ٥٠٠ وقد دمرت قريتان مسيحيتان من اساسها ٥٠٠ وهذا العمل زادني رسوخا في صحة نسبة قلاقل نابلس الى وجود روح كره للمسيحيين ٥٠٠ ان حالة المسيحيين ازدادت سوءا منذ انتهاء الحرب الروسية ( ١٩٨ )

من بيروت ومن قنصل بريطانيا لدولته في ٢٢ تموز ١٨٥٨ قال ٥٠٠ ان المدن التي معظم سكانها مسيحيون مطمئنة نوعا بالنسبة للمدن الكبيرة في داخل البلاد كدمشق وحلب ، واما المدن التي تقع على شاطئ المتوسط فهي عرضة في كل آن لهجوم المسلمين على المسيحيين والاوربيين المقيمين بها ونظرا لهذه الحالة أسأل

بالحاج ان ترسل بعض البوائى الانكليزية ٠٠٠ فوجود هذه البوائى من شأنه ان يكبح جماح التعصب الاسلامى \* (١٩٩)

من دمشق

وكتب زميله من دمشق في ٢ آب سنة ١٨٥٨ يصف ارتياح المسلمين لقتل قنصلي بريطانيا وفرنسا في مدينة جدة ، لكونهما كافرين ، يدنسان مدينة مقدسة ، ويرى ان حالة البلاد تعسة جدا ، فاذا لم تتغير طريفة للحكم فلا مناص من امرين اما فوضى واما ثورة كبيرة ( ٢٠٠ )

علاقة دمشق بحدوث لبنان

ويظهر من معظم اقوال الباحثين ان شرارات الفتن كانت تتطاير نحو لبنان ، من لهيب التعصب المتقد في دمشق ، بمعرفة وتشجيع حزب تركي رجعي في الاستانة وتأثير الدراويش ويتضح ان هذا الحزب نشط منذ صدور الخط الشريف ( ٢٠١ ) كتب هنرى غير ان مدينة دمشق ومدن الشاطئ تنظر الى الجبل نظرة بغیضة رغم انه كان في اوقات عديدة ملجأ لاهلها ، فمن دمشق انطلقت الشرارة الاولى وكانت سبب الفتنة التي حدثت مؤخرا في لبنان ، تطاير ذلك القيس من سراى نجيب باشا فالتهمت نيرانه لبنان ( ٢٠٢ ) وجاء في مخطوطة في الجامعة الامبركية يؤيد كاتبها هذا القول \* وقد هجم العريان على زحلة بعسكر نجيب باشا فظهر للنصارى ان نجيب باشا موافق لدى الدررز لكون شبلي العريان متعينا في خدمته ( ٢٠٣ ) وينقل اسماعيل عن الوثائق القنصلية الافرنسية في بيروت خبرا مفاده ان رجلا بلجيكيًا قدم دمشق عام ١٨٤١ لطلب عمل وقابل الباشا آنذاك فصرح له الباشا ان سياسة معظم رجال الديوان السلطاني وعلى راسهم رؤوف باشا يفكرون بجعل لوريا مركزا وقوة للبعث الاسلامي . ويعلق اسماعيل قائلا ويظهر ان هذه الفكرة تبناها الاتراك منذ منتصف القرن التاسع عشر ( ٢٠٤ )

- ١٩٩

- ٢٠٠

٢٠١ - وقيل ان عبد المجيد اقام حفلة بهذه المناسبة فحدث انفجار هائل في مكان قريب فاطفأت الانوار وخاف الجميع واذا بصوت يهمس ، باللغة الافرنسية مرددا ما جاء في سفر دانيال النبي " منا منا ، ثقل وفرسين " .

R. Davison, op.cit., p.4

H. Guys, op.cit., II, p.150 - ٢٠٢

٢٠٣ - مخطوطة رقم ٥٢٨ يعتقد بان الاب فاخوري كاتبها .

A. Ismail, op.cit., IV, p.8 - ٢٠٤

ويروي الدكتور مشاققة انه كثيرا ما تردد على دمشق لمراجعة سليمان افندي باشغال تتعلق بامراء شهاب ، وانه بعد حادثة بعقلين ١٨٤١ سأل سليمان افندي عن الحادثة فاخبره . . . وبعد ايام تكاثر عدد الدررز بالشام واستمر ونودهم اليها . . . وصدف الدكتور مشاققة ان سمع سليمان افندي يكلم وجيها درزيا . . . وشاهد الشيخ قاسم القاضي قادمين ديرا القمر فاقام اياما في الشام وقد اصحبه نجيب باشا بكمية كبيرة من الرصاص . . . وهذه ادلة قاطعة على دسيمة الاتراك ( ٢٠٥ ) وفي مكان آخر يقول الدكتور مشاققة وبدأت غيوم العداء تتجمع في لبنان الشرقي وتمتد منه الى الغرب . ( ٢٠٦ ) ويقول كارنارفون ( ٢٠٧ ) ان الفتنة في لبنان هي لفحة من لفحات حركة التعصب التي عمت الشرق ( ٢٠٨ ) .

---

٢٠٥ - مشاققة ، مشهد العيان ص ١٤٦

٢٠٦ - المصدر نفسه ص ١٥٦

H. Carnavon, op.cit., p.113

٢٠٧ -

٢٠٨ - ويظهر ان الحكومة كانت تشجع اثاره روح التعصب وجا في احدى المخطوطات " وفي هذه الاثناء بعد صدور الخط الهمايوني كانت الدولة تلزم النصارى بدق الاجراس فكانت الاسلام تزداد بغضا . . . ثم يذكر كيف ان النصارى فرحوا بذلك كما يفرح الطفل بخشخاشه ولكن بدون ان يعرفوا مقصد الدولة ويقول " ثم انه من ظروف حوادث هذه السنة ( سنة الستين ) يظهر ان تلك الافعال هي مقصد الدولة ولو ان المسلمين لو تركوا لذواتهم لما قاموا . . . وكان كلا الفريقين متداخلين في المعاملات مع بعضهم في البيع والشركات والصناعات . . . مخطوطة من مكتبة اليسوعية رقم ٦٦ ص ٢٠



## الفصل الرابع

تفاعل وتضافر العوامل السابقة لاثارة الفتنة ، بؤادر الفتنة .

### اولا - تعديل نظرة الاتراك في الوضع اللبناني

لكن تحرش الاتراك بلبنان سابقا فقد كان تحرشهم تدخلا داخليا ، بدافع شخصي او لموح غردى ، قام به احد الولاة ، ولكن سرعان ما استهل القرن التاسع عشر وتغيرت الاوضاع في لبنان ، بتأثير الحوادث والعوامل السابقة ، حتى اصبحت الاستانة نفسها تعير الجبل اهتماما ملحوظا ، بل ان الظروف حتمت على الاتراك اعادة النظر باوضاع الولايات عامة ولبنان خاصة ، والاسباب الموجبة لهذه النظرة الجديدة عديدة -

- اصبحت سياسة الاستانة ، بعد ثورة محمد علي باشا ، تتجه شطر المركزية ( ١ ) من جراء طموح بعض الولاة والتدخلات الاجنبية الحديثة ، وتحسين المواصلات .
- ( ثانيا ) - وكما انتقل النزاع في لبنان من الصعيد الحزبي القبلي الى الصعيد الدولي من جراء الحملة المصرية كذلك انتقل النزاع فيه من بين الامراء والولاة ، الى ما بين حكام الجبل واصحاب السلطة في العاصمة ، فاصبحت الاستانة مركز التوجيه فيه بعد ان كانت صيدا او عكا ، بل اصبحت الاستانة نفسها من جرائه مركزا للنشاط الدولي ( ٢ )
- ( ثالثا ) - ان الحملة المصرية كشفت عن اهمية لبنان من ناحيتين بارزتين على الاقل ، الاولى موقعه التراتيجي ، فهو بنظر بعض المؤرخين قلعة طبيعية تفوق قلعة عكا ، مناعة وقوة ( ٣ ) والناحية الثانية بسالة جنوده وشجاعة شعبه في الدور المهم الذي مثله اللبنانيون في حالتي تقدم الفاتح المصري وتراجعه .
- ( رابعا ) - ان معظم متاعب الامبراطورية في ذلك العصر ناجمة عن مشاكل المسيحيين وتدخلات الاجانب اما لتحسين اوضاعهم واما ذريعة للتغلغل وبسط النفوذ . وفي لبنان اكثرية مسيحية لها صلات معروفة مع الغرب وصلات مستجدة تنمو وتشتد ولا سيما بعد تنصر امرائه .
- ( خامسا ) - ان المنافسة الدولية في لبنان ومؤامرة امراء لبنان ، مع دول الغرب او

R. Davison, op. cit. p.12

- ١

٢ - ويعبر رستم باز عن هذا النشاط يقول الامير امين لابي الامير الكبير المنفي فيها " تريث مكانك ان اسطنبول صندوقه ومفاتيحه في لندن " المذكرات ص ١١٦ .

Aff.Etr. Turquie Cons. Beyrouth, T.III, Rapport de Bourée ٣ No.30.

(Quoted by A.Ismail, op.cit., p.7)

مع من يمت لهم بصلة سياسية ، على الكيان العثماني ، واجدت لتركيا المبررات  
لاإذاة النظر بوضعه الخاص او انتزاع بعض امتيازاته (٤) .

إذا أصبح لبنان يشكل خطراً على دولة الاتراك وأمنهم ، وقد برز هذا  
الخطر في فترتين حرجيتين في كليهما ، كان للبنان صلة او تحريض من الغرب ،  
وليس بعهد فخر الدين ببيعد عن الاذهان ( ٥ ) . بل من يدري ماذا حدث  
لوهب اللبنانيون لنجدة نابليون ؟ فحاصروا عكا ، وجمدوا جيوش الجزائر ، واطلقوا  
لنابليون حرية التصرف بجيشه ؟ لقد أصبح لبنان مصدر قلق ومتاعب على الأقل ،  
ولا سيما في عصر كثرت فيه ثورات الشعوب المسيحية ، وأصبحت أوروبا قوية يخشى  
بطشها ، وسهلت الاختراعات الحديثة وسائل النقل والمواصلات ، فما يستساغ في  
عصر فخر الدين الثاني لا يستساغ في عصر بشير الثاني ولا سيما والأمراء الحاكمون  
على مذهب أوروبا .

ولقد كان أكثر ما يزعج الاتراك ويقلقهم وضع لبنان الخاص وعلاقة الموارنة  
بالغرب ( ٦ ) . على ضوء هذه المعلومات نستطيع ان نستشف حركات الاتراك فيه ،

---

#### ٤ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٢٢

٥ - الفترة الأولى يوم فكر فخر الدين باستقلال لبنان بل تأمر مع الغرب على

السلطة العثمانية - قرألي ، فخر الدين الثاني ص ٣٥٠

فأنشأت الحكومة التركية ولاية صيدا لمراقبة الجبل ، مثال شبلي اوراق

لبنانية ج ٣ اذار ١٩٥٥ ص ١١١ والفترة الثانية في عهد الامير بشير

الثاني فأنشأت الحكومة ولاية بيروت لتشد يد المراقبة على الجبل .

الشدياق . المصدر نفسه ص ٦١٥

٦ - يذكر عادل اسماعيل تقلا عن بعض الوثائق الرسمية ان الاتراك كانوا منذ

زمن بعيد ، ينظرون للموارنة والكاثوليك نظرة الحذر والاحتراس نظراً

لعلاقتهم مع روما وفرنسا ، وكانوا احياناً يعاملون كرعايا للبابا او مثل الافرنج ،

وكثراً ما يضطهدون ليس لكونهم مسيحيين بل لانهم خاضعون لسلطة البابا

ولنفوذ الغرب اما سائر المسيحيين فقد كانوا بنجوة من هذا الاضطهاد .

A. Ismail, op.cit., I, p. 38.

ولكن مما يؤسف له ان جميع معلوماتنا مستقاة من مصادر غير تركية .

### محادثة الاتراك لالغاء الوضع اللبناني

كتب البارون دي تستا \* ومع انه يصعب على الباحث تحديد اسباب الفتنة لاختلاف الاجناس وكثرة الطوائف وانتشار الجهل وتفسد الفوضى . . . فان المسؤولية لتقع على كاهل الاتراك لتحيزهم للدروز وتخليبهم عن حماية الموارنة بل تجريدهم من السلاح وانهم منذ ١٨٤٠ وهم يهدفون لنسف الحكم الذاتي في لبنان \* (٧) وفي تقرير اللورد دونفرين ممثل بريطانيا العظمى في اللجنة الدولية المرسلة لبيروت للتحقيق في اسباب الفتنة ما يؤيد هذا فقال " بيد انه لم يبق ادنى ريب يحول دون نسبة المذابح الاخيرة الى استيلاء الحكومة التركية من الاستقلال النوعي للجبل . . . (٨) ولهذا كان الاتراك يغتنمون الفرصة لاثارة دفاين الاحقاد القديمة بين الدروز والموارنة ، ولما ازداد تعجرف المسيحيين وتعصبهم بقوة المساعدات الاجنبية التي فازوا بها ثقل على الاتراك احتمال وطأة استقلالهم فعقدوا العزيمة على اتخاذ الدروز وسيلة ليقعوا بهم . . . بيد انه ما حدث في حاصبيا وراشيا وديرقر قد جاء مجاوزا الحد المقصود لعدم توفر شروط اللياقة في خررشيد باشا واعوانه لانفاذ سياسة دهاء كهذه ، فانفطروا فيها بحيث افترض سرسياستهم وكان لها دوى هائل في الاندية الاروبية \* (٩)

وكتب كارنافون \* ومن خطط الاتراك لنسف استقلال الجبل الذاتي لعجزهم ان يتدخلوا مباشرة في شؤونه . ولاحظ المرسلون الاميركيون المعاصرون للحوادث " ان تركيا ارادت ان تقنع الاروبيين بعدم صلاحية المسيحيين واهليتهم للحكم الذاتي (١٠) ويستهل الكولونيل شوشل كتابه قائلا " ويتضح لجميع الاروبيين القاطنين في الامبراطورية العثمانية وللذين على اتصال يومي مع الاتراك ومراقبة مجرى السياسة الداخلية ، يتضح لهؤلاء ان المجازر التي حدثت في سوريا لم تكن الا نتيجة منطقية ، طبيعية ، لروح الحسد المتزايد من رعاياهم المسيحيين .

---

De Testa., op. cit., II, p.45

— ٧

Carnarvon; op.cit., p.118

— ٨

٩ — المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢

Missionary Herald, Aug., 1860

— ١٠

ولبنان في عرفهم نقطة للارتكاز الاجنبي ، ولازدياد الحقوق والمطالب المستجدة ، وربما تأسيس دولة مستقلة ذات نتائج خطيرة على العثمانيين (١١) بل ان العنصر المسيحي يعرفهم هو سرطان ينهش في " عروق امبواطوريتهم " ، وهذا هو مفتاح رموز السياسة التركية بكاملها ، اذا وعينا هذا سهل علينا فهم اعمالهم ، مهما رافقها من عنف او خروج عن الشهامة والعرف . (١٢)

وقد يكن شرشل غنيفا مغاليا بقوله ولكنه لا يخرج عن شعور اكثرية المصادر المعاصرة ، وشعور المسيحيين المعاصرين يؤيد مبدأ هذا القول " ذكر الدكتور مشاقة . وقد عاش الحوادث نفسها ، وضرب وجرح ولولا حماية احد كرام المسلمين له لقتل ، قال " وكثرت تشكيات القناصل من سوء تصرف الاتراك مع النصارى لذلك فكرت ان تقوض هذه الفئة من رعاياها وترج نفسها من مظايقة الدول لها من اجلهم . (١٣) ويرى عن احمد باشا انه قال " في سوريا مصيبتان المسيحيون والدروز فذبح اية فئة هو ربح للدولة العثمانية " (١٤)

والواقع انه رغم المصادمات التي وقعت بين الدروز والاتراك فالدروز يعرف الاتراك هم غصن في دوحه الاسلام ، وعندما هم بعضهم باعتناق المسيحية حال الاتراك دون ذلك .

واحمد باشا هذا هو اول من وجهت الاتهامات اليه في الحوادث المشؤومة ، ولعل افزع تهمة الصقت به ما نقله سفير بريطانيا في باريز مستر كولي الى اللورد رسل ، قال مسيو توفيل الى مستر كولي " انه تلقى منذ شهر اذار افادة مآلها ان احمد باشا والي دمشق ضرر استئصال شأفة مسيحي زحلة ودير القمر فذيل اليه ان هذه الدسياسة بعيدة عن التصديق لفظاعتها فلم يحتفل بها . ثم طلب دولته رسالة رفعها فنصل فونسا في بيروت اليه بتاريخ ٢٨ آذار المنصرم ينبئه بدسياسة احمد باشا فاحترت له ، فتلاها على مسامعي . وفي الحقيقة ان مضمونها يدعو الى الدهشة فانما ثبتت هذه التهمة على احمد باشا فلا يوجد عقاب يضارع جناياته " . (١٥)

---

C. Churchill, The Druzes and the Maronites....p.1 ١١  
Ibid., p.54

- ١٢ -

١٣ - مشاقة مشهد العيان ، المصدر نفسه ص ١٥٦

١٤ - Great Britain, Correspondence Relating to the Affairs of Syria ...., II, p.178

١٥ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٩١

وقد ذكر " فرنسوا له نورمان " وهو معاصر للحوادث ، هذه المؤامرة مفصلة وذكر جميع الاشخاص الذين حضروا الاجتماع في قصر احمد باشا في دمشق ومنهم شيخ الاسلام ٠٠٠ وأفتى عبد الله الحلبي بضرورة التخلص من المسيحيين وتقرر ان يباشر الدروز بالضربة الاولى ويقول له نورمان - هنا تقرر مصير المسيحيين " (١٦) وروى شارل اوبائل وهو شاهد عيان عن فتنه دمشق في تموز ١٨٦٠ ان المكيدة التي نصبها مسلمو دمشق المتعصبون لهلاك مسيحيي سوريا ، نصبت حبالها بمهارة فائقة ، اما خططهم فكان قوامها اباداة سكان لبنان الاشداء ليتسنى لهم ذبح اهالي المدن الضعفاء ٠٠٠ ففي ٨ تموز جاء جماعة من الاشرار بخمسة كلاب واطلقت عليهم اسماء ملوك المسيحيين الخمسة موقعي معاهدة ١٨٥٦ ٠٠٠ واخذوا يوقفون كل مسيحي يمر من هناك ويسيقون امامه الحيوانات فائلين هذا الامبراطور نابليون ٠٠٠ هذه الملكة فكتوريا ٠٠٠ (١٧)

---

"Le sort des chretiens de Syrie était décidé  
L. Denormant, op. cit., p.9

- ١٦

والدليل ان فؤاد باشا شمر بمسؤولية الاتراك في الامر فاعدم احمد باشا حاكم دمشق وثلاثة قواد برتبة كولونيل ، ونحو اربعين ضابطا من كبار الضباط .  
P. Madden, op. cit., II, p.355.

١٧ - المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٠٧

## ثانيا - هبوب العاصفة وبعض الاسباب المباشرة

### الهدوء قبل العاصفة

ويظهر لنا من مسير الحوادث ومنطوق المصادر ان لبنان تمتع بفترة هدوء نسبي كالذي يسبق العاصفة نحو عشر سنوات ١٨٤٦ - ١٨٥٦ بعد التنظيم الاداري الذي وضعه وزير خارجية تركيا شكيب افندي وعرف باسمه ، ومرجع بعض اسباب هذا الهدوء والاستقرار ليس للنظام الجديد وانما للعوامل التالية - (اولا) - التفاهم الافرنسي البريطاني وتحالفهما مع تركيا اثناء حرب القرم (١٨) (ثانيا) - وجود بعض شخصيات مسؤولة اتصفت بالحكمة والتبصر امثال سفير بريطانيا في الاستانة "السير سترايدفورد كنج" وهو باعتقاد تشرتل لو بقي منصبه لما تفاقم الامر الى هذا الحد (ثالثا) - تولى الحكم في لبنان رجاء من الطائفتين ، تكاد تجمع المصادر على حسن مزاياهما وما اتمفا به من الحكمة والاعتزان وهما الامير حيدر اللمعسي قائمقام المسيحيين ، والامير امين ارسلان قائمقام الدروز (١٩) . (رابعا) تولى السدة البشريكية المطران يوسف الخازن ، والخازنيون منذ عهد بعيد اصدقاء اوفياء لأعيان الدروز ولا سيما مشايخ آل جنبلاط ، (خامسا) - تقدم الامير بشير الثاني الكبير بالسن فحفت على ما يظهر الدعوة له والنشاط لرجوعه الى لبنان ولا سيما بعد ان ارتد نجله الامير امين الى الاسلام ، ولكن في السنوات الخمس السابقة للفتنة جرت بعض حوادث عالمية ومحلية اثرت الى حد كبير في تفاقم الخطب وتهدأه الجو لظهوره واهم هذه الحوادث والعوامل والتاسبات ما يلي -

### (اولا) - حرب القرم وفشل الاصلاحات

قال احد شهود العيان "وعلى اثر احداث حرب القرم كما مر ويتأثير ما اصدر السلاطين من "خطوط" وبيانات (٢٠) بصالح المسيحيين تكهرب الجو في جميع انحاء سوريا ضد المسيحيين واخذت الامور تنذر باخطر الخطوب واكفهر الافق ينذر بعاصفة هوجاء مقدمة للمأساة فان عمال الولايات المجاورة للبنان حركوا حقد المسلمين على المسيحيين لما اناهم الله من الثراء والامتيازات ، وعلى اثر فشل الاصلاحات الف الموارنة جمعية على غرار واسم الجمعية التي فيها الثوار في فرنسا ،

British Consular Files, Moore to Clarendon, — ١٨  
No.58, Nov/25, 1854. (Quoted by Kerr. op.cit., p.37. — ١٩

G.Chasseaux, op.cit. p.372f.. — ٢٠  
Ed. Engelhardt, op.cit., ١٥.36, 189

وقد اتهمت هذه الجمعية بتهم متنوعة وكان هدفها تحرير النصارى من رقة النظام العثماني ، وجاء في وثائق القنصلية الفرنسية في بيروت ان خورشيد باشا خاطب المطران طوميا قائلا اوقف نشاط الجمعية فاوقف حركات الدروز ( ٢١ ) وفي رسالة مور فنصل بريطانيا ما يشير الى هذه اللجنة فقال لي كاخية دولة الباشا " ان دولته ينسب الاضطرابات الحالية الى دسائس لجنة مسيحية مقيمة في بيروت قوامها بعض رعايا الحكومة والقسم الاخر بعض خماية الدولة الاجنبية " ( ٢٢ )

(ثانيا) - تولى خورشيد باشا الحكم في ولاية بيروت

وقد اتهم بعميله لنشر الدسائس وتهامله وتحامله على المسيحيين ، ولد حكمت عليه المحكمة الدولية بخمس يده بالجرائم ، والادلة على ان اكثر المذابح حدثت في الاماكن التي كان فيها الجند التركي وقد اتهمت المصادر اشتراك الجند في المعارك لصالح الدروز كما سيأتي بيانه في بؤادر الفتنة .

(ثالثا) - وفاة البطريك يوسف الخازن ١٨٥٤

وتولى المركز اول بطريك من عامة الشعب هو البطريك بولس مسعد وقد عرف بتعصبه الشديد وكرهه للاعيان وطمحه بالحكم وقد روى المطران يوسف الدبس في تاريخه المعروف تاريخ سوريا انه بعد وفاة البطريك يوسف حبيش ١٨٤٥ كان المطران بولس مسعد المرشح القوي لهذا المنصب ولكن العوامل محلية سياسية اسندت الكرسي البطريركية الى مطران من بيت الخازن .

---

A. Ismail op. cit., p. 535

٢٢ - المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠

Cette attitude passive de la Porte a l'égard des réformes poussa les Chrétiens profondément influencés par la révolution française, a préparer eux-mêmes leur libération. Ils organisèrent a cette fin "un comité appelé "Comité de Salut Public".  
Bibl. Saint-Joseph Beyrouth, MS: 66.35. Cassier, II, p. 28.

(رابعاً) - وفاة الامير حيدر اللامي القائمقام المسيحي سنة ١٨٥٤

وتشاء الظروف ان يتوفى الامير حيدر في السنة نفسها التي يتوفى فيها المطران الخازن ، وتولى الحكم بعده رجل اجمعت المصادر على سوء تصرفه وخلقه ، وبانه كان من المسؤولين الاولين عن تفاقم الحوادث ، وينسب اليه بعض القناصل يدا في فتنة الستين فكتب قنصل بريطانيا مور الى حكومته ان اكتشاف المؤامرة المعقودة بين شيعي جبل لبنان وفريق من الدرروز اشياح الامير بشير احمد وان الحكومة لا تنوى فصل القائمقام حتى يشتبك اللبنانيون في حرب اهلية ( ٢٣ ) وكتب اخر من الشائع ان الدرروز بجبل لبنان عقدوا عدة اجتماعات يقصد بها تهديد مسيحي دير القمر وزحله والعقول ان هذه الاجتماعات تمت برضى الامير بشير احمد انتقاما من اصدقاءه ( ٢٤ ) وكان على هذا "فظا فليظا" خيل للناس عند استلامه الحكم ان الامير بشير الكبير قد بعث من قبره" ( ٢٥ ) فاختلف مع مشايخ الخازن ( ٢٦ ) وعلق تشرشل على حوادث الستين فقال " ان امراء الموارنة وشيوخهم لم يخطوا الحدود لمساعدة ابنا طائفهم فالقائمقام المسيحي ارتضى وحاول منع بعض افراد اسوته من مساعدة المسيحيين ، واكثر الامراء الشيوخ المسيحيين تمنوا سرا انتصار الدرروز لان بانتصارهم انتصار الاقطاع . ان الميل الديمقراطية التي اظهرها الشعب وقضت على سلطة ال الخازن اهابت بالدرروز ان يقفوا منها موقف الحذر والعداء" . . . ثم قال ان اعداء الدرروز هم رجال الدين ، لا الارستقراطية ، لان الارستقراطية المسيحية لم تشتك قلبيا باية حركة ضدهم حتى ولا واحد من شيوخ الشمال تحرك لنجدة اخوانهم في الجنوب سوى واحد تقدم ثم جمد مكانه مبررا جموده وجبنه بتدخل القناصل " ( ٢٧ ) اشارة الى يوسف بك كوم ( ٢٨ ) ويتساءل البعض ما اذا

٢٣ - المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٤٣

٢٤ - المصدر نفسه ص ٥٠

٢٥ - الحقيقي ، المصدر نفسه ص ٤٥

٢٦ - يرجع بعض المؤرخين الخلاف بين الامراء اللاميين والبخازنيين الى عام

١٧١١ الشهابي المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٠

٢٧ - C.Churchill, The Druzes and the Maronites..., p.178

٢٨ - تنفي الوثائق الفرنسية ان القنصل الافرنسي اومر لكرم بالوقوف بل نذكر ان

القنصل الافرنسي عاتب "كرم" بما نقله عن لسانه . ونعتقد ان "كرم" لم

يتقدم تزلفا للاتراك -



كان يصح اتهام المشايخ الخازنيين بتدبير فتنة الستين للقضاء على جمهورية طانيوس شاهين (٢٩) وذكر الاب خانجيان انه سرت اشاعة "بان المشايخ سيكون مؤشدين للعساكر انتقاما من طانيوس شاهين" (٣٠)

ويقول جويلان لغايات مكافيلية انتخب العثمانيون الامير بشير احمد اللمعي قائما وكان دساسا مفسدا ، كان درزيا ثم اصبحت مسلما ثم تزوج ابنة الامير حيدر واستقر في الكتلكة (٣١) وبيتهم صاحب حسر اللثام بانه كان اله صا "يحركها الاتراك وجاسوسا لتنفيذ مآرهم " وكان هذا الامير من اول المحركين عرقل لقل ١٨٦٠ عملا بالاوامر السرية التي كانت ترد اليه من الاتراك ولا يفقه معناها (٣٢)  
(خامسا) - فرور الموارنة رغم انقسامهم على انفسهم

وكان من اهم نتائج الثورة الشعبية انها اضعفت موقف المسيحيين كثيرا ، وفرقتهم احزابا وشيعا ، فتبلبلت صفوفهم وشجعت الدروز على مهاجمتهم ، وبأسف صاحب مخطوطة "كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام " رغم كثرة عددهم لم ينجحوا لانقساماتهم بل كان منهم من ينقل الاخبار للدروز ويدس على اخوانه (٣٣) وذكر ريشارد ادوارد (٣٤) واضع كتاب سوريا ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ص ١٣٠ انه علم من مصدر يوثق بصحته ان الامراء الدروز ومشايعهم عرضوا على مشايخ الخازنيين مساعدتهم على التكنيل باهل كسروان فرفضوا (٣٥) ورغم هذه الانقسامات بين صفوفهم اكتروا من الاجتماعات وكانت الاسلحة ترسل الى الفريقين بكثرة ، (٣٦) ودفع الضرر بطانيوس شاهين ان يتحدى الدولة فانذر بلدة جبيل برفض اوامر الدولة واعلن ان لديه "بيولردي" من سبع دول بتحرير جميع المسيحيين (٣٧) .

---

٢٩ - العقيقي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٣

٣٠ - خانجيان ، المصدر نفسه ص ٢٠

٣١ - M. Jouplain, *op.cit.* p.371

٣٢ -

٣٣ - حسر اللثام ص ١٥٥

٣٤ - كتاب الاحزان " مخطوطة " ص ٥

٣٥ - المحررات السياسية المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٥١ في الهامش وبينما كانت بوادر الحركة الثانية ظاهرة كانت اسرنا حبش ودحواج في نزاع دائم توشكان ان تتقاتلها

٣٦ - المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٣

٣٧ - H. Jessup. *op.cit.* , I, 163

٣٨ - المحررات السياسية ج ٢ ص ١٢

وازداد غرور الموارنة من جراء الثراء الذي كسبوه اثناء السنوات العشر السابقة وجاء في احدى المخطوطات \* ثم ان النصارى بوجه العموم كان لهم تقدم ونجاح عالمي ، بالنظر العمهارةم ومعارفهم ، قد حصل له في هذا العصر وسايط التقدم . . . وايضا سبب مداخلتهم مع الافرنج قد تعلموا من المتجر . . . ولوان ليس لهم اراضي واملاك المسلمين فكانت تزدهر دورهم وتتلطف امتعتهم وكانوا يلبسون الكسم والالوان الذي ارادوه ولم يكن لهم موجب للتظاهر بالفقر بل عكس ذلك كان فقيرهم يتظاهر بخلاف حاله فقد اثر ذلك على المسلمين كما اثر على الدرزي فكان كل من المسلمين والدرزي ينظر اليهم بعين الحسد وطلب السلب حتدا كثيرا ما كان يقول الدرزي والدرزية للنصرانية " ان شاء الله يكون ذلك نصيب لنا " ( ٣٨ )

ويروى تشرشل كيف ان دير القمر وقد كانت قرية بسيطة اصبحت مدينة تعد نحو ثمانية الاف نسمة جلهم من النصارى وقد ازدهرت تجارتهم اياها ازدهار فظهرت نساؤهن يسرن الخيلا في الشوارع يوفلن بالحلي والحرائر واختفى النفوذ الدرزي فيها او كاد فلا ترى منهم الا الحطابين والخدم . . . وبعد ان كانت لاير القمر من املك بيت نكد طردوا منها وتولى شؤونها الاتراك . . . ورغب احد زعماء بيت نكد ان يبني قصر له في ضواحي دير القمر فمانع النصارى وهددوا بهدمه ان بنى ، فاضمر لهم الشر قائلا اني سوف ابني اساس بيتي بجماجم هؤلاء الكلاب ( ٣٩ )

( سابعا ) - حقد الدرزي وتحيز الاتراك لهم

ومنذ الحركة الاولى والحركة الثانية والاتراك في معظم الظروف الحرجة على الاخص يساندون الدرزي اما سرا واما علنا ، ففي الفتنة الاولى اعلن الدرزي ان التعويضات يجب ان يدفعها الاتراك وان الاتراك اقتصبوا الحصة الكبرى من المنهوبات بل لم يبق موظف كبير في سوريا لم يدفع له الدرزي رشوة حتى الوزراء ، ودفع الدرزي للاتراك لقاء مساعدتهم اوغض الطرف عنهم نحو ٣٠٠ الف ليرة عثمانية ( ٤٠ ) وهدد

٣٨ - مخطوطة في اليسوعية رقم ٦٦ ص ٢٨

٣٩ - O. Dhro'ill, The Maronites and the Khalifat, pp. 105, 107.

٤٠ - O. Dhro'ill, The Maronites and the Khalifat, cit., p. 70.

الدروز بنشر الاتفاقية السرية التي كانت بينهم وبين الاتراك ( ٤١ ) وتبت وثائق القنصلية  
الفرنسية في بيروت ما ذكره تشرشل اعلاه بل تذكر بالتفصيل ما قبضته الشخصيات  
الكبيرة التركية منها ( ٤٢ ) .

وفي شتاء ١٨٥٩ - ١٨٦٠ اخذ الدروز يعقدون الاجتماعات السرية وبعضها  
يوميا في بيروت ( ٤٣ ) وكثرت اتصالات بعض زعماء الدروز مع الاتراك في صيدا وبيروت  
وسواها .

ومن الادلة على تأثير الاحقاد القديمة والضغائن الدفينة ما رواه المرسل الاميركي  
مستر جيب قال كنت مصطافا في احدى قرى لبنان الامنة وابتدأت الحوادث فاخشيت  
فقال لي احد الاصدقاء الدروز لا تخف هلن يحدث شي في هذه القرية وفي  
صباح اليوم الثاني سمعت طلعا ناريا قريبا مني صرع به احد الانجليين الوطنيين  
من اتباعنا فاستغربت الامر فقلت لي لقد ثبت لنا ان هذا الرجل قتل درزيا اثنا  
الفترة الثانية عام ١٩٤٥ .

ومن الاشخاص الذين لعبوا دورا خطيرا في الحوادث قاسم بك وهو كما وصفه  
"مادن" من الذين كانوا في خدمة سعيد بك جنبلاطه فهو منذ الربيع ( ١٨٦٠ )  
استقر في مكان قريب من صيدا واخذ يكثر من الاجتماعات السرية مع حاكم صيدا ( ٤٤ )  
ويثير الاضطرابات ويقوم ببعض اعمال النهب والقتل .

#### رجال الدين الدرزي والحوادث

ولم يعف ابو شقرا رجال الدين الدرزي من مسؤولية التحريض بل نسب اليهم  
افضل مذبحه في رأيه فقال " وكانت حادثة مشؤومة لم يسبق لها نظير في تاريخ  
لبنان ... اما الباعث على تلك الفادحة الوطنية الهائلة فرجلان من وجوه عامة الدروز  
كانا نافذى الكلمة في قومها مشهورين بالبطش والفتك في الوقائع والغارات وهما مصطفى

٤١ - حسر اللثام ، المصدر نفسه ص ١٢٠

٤٢ - قبض سليم باشا ٦٠٠٠ كيس وسرعسكر مصطفى ١٦٠٠ كيسا رشيد باشا الف كيس  
عزت باشا ٤٠٠ كيس (الكيس ٥٠٠ غوشا) Deproullé, L., *Le pays de Druze*,  
Is. 2 du 11 Nov. 1913; note by A. Lichard, *op. cit.*, p. 335.

٤٣ - C. Churchill, *The Druzes in the Lebanon*, p. 122

٤٤ - R. Madden, *op. cit.*, I; p. 266 f.  
*Ibid.*, p. 283.

دويك وسليمان احمد الصمد اللذان اخذا يزيناك ذلك للدروز الراجعين من زحل ٠٠ ساعدهما فصاحة لسانيهما ٠٠٠ ولا سيما هما من الشيوخ المعترف لهما بطول الباع في العلوم الدينية ثم يقول ان معظم الشرور هي نتيجة اعمال من يتظاهرون بظواهر الخير ومدعي الديانات تعتذى العامة حذوة \* (٤٥)

قلنا ومن جهة اخرى كانت في قلوب الدروز حزازات تغلي مواجلها انتقاما من اهالي الدير ٠٠٠ حتى ما خلت قرية او عائلة لم يكن لها ثار عندهم \* (٤٦)

### (ثامنا) - انتشار الفوضى

وبانتقام المسيحيين على انفسهم انتشرت الفوضى في الاقطاع المسيحي على الاخص ، ويصف المحتوي هذه الفوضى وصفا مسهبيا وهو بدون الحوادث بموجب تاريخها سنة فسنة قال " وفيها (١٨٥٦) قدم الكولونيل تشرشل بك الى جونيه قصد تغيير الهواء في فصل الصيف ، واخذ يقوى التعصب ضد الامير ، ويدرب خصمه ، وكان اكثر هؤلاء مجارة له الشيخ اسد ابراهيم الخازن ٠٠٠ وسنة ١٨٥٧ تلقى السنيورادمون دلمبس قنصل فرنسا في بيروت ، فرمانا من حكومته بانه رقي الى درجة قنصل عام في لبنان وسوريا ، فسر القائمقام لان القنصل كان له سنداء وراح الامير يغلظ المعاملة لخصومة حتى اشتدت الحركة ضده وكر الهياج عليه ، فزال وقار الحكومة وعصاها الجبهة . وفيها حدثت مخاصمة عنيفة في زحل بين بيت المعلوف وبيت ابي خاطر فقتل ستة اشخاص ٠٠٠ وفي قونايك بين بيت الاعور وبيت هلال قتل فيها عشرون شخصا ، وتشاجر اهل اهدن وبشري وتراموا بالرصاص فقتل ٢٢ شخصا ثم ان صالح شهوان قتل اباه واخاه بالرصاص ٠٠٠ وبعد ان يذكر عدة حوادث من هذا النوع يقول " وصفوه القول ان القلم ليعجز عن تفصيل ما جرى من الشرور والاعتداءات والهج والعرج في هذه السنة (٤٧) وتؤيد جميع المصادر الاجنبية اخبار الفوضى ولا سيما بعد ثورة الفلاحين في كسروان ، اذ عمت البلاد فوضى عارمة ، وموجة طاغية من الاجرام والسلب والنهب قال شاهد عيان ، لا زعيم ، لا رئيس فطانيوس شاهين لم يعد ينظر اليه الشعب جديا

٤٥ - ابوشقرا المصدر نفسه ص ١٣٠

٤٦ - المكان نفسه .

٤٧ - راجع المحتوي ، المصدر نفسه ، حوادث ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ .

وباحترام (٤٨) وقال تشرشل السلب والنهب من الامور العادية ، الفلاحون يطيعون  
دكتاتورهم طاعة عمياء " وكتب ممثل بريطانيا قائلاً " ان مسيحي لبنان عشيرة  
همجية بربرية عاجزة عن ادارة شؤونها ، فالاكليروس والنبلاء متشاحنون تتقد في  
صدورهم نيران التباغض " (٤٩)  
والتجار الاروبيون في زعر شديد يرفعون الى القناصل عريضة مذيلة بامضاء  
٤٣٠ توقيعاً في ٢٠ ايار ١٨٦٠ قائلين " ان الكوارث الجارية الان في لبنان  
وهي نتيجة الفوضى السائدة منذ مدة طويلة تبعث الى الخوف من ان تؤول الحوادث  
الفردية المتواصلة منذ بضعة ايام الى حوب اهلية في القريب العاجل . . . ولهذا  
فان التجار الاروبيين الموقعين ادناه المقيمين في بيروت وقد استولى عليهم القلق  
يلجأون الى قناصلهم ولهم ملء الثقة بعنايتهم ملتصين ان يسعوا لدى الحكومة  
نظراً لخطورة الحالة الجارية لاتخاذ الوسائل العاجلة لاعادة الامن الى ربوع لبنان  
ووقاية المصالح الاروبية باتوى الوسائل اذا ما اقتضت الحال (٥٠) والقناصل  
بدورهم يشكون لحكوماتهم بان الفوضى لسائدة في القائمة المسيحية وهي شرة هذا  
الاضطراب وما كانت الثورة على المشايخ الخازنيين والحشيين لتخدم ناراها وانما  
تمتد دون وازع لان الحكومة التركية فاضة الطرف عنها وغايتها من ذلك مؤدوجة  
احدهما احداث القلاقل والاخرى الانتقام من اسرتي حبيش وخازن لانهما حركتا  
الثورة على عميلها الامير احمد (٥١) ويلفت قنصل بريطانيا في نيسان ١٨٦٠ نظراً  
خورشيد باشا الى خطورة الحالة فيشكو الباشا نفسه " من صم حكومته وعدم اهتمامها  
بمراسلاته " (٥٢) ويتسأل مراسلوا مجلة الارسالية الاميركية في بيروت " ما هذا  
السكوت ؟ اين الحكومة ؟ ماذا يحاك لنا في الاستانة (٥٣) الفلاحون والمشايع

---

Souvenirs de Syrie op.cit., p.25.

- ٤٨

٤٩ - المحررات السياسية ج ٣ ص ٤٩

٥٠ - المحررات السياسية ج ١ ص ١٠٠ De Syria, op.cit., VI, p. 100

٥١ - المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٧

٥٢ - المصدر نفسه ج ٢ ص ٢

Missionary Herald, Aug., 1957, p.28

- ٥٣

الحكام يتهامون جميعا ويتسألون الى اين المصير ،الجميع يتوقعون شرا مستطيرا  
( ٥٤ ) .

---

٥٤ — بلغت حوادث القتل الاعتيادي بين ١٨٤٠ — ١٨٦٠ نحو ١١٠٠ قتيل  
ولم يعاقب معظم مرتكبيها .

Great Britain. Correspondence relating to the affairs  
of Syria, ١٨٤٠, ١٨٦٠ .

### ثالثا - الشارة الاولى

جو محموم ومشحون بالتعصب ، فوض غاشمة غارمة ، رجال مسؤولون وغير مسؤولين يحكيون الدسائس والمؤامرات من اجانب ومواطنين ، احقاد وضعائن مكبوتة ومدفونة منذ الحركة الاولى ، اسلحة تستورد سرا وعلنا ، حوادث قتل افرادية هنا وهناك ولا عقاب ، واكثرها شخصية ، في هذه الحالة المتوترة المؤلمة من يستطيع ان يحكم من هو المبتدئ ؟ ( ٥٥ ) وكما قال " لنورمان " ليس المهم في حالات كهذه ان يعرف من الذى اطلق الرصاص الاولى ولكن المهم معرفة مدى الاستعداد لدى الفرقاء ونتائج الاعمال ، ومسؤوليات الذين هيئوا هذا الجو المشحون بالكره والحقد ، فقد تطلق عدة طلقات في غير هذه المناسبات ولا يحدث شي \* ( ٥٦ )

ولكن هنالك حادثة صيبانية تافهة بذاتها خطيرة بنتائجها يعتبرها اكثر الرواة " عود الكبريت " الذى اضرم نار الثورة فاندلعت السنتها في الجبل .

وهي كما رواها صاحب اللثام ( وتشرشل والحتوني ، وجسب ومادن والاب جويان ) " وصارت البلاد الى حال تشبه الغوضى حتى اذا كان يوم ٢٠ اغسطس ١٨٥٩ حدثت حادثة بيت مري وهي اول حوادث هذه الحرب البهائلة وكانت مقدمة لما سيحيي \* من الاهوال ٠٠٠ وتابع كلامه قائلاً وفي ٣٠ اغسطس تشاجر ولد مسيحي وصبي درزي في قرية بيت مري ( ٥٧ ) وتناول الخصام الوالدين والانصار فأسفرت المعركة عن عدد من القتلى جلهم من الدرزي ( ٥٨ )

وروى العقيلي رواية ثانية لحادثة اخرى فقال " ولم يزل البغض يتزايد بين المنايخ والاهالي الى ان وقعت الخلفة بين النصارى والدرزي في ناحية بلاد الشوف وكان ذلك ابتداء سنة ٦٠ وسبب وقوعها هوان بعض من اهل تلك الناحية رامو رفع المقاطعة مثل الامراء بيت اللمع وخلاف مشايخ من دروز ونصارى واخذوا في

٥٥ - المحررات السياسية ج ٣ ص ١

٥٦ - وان صح التشبيه بالحاضر فعلى حدود فلسطين اليوم رقبا دوليون مثقفون ، مهمتهم وتخصصهم تحديد مسؤوليات البادئين بالشر ومع ذلك فهناك كثير من الحوادث التي التبت عليهم وصعب لديهم تحديد المسؤوليات بالدقة والضبط .

٥٧ - وتشير بعض المصادر الى قرب بيت مري من عين سعادة مقر المطران طوبيا والى ان اكثرية المسيحيين فيها من غير الطائفة المارونية .

٥٨ - حسو اللثام المصدر نفسه ص ١٣٥

ابتداء الحركة المفسدة فشاخ الدروز علموا بهذا الخبر فاخذوا يضطهدون الاهالي بنوع الحيل ويوقعوا الفتن بين الطائفتين ثم وقع الخلاف بينهما وسبب وقوعه الظاهر كان لاجل مصادفة دواب في بعضها لان احد المكاريه صدمت دابته في دابة الاخر من الدروز فتقاتلوا ٠٠٠ ويذكر الحتوني ما رواه العقيلي ان تصادقا حدث في ١٥ آب بسبب اختلاف المكارية \* (٥٩)

ولكن المصادر الاجنبية تجعل حادثة ٢٩ ايار سنة ١٨٦٠ بداية الحوادث المؤلمة وترويها باختلاف جزئي كما رواها "لنورمان" وملخصها انه بعد حادثة بيت مري المارة المذكور، تفاقم الشر في بيت مري وما حولها وتوقع المسؤولون التصادم فارسل خورشيد باشا في ٢٨ ايار عددا من جنوده الى الحازمية وفي اليوم التالي اتجه بنفسه نحوها فاطلقت المدافع كالعادة ايدانا بمغادرته الشككة وما كادت المدافع تطلق طلقاتها الاولى حتى دوى صوت الرصاص في بيت مري واندلعت السنة النار ولعلس لهيبها في اكثر من قرية ، فاعتقد البعض ان في الامر ميكة ومؤامرة بين الدروز والحكومة ، وما طلقات المدافع الا اشارة للهجوم (٦٠) . قال تشرشل من سخر القول ان الاتراك لم يتمكنوا من اخماد الفتنة ، هم تأمروا لها ، وحرضوا عليها ، واشتركوا فيها (٦١) وفي جلسة ممثلي الدول لسنة ١٨٦٠ اوضح المندوب الفرنسي ان المذابيح جرت في الاماكن التي فيها جنود اترك واستشهد بممثل النمسا فايد كلامه (٦٢) وكتب ممثل بريطانيا في اللجنة الدولية ٢٤ شباط ١٨٦٠ بل من المرجح ان الدروز لم يفكروا بالفظائع الا بعد ان حرضتهم الجنود العثمانية ، والدليل ان الحرب اضطرت في كل انحاء لبنان ، بيد انه لم تحدث المذابيح الا في الاماكن التي فيها حاميات من الجنود التركية . وما جدير بالذكر ان مذابيح حاصبيا بدأت بعد وصول رسول من دمشق (٦٣) ومن محاكمة خورشيد باشا اعلن ان خورشيد باشا شهد هذه الحوادث بام عينه وعلم بها حين حصولها ولكنه عوضا من ان يزحف الى الدروز ويشتم شملهم تركهم يفعلون ما يشاؤون (٦٤) واعلنت بريطانيا ان سلوك الاتراك الشائن ارغفها

٥٩ - العقيلي ، المصدر نفسه ص ١٠٦

٦٠ - J. L. Dorey, op.cit., p.9

٦١ - C. Clapham, The Druzes and the Maronites... ١٩٢٥

٦٢ - المحررات السياسية ج ٢ ص ٢٨٦

٦٣ - المصدر نفسه ص ٢٧٢

٦٤ - المصدر نفسه ص ١٦٩



على تلبية طلب فرنسا بارسال جنود افونسية الى لبنان والقبول بالتدخل المسلم (٦٥) ونشرت مجلة الارسالية الاميركية حديثا لعواسلها يقول لقد اصبح من المؤكد ان الاتراك يساعدون الدروز (٦٦) وكان خورشيد باشا يدفع الدروز ويحثهم على الفتك بالنصارى يمدهم بمعدات من ثكنات الجند (٦٧) وفي خبر نشرته جريدة الاستانة آنذاك ان العساكر التركية اطلقت مدفعين بلا قنابل على الدروز ثم اخذت تصلي المسيحيين نارا حامية من افواه مدافعها (٦٨) وقد اجبر الدروز في اول الامر الارثوذكس والبروتستنت في سوق الغرب على مشاركتهم بحرق بيوت الموارنة ففعلوا لكنهم اضطروا ان يلبسوا عمامات بيضاء مضافة ان يفتك بهم الاتراك (٦٩) ولعل من اوسع المصادر واهمها بوصف الموضوع ما كتبه رشارد مادن ، فقد اطلع على الوثائق الدبلوماسية (٧٠) وعلى ما كتبه بعض شهود العيان واتصل بشخصيات عديدة من لبنان وسوريا ومصر وتحرق الامر في فرنسا وبريطانيا وذلك بعد الحوادث بايـام قلائل ، قال رشارد مادن ان باعثة المؤامرات ليس الدروز ولا المتواليه انهم الاتراك العثمانيون ، ان المؤامرة افترخت في الاستانة وحاكت خيوطها عصاة الحزب الرجعي في العاصمة ، تلك العصاة التي لحمتها التعصب وسداها الحقد والاضطهاد . وهدفها الثورة على الاصلاح وعلى الخطوط الهمايونية ، غايتها استئصال شأفة جميع المسيحيين في الدولة وفي الاخص في لبنان (٧١) .

٦٥ - المصدر نفسه ص ٢٣٨

٦٦ - Missionary Herald, Aug., 1860, p. 239

٦٧ - مشافة ، مشهد العيان ص ١٥٦

٦٨ - R. Madden, op.cit., II, p. 293

٦٩ - H. Jessup, op.cit., I, p. 164

٧٠ - ينتقد رشارد مادن الكتاب الازرق البريطاني المختص بحوادث سوريا ويعتقد ان معظم القناصل لم يتحدوا الحقيقة بل كتبوا بتأثير ميولهم الشخصية وتأثير الارساليات ، ثم يقول ان المخابرات القنصلية لا يعتد عليها كل الاعتماد لمعرفة الاسباب .

R. Madden, op.cit., II, pp. 27, 370f.

٧١ - In the recent massacres in Syria, that concert is said by many informed persons, with whom I have conversed in the Levant, to have included an imperial prince... The originators were Ottoman Turks; the conspiracy was hatched in Constantinople"... R. Madden, op.cit., I, pp. 230, II, pp. 267f. 367

ويؤيد جوان هذه الفكرة ويعتقد ان الدررز والمسلمين لم يكونوا سوى ادوات تنفيذ بيد تلك الفئة من الاتراك ( ٧٢ )

### الخلاصة

ومجمل القول ليس من المعقول والمقبول ان تكون هذه الفتنة الدامية نتيجة اختلاف او شجار صبياني بين طفلين ينتمي كل منهما لطائفة ما ، ولم تكن ناجمة عن نظام الملل والنفوذ الافرنسي كما يعتقد مولكم كير في اطروحته تعليقا وشرحا للعقبي ، وليس في المصادر التي لدينا على الاخص اشارة الى خلاف ديني بين الطائفتين الكبيرتين قبل الحوادث ومنذ الفتح التركي على الاقل ، بل الواقع يثبت تعايشا سلميا وتعاوننا موزيا الى حد معلوم . ففي المنطقة الدرزية قلما تجد قرية خالية من النصارى وقد يكون من المتعذر ان تجد قرية كان يقطنها مثلا الدررز والشيعة معا .

ومن المعروف ان المسيحيين في تلك الحقبة من الزمن كان اكثر ما يخشاه ، ويتعرض له من المظالم والاهانات هو فيما يختص في امور حياته الجوهرية التالية : في دينه ، في عرضه وفي ماله ، اما من حيث الناحية الدينية فالمسيحي مطمئن كل الاطمئنان فالدررز قد يعطون ولا يأخذون لان باب التدرز مغفل ، بل يتضح لنا من سهولة تنقل الامراء من طائفة الى طائفة او من الابهام والخوض التي احاطت ببعض معتقدات العائلة الحاكمة وغيرها ما يدل على روح التساهل الديني بين الطائفتين بل كانت الطائفية بنظر بعضهم اشبه بخلعة يلبس منها في كل حالة لبوسها اوانه امر شخصي بحث لا ضرورة لظهاره .

طائفة الدررز

واما من حيث العرض والشرف فهما مقدسان بنظر الطائفة الثانية ورغم ما اتصفت به الفتنة من فظاعة وشناعة لم تشر المصادر الى حادثة تعدى واحدة من هذا النوع .

وأما من حيث الاموال والممتلكات فقد كان بعضها بيد المسيحيين ككتبة او  
امنا للاموال او مزارعين ومستخدمين ، ولا يعني اننا نغفل اهمية العامل الاقتصادي  
والنضال الطبقي الذي برز مؤخرا بل هذا لم يكن سوى ظاهرة او نتيجة لعامل اهم  
واكثر شمولاً .

والدليل على انها لم تكن وليدة العامل الطائفي ان الحركة والفتنة في مستهل  
امرها تناولت الموارد دون سواهم من الطوائف المسيحية ، بل بعض هؤلاء عاضدوا  
الدروز وناصرهم في الحركتين السابقتين عام ١٨٤١ و ١٨٤٥ . وفي حوادث الستين  
لم يصب اليهود في دمشق باذى بل اندفعوا يحمسون الثائرين على المسيحيين  
ويقدمون لهم ماء الزهر المحلى بالسكو .

وليس الاتراك بابرية مما نسب اليهم ولكن الاتراك انفسهم لم يكونوا سوى الات  
حركتها عوامل مستجدة حديثة والدليل ان الجيل منذ الفتح التركي وهو بفضل  
تشاهلهم يتمتع بنوع من الحكم مميز عن سائر الولايات وباعتقاد مادن وسواه كما مر  
ان الاصلاحات والخطوط الهمايونية هي العامل الاساسي للكره والفتنة والواقع ان هذه  
نواحي مختلفة لعامل شامل اهم وهو الاقتحام الغربي لمجتمعات في الشرق كانت  
مغلقة على نفسها ، نفتحتها الغرب بقوة وتجسم هذه الاقتحام بحملات روحية وثقافية  
ومياسية وعسكرية ، وكانت اهداف هذه الحملات ومصدر انطلاقها او تفاعلها فيما  
بعد القاهرة ولبنان والاسطانة . فقامت في القاهرة على اكتاف الجين وفي لبنان على  
اكتاف الدين وفي الاسطانة على اكتاف الدبلوماسية ، واصبح لبنان نظرا لموقعه الجغرافي ( ٧٣ )  
وواقعه التاريخي هدفا للمؤثرات معا وبلغت فيه الذروة في منتصف القرن الماضي  
وامست مرتفعات لبنان ( ٧٤ ) بمثابة هياكل قدمت على مذابحها محترقات الحضارة  
الغربية ، وكانت حوادث الستين بمثابة مأساة مؤلمة لنهاية فصل مظلم من فصول  
المسألة الشرقية فيه .

---

٧٣ - وهو كما قال احدهم كان ولا يزل " يعتبره الغرب حدوده الشرقية ويعتبره الشرق  
حدوده الغربية " وهو بين هذا وذاك لا يزل يهتز ويرتج كلما مس الغرب  
شرقا او لاسم الشرق غربا .

٧٤ - ففي الساعة نفسها التي كانت فيها تطلق الشركات الافرنسية المتفجرات في قرية  
حماما لشرق طريق بيروت دمشق ، كانت متفجرات الثائرين تدمر مساكن القرى  
الهادئة المطمئنة .

قال الاستاذ شلتيم في مقدمة كتاب ابكاروس "ان حوادث الستين التي توصف خطأ بأنها نتيجة انفجارات واحفاد دينية ليست بحد ذاتها غريبة عن المسألة الشرقية بل جزء منها"، وذروة في مرحلة من مراحل التاريخ الطويل بين اوربا وآسيا . وفصلا للحوادث المتبادلة بين الشرق والغرب لم يكتب بدقة بعد" ( ٧٥ )

وقد يقسو التاريخ على الاتراك ولكن البعض يرون مبررات لتخفيف الحكم وكما قال احد كبار الممثلين الدبلوماسيين " ان الاعمال التركية من وجهة نظر الاتراك ، تركية وحسنة " . فاللبنانيون مع ما تمتعوا به من استقلال نوعي بفضل تساهل الاتراك ، لم يكن الموارنة منهم اوفياء دائما ، بل كان بعضهم ان صح التشبيه ، اشبه بأمرأة تتذوق مر العيش وحلوه في كنف زوجها فاذا ما عثر به الدهر يوما هفا قلبها لسواه ، فكان الموارنة كلما لاح طيف غربي ، ابرزت باخرة في الافق البعيد ، ترنو اليها اعينهم بشوق ، وتنشد السنتهم -

" ها هم قد اتوا " ( ٧٦ ) .

---

I. Abakarius, op.cit., p.13

- ٧٥

C. Churchill, Mount Lebanon..., III, p.66

- ٧٦

## المصادر

### اولا - الوثائق والمكتبات الرسمية

#### ١ - المحررات السياسية ومفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان

من سنة ١٨٤٠ - ١٩١٥ لعمري ١٩١٠

ثلاثة مجلدات ، تعريب فيليب وفريد الخازن  
جونييه ، مطبعة الصبر ١٩١٠ مئتين

اسد رستم ، اربع مجلدات  
بيروت ، المطبعة الاميركية ١٩٤٠ - ١٩٤٣

#### ٢ - المحفوظات الملكية المصرية

### ثانيا - المخطوطات العربية

ابكار يوس اسكندر ،

مسعد ، بولس - س ،

مؤرخ مجهول ،

مؤرخ مجهول - ول ،

نادر الزمان في ملاحم جبل لبنان

مخطوطة في الجامعة الاميركية

تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة العصرية

مأخوذة في الفوتوغراف ( في الجامعة الاميركية )

كتاب الاحزان في تاريخ واقعة الشام

وجبل لبنان وما يليهما بما اصاب المسيحيين

من الدروز والاسلام ( في الجامعة الاميركية )

عن حوادث سوريا ولبنان مخطوطة رقم ٦٦  
في الجامعة اليسوعية .

### ثالثا - المصادر الاخرى

ابو اسماعيل ، سليم ،

ابو شقرا ، يوسف خطار

الدروز ، بيروت ، مطابع فضول ، ١٩٥٤

الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية

بيروت ، ١٩٥٢

ابو عز الدين ، سليمان ،

ابراهيم باشا في سوريا ، بيروت ،  
المطبعة العلمية ١٩٢٤

- الاسود ، ابراهيم  
دخائر لبنان ، مبعدا ، المطبعة العثمانية ، ١٨٩٨
- امين ، احمد ،  
يوم الاسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢
- باز ، رستم ،  
مذكرات ، بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٥٥
- الباشا ، الخوري قسطنطين ،  
تاريخ طائفة الروم الملكية والرهينة المخلصة صيدا ، مطبعة دير المخلص ، ١٩٢٨
- البشعلاني ، اسطفان ،  
لبنان ويوسف كرم  
بيروت ، مطبعة صادر ، ١٩٥٢  
طريقة الذكر - البشعلاني .
- بيهم ، محمد جميل ،  
فلسفة التاريخ العثماني . اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها . بيروت ، شركة فرح الله للمطبوعات ، ١٩٥٤ .
- تاجر ، جاك ،  
انباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢ . القاهرة ، كراسات التاريخ المصري ، ١٩٥١ .
- ترتون ، ا ،  
اهل الذمة في الاسلام  
مصر - ١٩٤٩ .  
ترجمة حسن حبيش .
- الترك ، نقولا ،  
مذكرات . القاهرة ، مطبعة المعهد الافونسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٠ ، نشر وترجمة فييت .
- توما ، سويريوس ،  
تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية  
بيروت ، مطابع فضول ، ١٩٥٣
- الجبرتي ، عبد الرحمن ،  
عجائب الآثار في التراجم والاخبار . القاهرة ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٢ هـ .

- جوان ، ادوار ،  
مصر في القرن التاسع عشر  
القاهرة ، ١٩٢١ ترجمة محمد مسعود
- الحتوني ، الخوري طنوس ،  
نبذة تاريخية من المظالم الكسروانية  
( المكان ؟ ) سنة ١٨٨٤ .
- حسن ، حسن ابراهيم ،  
الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية .  
القاهرة ، المطبعة الاميركية ، ١٩٣٢ .
- حسب اللثام عن نكبات الشام  
مصر المطبعة ؟ ١٨٩٥
- خازن ، سمعان ،  
يوسف بك كوم في المنفى  
طرابلس ، مطبعة الانشاء ، ١٩٥٠
- الخالدي ، احمد بن محمد ،  
لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ .
- خانجيان ، انطون حنا  
نبذة مختصرة في حوادث الشام ١٨٤٠-١٨٦٠  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧ .
- خوري ، رئيس - ف ،  
الفكر العربي الحديث واثار الثورة الافرنسية في توجيهه  
السياسي والاجتماعي .  
بيروت ، مطابع الكشاف سنة ١٩٤٣ .
- الخوري ، الدكتور شاكر ،  
مجمع المسيرات  
بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٠٨
- الدبس ، المطران يوسف ،  
تاريخ سوريا ٨ مجلدات  
بيروت المطبعة العمومية ( ١٨٩٥ - ١٩٠٥ ) .
- الدمشقي ، هزائيل ،  
تاريخ حوادث الشام ولبنان ١٧٨٢ - ١٨٤١  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢ .

الدويهي ، ماراسطفان ،

تاريخ الطائفة المارونية  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠

رستم ، اسد ،

بشير بين السلطان والعزيز ، ١٨٠٤ - ١٨٤١  
بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٥٦ .

رستم ، اسد ،

تحقيق وتدقيق في بعض اخبار الفتوحات المصرية  
مصرية منذ تسع وتسعين سنة .  
بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩٣٠

الريس ، محمد ضياء الدين ،

الشرق العربي والخلافة العثمانية اثناء الدور  
الاخير للخلافة ١٧٧٤ - ١٩٢٤  
القاهرة ، مطبعة البيان العربي ، ١٩٥٠ .

الريحاني ، امين ،

النكات ، بيروت المطبعة العلمية ، ١٩٢٨

الشدياق ، طنوس يوسف ،

اخبار الاعيان في تاريخ لبنان  
بيروت ، ١٨٥٩ .

شكري ، محمد فؤاد واخرون

بناء دولة مصر محمد علي  
مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨

شهاب ، الاخير حيدر ، احمد

تاريخ الجزار مكتبة انطوان ١٩٥٥

الشهابي ، الامير حيدر احمد ،

تاريخ الامير بشير الكبير ابن قاسم عمر الشهابي  
بيت شباب ، ١٩٣٢ .

الصغير ، سعيد ،

بنو معروف في التاريخ ، عرمان ، ١٣٧٤ هـ .

صغير ، الخوري بطرس ،

الامير بشير الشهابي  
بيروت ، دار الطباعة والنشر اللبنانية ، ١٩٥٠

العقيقي ، ظاهر انطون ،

ثورة وفتنة في لبنان  
دمشق ، ١٩٣٨ .



- علي محمد كرد ،  
خط الشام ستة اجزاء ،  
دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٢٧ .
- فايز ، خليل همام ،  
ابو سمرغانم او البطل اللبناني  
القاهرة ، ١٩٠٥ .
- قرآلي ، الخوري بولس ،  
الموارنة في لبنان  
جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٤٩ .
- فخر الدين المعني الثاني امير لبنان وفردناند  
الثاني امير تسكانا ١٦٢١ - ١٦٣٥  
حريصا ، ١٩٣٨ .
- كارن ، جون ،  
رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع  
عشر : بيروت دار المكنوف ، ١٩٤٨ .  
( ترجمة واختصار رثيف خوري )
- كرامة ، القس رافئيل ،  
مصادر تاريخه لحوادث سوريا ولبنان ١٧٤٥ - ١٨٠٠  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٩ .
- كريم ، بطرس ،  
قلائد المرجلن في تاريخ شمالي لبنان  
بيروت ، مطبعة الهدى اللبنانية ، ١٩٢٩ .
- المعلوف ، عيسى ،  
دواني الفطوف في تاريخ بني معلوف  
بعبدا ، المطبعة المعثمانية ، ١٩٠٧ .
- منشاة ، الدكتور مخائيل ،  
تاريخ مدينة زحلة  
زحلة ، مطبعة الفتلا ، ١٩١١ .
- منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٥ .
- مونس ، حسين ،  
كتاب مشهد عليان بحوادث سوريا ولبنان  
مصر ، ١٩٠٨ .
- مونس ، حسين ،  
الشرق الاسلامي في العصر الحديث  
القاهرة ، مطبعة حجازي ، ١٩٢٨ .

للجنة من الادباء ،

لبنان ، مباحث علمية واجتماعية

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩٣٤ .  
( بهبة اسطاعيل حقي )

النجار ، الطبيب ابراهيم ،

مصباح السارى ونزهة القارى .  
بيروت ١٢٢٥ هـ .

النجار ، حسين فوزى ،

السياسة الاستراتيجية في الشرق الاوسط  
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .

نوقل ، عبد الله ،

مذكرات تاريخية

حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٢٦ .

وحيدة ، صبحي ،

في اصول المسألة المصرية

القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٠ .

اليازجي ، ناصيف ،

رسالة تاريخية في احوال لبنان في العهد الاقطاعي

حريصا ، مطبعة القديس بولس عام ؟

## Bibliography

### Official and Confidential Correspondence

- British Consular Files, Records preserved in the Archives of the British Consulate in Beirut. 1840-1860.  
(Quoted by M.Kerr. Al Akiki, thesis A.U.B. 1955)
- Borrée, Cor.Pol. Beyrouth. 1840-1842.  
(Quoted by Adel Ismail, Thesis, Paris 1956, typewritten form)
- France, Ministre des Affaires Étrangères. Documents Diplomatiques 1860.  
Paris, 1861.
- Great Britain, Foreign Office, Correspondence relating to the affairs of Syria, 1860-1861. London, 1861.
- Great Britain, Foreign Office, France and the Levant, London, 1920.
- Testa, Le Baron De Recueil des Traites de la Porte Ottoman avec les Puissances Etrangères. Depuis le premier traité conclu, en 1536, entre Suleyman I et Français 1, Jusau'a nos jours. Paris (1864-1901)

### Other Sources

- Abakarius, Iskandar, Book of the Marvels of the Time Concerning the Massacre in the Arab Country. Translated and annotated by J. Scheltema under the title, The Lebanon in Turmoil, Syria and the Powers in 1860. New Haven, Yale University Press, 1920.
- Anderson, Rufes. History of the Missions, of the American Board of Commissioners for Foreign missions to the Oriental Churches. Boston; 1872.
- Antonius, George, The Arab Awakening. London, Hamish Hamilton, 1945.
- Bailey, Frank Edgar, British Policy and the Turkish Reform Movement. London, Cambridge, Harvard University Press, 1942.
- Bird, Isaac, Bible work in Bible Lands, Philadelphia, 1872.

Bliss, Daniel,

The Reminiscences of Daniel Bliss,  
New York, Fleming H. Revell Co.,  
1920.

Bouzon, Captain,

Les Druzes. Histoire du Liban et de la  
Montagne Houranaise.  
Paris, Berger-Levrainly, 1930.

Cahuet, Albert,

La Question d'Orient dans l'histoire  
contemporaine, 1821 - 1905.  
Paris, Dujarric, 1905.

Carleton, Alfred,

The Millet System, (Thesis, Princeton,  
University, 1926. microfilmed)

Carnarvon, Henry,

Recollections of the Druzes of  
Lebanon. London, John Murray, 1860

Charmes, Gabriel,

Voyage en Syrie, Impressions et  
souvenirs. Paris, Levy, 1891.

Chasseaux, George,

Druzes of the Lebanon. London,  
Bentley, 1855.

Churchill, Charles,

The Druzes and the Maronites under  
the Turkish Rule 1840 - 1860.  
London, Quaritch, 1862.

\_\_\_\_\_ ,

Mount Lebanon, A Ten Years Residence  
1842 - 1852. v.3.  
London, Saunders & Otley, 1853

Davison, Roderic,

Reform in the Ottoman Empire  
1856-1876. (Thesis, Harvard  
University. 1942. Microfilmed)

Davy, Richard,

The Sultan and his Subject.  
London, Chatto, 1907.

Doëwell, Henry,

The founder of Modern Egypt, A Study  
of Muhammad Ali, Cambridge, University  
Press, 1931.

Dussaud, René,

Les Arabes en Syrie Avant L'Islam.  
Paris, Leroux, 1907.

Dwight, Henry,

Constantinople and its Problems.  
New York Fleming, H. Revell Co., 1921.

Engelhart, Ed.,

La Turqui et Tanzimat ou Histoire  
des reformes dans l'empire Ottoman  
depuis 1826 jusqu'a nos jours. Paris,  
Cotillon, 1882.

Eton, W.,

Survey of the Turkish Empire.  
London, Cadell, 1798.

Eversley, Lord,

The Turkish Empire from 1288 - 1914  
London, Fisher Unwin, 1924.

Farley, Lewis,

Turks and Christians, A Solution of the Eastern Question.  
London, Simpkin, Marshall & Co., 1876

\_\_\_\_\_,'

Two Years in Syria  
London, Saunders and Otley, 1849.

Ghalib, Pierre,

Le protectorat religieux de la France en Orient.  
Aignon, Aubanel, 1913.

Gibbon, H.,

The Foundation of the Ottoman Empire. Oxford, Clarendon; 1916

Guichen, Vicomte de,

La Crise d'Orient de 1839 - 1841 et L'Europe.  
Paris, Emile Paul, 1921.

Guizot, F,

A. Popular History of France from Earliest Times.  
Boston, Aldine Book Publishing Co., 1888(Translated by R. Black).

Guys, Henri,

Relations d'un sejour de plusieurs annees a Beyrout et dans le Liban,  
Paris, Librairie francaise, 1850.

Hallberg, Charles,

The Suez Canal.  
N.Y. Columbia University Press, 1931

Hamlin, Cyrus,

Among the Turks.  
N.Y., Carter, 1877.

Hammer, J. de,

Histoire de L'empire Ottoman: jusqu'a nos jours.  
Paris, Bellizard, 1839.

Hourani, Albert,

Minorities.  
London, Oxford University Press, 1946.

\_\_\_\_\_,'

Syria and Lebanon, A Political Essay.  
London, Oxford University Press, 1946.

Hunter, W.

Narrative of the Late Expedition to Syria under the Command of Admiral the Hon. Sir Robert Stopford, 2 Vols.  
London, Colburn, 1842.

Ismail, Adel,

Histoire du Liban du XII Siecle a nos jours IV, (Typwritten form)

Jehay, le Comte F.  
Van den steen de,

De La Situation Légale des Sujets Ottomans non-musulman.  
Bruxelles, Schepens, 1906.

Jessup, H.,

Fifty Three Years in Syria, v.1,  
New York, Fleming & Revell Co., 1910

Jobin, L'Abbé,

La Syrie en 1860 et 1861, Lettres et Documents formant un histoire complete des massacres du Liban et de Damas.  
Paris, Lefort, 1880.

Jouplain, M.,

La Question du Liban, etude d'histoire diplomatique et de droit international  
Paris, Librairie nouvelle, 1906.

Kerr, M.,

Revolution and Civil War in the Lebanon  
An unknown page from the history of Lebanon from 1841-1871, by a contemporary of the time of Antun Dahir Al-Akiki Publication, Commentary, and marginal notes by I.Y. Yazbak, Tran. comm. and annotations by M. Kerr Thesis A.U.B. 1955)

Khayat, Asa'ad,

A Voice from Lebanon  
London, Madden & Co., 1847.

Kohn, Hans,

Western Civilization in the Near East  
London, Routledge, 1936.

Lammens, Henri,

Petite histoire de Syrie et du Liban  
Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1921

Laurent, Achille;

Relations historique des affaires de la Syrie, depuis 1840 Jusqu'en 1842.  
Paris, 1846.

Lenormant, F.,

Histoire des Massacres de Syrie en 1861  
Paris, Librairie de L. Hachette, 1861

Lybyer, Albert,

The Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificent,  
Cambridge, Harvard University Press, 1913.

- Madden, Richard, The Turkish Empire in its Relations with Christianity and Civilization. London, Cawtly Newby, 1862.
- Mange, Alyce Edythe, The New Eastern Policy of the Emperor Napoleon III. Urbana, University of Illinois Press, 1940.
- Marriott, J.A., The Eastern Question, an Historical Study in European Diplomacy. Oxford, Clarendon, Press 1951
- Massp., Paul, Elements d'un Bibliographie Francaise de La Syrie, Marseille, Bar latier, 1919
- Miller, William, The Ottoman Empire, 1801-1913, London, Cambridge University Press, 1913.
- Missionary Herald, 1840-1860, Boston; Crocker & Brewster, 1940-1858.
- Murrey, I. H., Handbook for Travellers, London, 1855
- Napier, Commodore Sir Charles; The War in Syria 1840, two vols., London, John Parker, 1892.
- Napier, E., Reminiscences of Syria and the Holy Land London, Parry, 1847.
- Palgrave, W., Essays on Eastern Question, London, Macmillan, 1872.
- Paton, A. Oriental Student, Modern Syrians, London, Longman, 1844.
- Perrier, F., Le Syrie sous le gouvernement de Mehemet Ali, jusqu'en 1840. Paris, Arthus Bertrand, 1842.
- Poujade, Eugene, Le Liban et la Syrie 1845-1860 Paris, Michel Levy Freres 1867.
- Poujoulat, Baptistin, Recits et souvenirs d'un voyage en Orient. Tour, Alfred name et Fils, 1883.
- Ramsay, W., Impressions of Turkey During twelve years' wanderings. London, Hodder, 1897.
- Reid, Job, Turkey and the Turks, Being the Present State of the Ottoman Empire. London, Clarke, 1840.

- Richter, Julius, History of Protestant Missions in the Near East. London, Fleming H. Revell Co. 1910.
- Ristelhueber, René, Les Traditions francaises an Liban. Paris, Librairie Felix Alcan; 1925.
- Rustum, Assad, The Struggle of Mehemet Ali Pacha with Sultan Mahmud II, Beirut, 1925.
- \_\_\_\_\_, The Royal Archives of Egypt and the Origin of the Egyptian Expedition to Syria 1831 - 1841. A.U.B. Publications, Beirut, 1946.
- Schopoff, A., Les refromes et la protection de Chretiens en Turquie, 1673 - 1904, Paris, Plon, 1904.
- Souvenire de Syrie (Expedition francaise de 1860.) Temoin Oculaire Paris, Plon, 1903.
- Stanhope, Hester Lucy, Memoirs of the Lady Hester Stanhope; 3 Vols., London, Henry Colburn, 1845.
- Toynbee, Arnold; The Western Question in Greece and Turkey. A study in the contact of circulizations. Edinburgh, constable, 1923, civilizations.
- Toynbee, Arnold and Kirkwood; K. Turkey, London, Earnest Beenn, 1926.
- Urquhart; David, The Lebanon. (Mount Souria). A History and a Diary, two vols., London, Thomas Cantley Newly, 1860.
- Vingtrinier Aime, Soliman Pacha. (Colonel Seve) Paris, Didat, 1886.
- Vogue, Comte Melchoir de, Les evenements de Syrie. Paris, Charles Douniol, 1860.
- The Cambridge Modern History, A.W. Ward et al., Cambridge University Press, 1904-1910
- "Lebanon" Encylopedia Americana, vol., XVII, New York - Chicago, Americana Corporation.
- "Druzes" Encyclopaedia of Islam, Leyden, J. Brill, L913.



## المُلخَص

ان المسألة اللبنانية جزء من المسألة الشرقية اوجدها نظام واثارها الاقتحام الغربي للشرق فكان لبنان احدى الجبهات التي برز فيها ذلك الاقتحام على اشدّه في نواحيه المختلفة الروحية والثقافية والسياسية والعسكرية منذ فجر القرن التاسع عشر .

وكانت الحملة المصرية نقطة الانطلاق او التوسع لهذا الاقتحام ففتحت المسألة اللبنانية على مصراعها وكان من نتائجها اشتداد يد الامير الحاكم على الاقطاع ، وازدهار ميله لطائفة دون سواها ، بل حملت تلك الطائفة ان تشهر السلاح لاول مرة على جيوانها بعد ان عاشت الطائفتان سبعة قرون بانسجام وسلام ، فتولدت الضغائن ولا سيما بعد ان استباححت الطائفة المارونية مع الفاتحين حرمة اقداس جيوانها السرية . وانكشفت اهمية لبنان الاستراتيجية فاصبح حلبة للتنافس البريطاني الفرنسي على الاخص واحتضنت كل دولة فريقا لتنفيذ مآربها وبسط نفوذها . فانار الاحقاد الحديثة وادى الى تقسيم الجبل على اساس طائفي فازداد التوتر وتوسع مجال الاحتكاك وطمع كل طائفة بالتفوق وكسب المطالب . ونقم الاثراك على الوضع اللبناني للتدخل الاجنبي المكشوف فيه ولمحاولة امراء التواطىء على الدولة فيما مضى فاستغل الاثراك الظروف وهدفهم تفاقم المتاعب وتقلقل الحكم عليهم يتولون ادارته . ويفضل سياسة التساهل المصرية تجاه الاجانب تدفقت الارشاليات الاجنبية وتكاثر التصادم والتنافس فيما بينها فادى تصادمها الى اثاره التعصب المكبوت في الطوائف الاخرى وتدخل رجال الدين في امور الدنيا وادى تنافسها الى تكاثر المدارس فاستيقظ الوعي الفردي والشعبي والروح القومية الراحدة . وكان من جلء هذا الوعي وفتح المدارس ان تغير وضع المسيحيين على الاخص فاثروا من جزاء اتصالهم بالغرب واقتباسهم بعض المعرفة وبعض انواع المهن ، وتجلّى الوعي الاجتماعي بشوكة الفلاحين في كسروان على اسيادهم الاقطاعيين وامتد لهيب الثورة الى الاقطاع الدرزي ، واكثرية المزارعين فيه مسيحيون ، فاصطبغت الثورة بلون طائفي .

وتبارى الفاتح المصرى وبعض السلاطين بفرض الاصلاحات وتحسين احوال الذميين  
فأثاروا نفقة المتعصبين في سوريا ولبنان ، وطيلة حرب القرم وبعده ازداد التدخل  
الاجنبي بانواعه المختلفة وبرزت موجة شديدة من التعصب لفحت بوجهها سوريا ولبنان ،  
ومهدت بعض المناسبات والحوادث المحلية في الجبل السبيل للفوضى ، فكسر  
التعدى والقتل الافرادى لكثرة المتدخلين وانعدام المسؤولية الواضحة .  
وتفاقت الامور من تفاعل العوامل السابقة فاندلعت الفتنة فيه لاتفه المناسبات  
الصبيانية ، وكانت في الواقع الشرارة التي اطلقت قوى الشر والاحتكاك الذى بلغ  
ذروته آنذاك فكان لبنان كبش المحرقة لها .